

## ميشال فوكو :
## المثقف وعلاقته بالسلطة

## مارسيل خليفة :
## مسيرة فنية متواصلة





# تيفراز +٤٣٤٥٠٠ معالم الريف

E-mail: tifrazrif@gmail.com

أسبوعية جامعة مستقلة تصدر مؤقتا مرة في الشهر

مدير النشر: حسن الجرموني رئيس التحرير: سعيد الغزواني إ.ق: 2003-0013 - م.ص: 2003-1 - ردمك: 1114-6362 العدد: 27 - يناير 2008 - الثمن: 5 دراهم


### الذكرى الأربعينية للفقيد سعيد الخطابي:

# من أجل صيانة الذاكرة الوطنية





في حوار خاص مع الراحل أحمد الشرقاوي إدريس:

## أسرار واعترافات

حقوق

## المجلس الأعلى للمهاجرين : أية مشروعية ؟

تنمية

## القطاع السياحي بالناظور والحسيمة

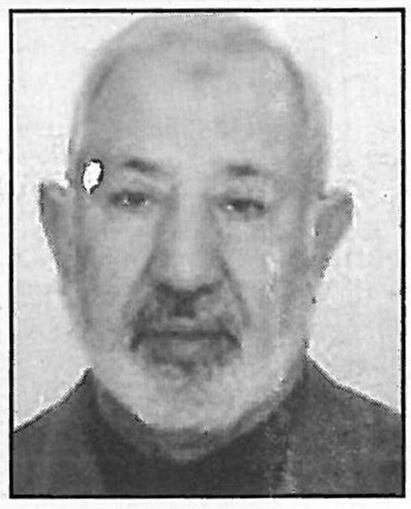
فكر

## الملكية والإسلام السياسي بالمغرب

sociologie

## La vie sociale et la vie politique des Berbères

## تعازي



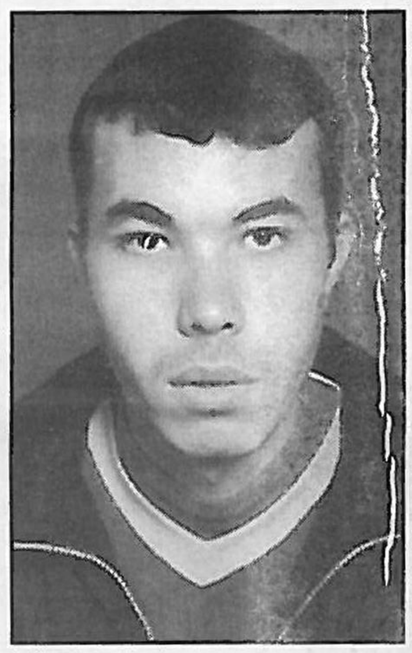
محمد العمراوي



إكرام العمراوي

إثر فاجعة مدوية، تلقينا ببالغ الحزن والأسى نبأ وفاة السيد العمراوي محمد وكذا ابنته الآنسة العمراوي إكرام بعد أن لقيت حتفها في حادثة سير رفقة أخيها أحمد (وهما في طريق العودة إلى مدينتهم الحسيمة قصد عيادة والدهم الذي كان طريح الفراش) الذي نتمنى له الشفاء العاجل ويقوم بالسلامة والعافية. وباسم جمعية آباء وأولياء التلاميذ والهيأة التعليمية للمعهد الإسباني بالحسيمة ميلشور ذي خوبيانوس -instituto español melchor de jovel نتقدم بأحر التعازي إلى كل أفراد عائلة الفقيدين، الأم lanos الفاضلة خيرة وأبنائها البررة: أحمد، هشام، لبنى، دينا، فاطمة ومريم، طالبين من الله أن ينسيهم هذا المصاب الجلل، وراجين من العلي القدير أن يرزقهم الصبر والسلوان، وأن يسكن الفقيدين فسيح جنانه. "وإنا لله وإنا إليه راجعون".

---



ببالغ الأسى والحزن تلقينا نبأ وفاة زميلنا في العمل الأستاذ "صلاح الدين الكموني" إثر مرض عضال لم ينفع معه علاج يوم الأربعاء 19دجنبر 2007.

وبهذه المناسبة الأليمة، يتقدم كل العاملين بمجموعة مدارس "امنوذ"، بأحر التعازي والمواساة لأسرته وعائلته، وأن يرزقهم الله الصبر والسلوان، ويشمل الفقيد بالمغفرة والرضوان ويدخله فسيح جنانه، إنه سميع مجيب، "وإنا لله وإنا إليه راجعون".

عن مجموعة مدارس امنوذ

---

تلقينا، ببالغ الحزن والأسى، نبأ وفاة والد أخينا الأستاذ عبد المجيد عزوزي. وبهذه المناسبة الأليمة نتقدم بتعازينا الحارة إلى الأستاذ عبد المجيد وإلى إخوته وكافة أفراد عائلته، راجين منهم الصبر والسلوان، وللفقيد المغفرة والرضوان، وإنا لله وإنا لله راجعون.

### في لقائها بالسيد والي الجهة:

# جمعيات مدنية وتنموية تعبر عن قلقها من سوء الأوضاع المحلية

شكلت إشكالية تدبير المشاريع التي يعرفها إقليم الحسيمة محور لقاء جمع والي جهة تازة الحسيمة تاونات ببعض جمعيات المجتمع المدني، حيث قام والي الجهة بسرد مختلف المشاريع المبرمجة بالاقليم في مجالات مختلفة، منها التعثرات التي تعرفها المشاريع المبرمجة في إطار التنمية البشرية، حيث يلاحظ أنها لم تراوح مكانها باستثناء المشاريع التي يتم التقدم بها بشكل تقني في مناسبات رسمية، ولم يتم الشروع في معظم الأوراش التي رصدت لها الدولة مبالغ مالية مهمة خاصة ببعض القرى والمناطق النائية، كمشروع بناء قنطرة بكتامة وإقامة بعض الطرق بالمناطق الجبلية لفك العزلة عن السكان.

واستعرض اللقاء المشاكل الرئيسية التي تعيشها مدينة الحسيمة في مجالات مختلفة كمشكلة مزبلة سيدي عابد، والتطهير السائل بداخل المدينة وغياب الربط الكلي لأحياء المدينة بمحطة تصفية الواد الحار، والتلوث الذي أصبحت تعيشه بعض الأحياء بالنفايات الصلبة، وكذلك مشكل المجزرة العمومية التي لا تتوفر فيها ابسط شروط السلامة الصحية، وتلوث بعض الشواطئ الخلابة بالمياه العادمة كشاطئ مطاديرو وكلابونيطا التي تعتبر من المخيمات الوحيدة المجهزة التي توجد داخل المدينة، وشاطئ صباديا الذي تلوثه مياه الواد الحار التي يتم إفراغها بشكل مباشر من حي ميرادور لتستقر في النهاية بالشاطئ المذكور.

واعتبرت مداخلات الجمعيات المدنية المشاركة في اللقاء المشاريع المنجزة منها والأخرى التي تنجز خطوات إيجابية فيما يخص الرفع من مستوى التجهيزات داخل المدينة التي عرفت فيما سبق حالة عزلة اقتصادية ساهمت في صنعها عوامل مختلفة؛ إلا أن غياب مبادرة تشاركية لهيئات المجتمع يحد من نجاعة تنفيذ مجموعة من المشاريع ومنها تجزئة القطب الحضري بادس التي قامت وزارة الإسكان بتفويتها إلى شركة العمران الخاصة وبداية الاعلان عن عروض لبيع قطع مجهزة للمنعشين العقاريين بأثمنة خيالية تفوق طاقة تحمل المواطنين من الشرائح الاجتماعية الصغرى والمتوسطة، ومشروع كورنيش صباديا الذي تحمل فيه الجمعيات البيئية الشركة الساهرة على إنجاز أشغال تهييئه، مسؤولية عدم احترام البيئة من خلال ما تقوم به من رمي للأتربة بالبحر، وذلك بالرغم من أن كناش التحملات يلزم الشركة بإيجاد مكان مناسب لرمي الأتربة بعيدا عن الشاطئ.

تنضاف إلى المشاكل السالفة مشاكل أخرى قامت الجمعيات المشاركة بطرحها على والي الجهة، ومنها مشكل البطالة الذي تعاني منه المدينة واستمرار عمليات تنظيم الهجرة السرية التي تقذف بعشرات الشباب بالموت غرقا في عرض البحر، وكذلك كثرة الخروقات التي يعرفها قطاع التعمير بالمدينة بشكل أدى إلى تشويه تصميمها العمراني عبر خلق أحياء هامشية، ومنح تراخيص البناء في أماكن ممنوعة تسببت في ظهور أحياء عشوائية على طول محيط المدينة.

ولم تخف الجمعيات قلقها من استمرار التدهور الحاصل في مجال الملك الغابوي بالمدينة، حيث في الآونة الأخيرة عرفت المدينة سلسلة من التفويتات المشبوهة لأملاك تابعة للمياه والغابات لإقامة مشاريع تدخل في تحصيل منافع شخصية، واعتبرت الجمعيات أن مدينة الحسيمة في حاجة إلى فضاءات خضراء مفتوحة لخلق متنفسات للسكان الذين يعيشون تحت ضغط انعدام المساحات الخضراء، ودعت الجمعيات بالمقابل إلى لحفاظ على غابة ميرادور التي توجد بمحيط المدينة باعتبارها منتزها طبيعيا، وعدم تفويتها للخواص بطرق أصبحت لا تخفى على أحد، وطالبت بعض الجمعيات البيئية من والي الجهة التدخل قصد تنظيم عمليات تشجير واسعة بميرادور للحد من انجراف التربة بها والحد من التصحر الناتج عن زحف الرمال في اتجاه أراضي مجاورة.

وأثارت الجمعيات القروية المشاركة في اللقاء مشكل التنمية في علاقتها بحاجيات ساكنة القرى الريفية التي تعاني من مشاكل مختلفة خاصة مع توالي سنوات الجفاف وقلة التحصيل المعاشي للفلاحين وما نتج عن ذلك من هجرة قروية، واعتبرت الجمعيات أن تدمير شاطئ اطايث والصفيحة واسواني الذي يتم تحت أعين المسؤولين من خلال نهب رمال السواحل أدى الى التقليل من القيمة السياحية لهذه الشواطئ، وما خلفه إغلاق شركة البحر الأبيض المتوسط العاملة بجماعة آيت يوسف وعلي من تسريح العديد من العمال، وفشل بعض المشاريع السياحية بالمنطقة، حيث استفاد أحد الإيطاليين باستغلال جزء كبير من الأراضي الشاطئية للجماعة بدون أن تستفيد الجماعة من حقوقها في الانتفاع من مداخيل تلك الأراضي لتتدخل في النهاية السلطات المسؤولة وتقوم بفسخ عقدة الاستغلال مع المقاول الإيطالي.

وقد بين اللقاء بوضوح مدى الخصاص الذي تعرفه المدينة في مجال الخدمات الاجتماعية، ومنها مشكلة دار الفتاة التي تتحمل ضعف طاقتها الاستيعابية وقلة مؤسسات إيواء التلاميذ، والخصاص الحاد في الأطر التعليمية الذي يعرفه الإقليم، كما تمت الإشارة إلى ورش يتم إنجازه بمركب كيمادو حيث لا يتوفر على وثيقة التصميم التقني الشيء الذي يستوجب تتبع هذه المشاريع باعتبارها تعكس الوجه السياحي للمدينة.

وفي الختام، تعهد السيد والي الجهة بإعادة النظر في أثمنة السكن بتجزئة القطب الحضري الجديد بادس، وصرح بكونه منكب على دراسة ملف الهجرة السرية ببعض الجماعات القروية التي تعرف ازدهار هذه الظاهرة، مؤكدا في الختام نيته بالعمل على تنمية المنطقة عبر إشراك كافة جمعيات المجتمع المدني في مقاربة المشاكل التي قد تعترض إنجاز مسلسل التنمية المحلية.

**خالد الزيتوني**


## مواقع بيع جريدة ومنشورات تيفراز

**الرباط:** كشك الروبيو بشارع محمد الخامس.

**وجدة:** كشك الحي الجامعي.

**الناظور:** مكتبة الطالب.

**طنجة:** كشك الصحافة قرب سينما طارق ببني مكادة.

**فاس:** - مكتبة آيت باعمران الليدو
- كشك الرامي - شارع محمد الخامس
- كشك الحي الجامعي ظهر المهراز

## قسيمة الاشتراك السنوي

**الاشتراك العادي:** داخل المغرب 100درهم .
**أوروبا وباقي العالم:** 40 أورو.
**الاشتراك التشجيعي:** مفتوح...
تتم عملية الدفع واسطة: شيك بنكي - تحويل بنكي - حوالة بريدية - نقدا

الاسم: .....
العنوان: .....
الهاتف: .....

رقم الحساب البنكي: - 2111153601290017 وكالة محمد الخامس - الحسيمة
العنوان: 22شارع المرابطين - الحسيمة الهاتف: - 039982250 الفاكس: 039980584




تيفراز

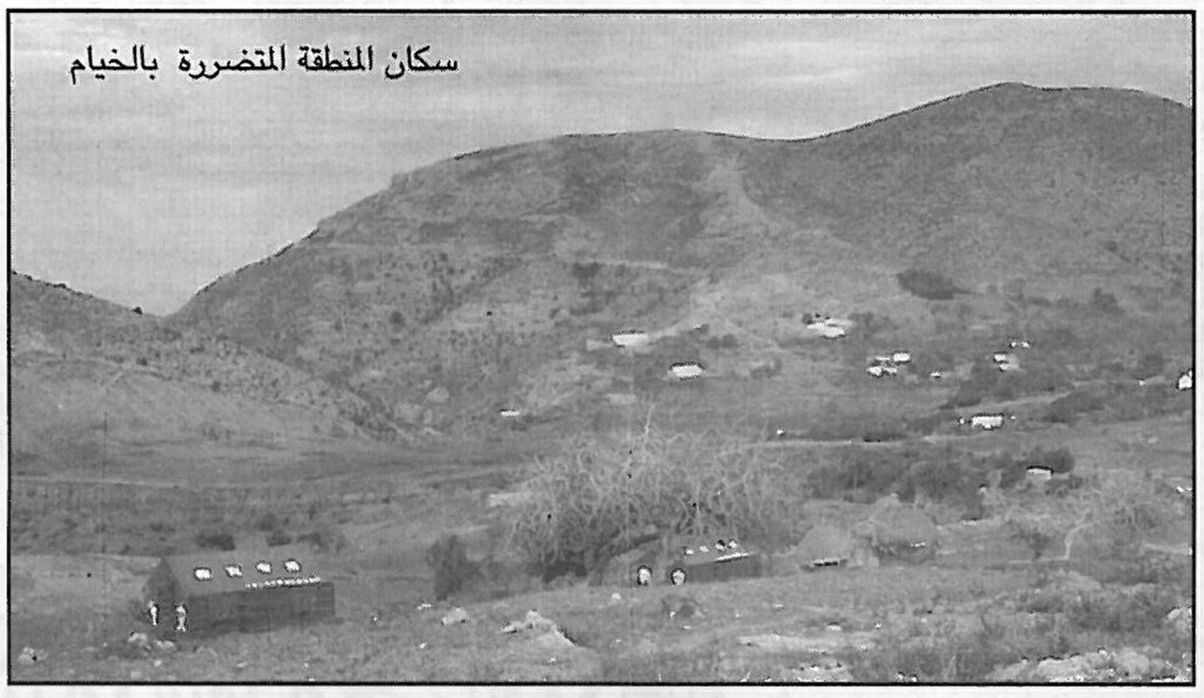
رقم الإيداع القانوني :2003/0013
ملف الصحافة : 03-1
عنوان المراسلة :
شارع المرابطين رقم 22- الحسيمة
الهاتف :039982250
الفاكس :039980584
رقم الحساب البنكي :
2111153601290017
البنك الشعبي-وكالة محمد الخامس-الحسيمة
التصفيف : والاخراج : تيفراز
السحب : مطبعة أمبريال
التوزيع : سوشبريس

# هل شاليهات كيمادو معروضة للبيع فعلا؟

قبل الشروع في عملية هدم مركب كيمادو، كانت قد أفادتنا مصادر حسنة الإطلاع على نية الجهات المسؤولة الإقدام على خطوة بيع شاليهات كيمادو بدعوى التفكير في جعل السياحة بالمنطقة دائمة وغير مقتصرة على فصل الصيف، وقد تريثنا وتكتمنا على الخبر حرصا منا على أن يكون مجرد شائعة (الأمر الذي ما زلنا نأمل أن يكون كذلك)، لكن الأخبار التي تناهت إلى أسماعنا مؤخرا تصر على أن الخبر جدي وغير هزلي. لذلك وجب التنبيه إلى أن الإقدام على بيع هذه المعلمة الوحيدة المتبقية في المدينة، سوف يخلف من دون شك إحساسا بالغا بالحسرة لدى كافة أبناء الحسيمة، لاسيما وهم لا يزالوا يتذكرون أن عائلات حسيمية كانت قاطنة بهذه الأرض قد تم طردها وتعويضها بذريعة المصلحة العامة. فكيف يسمح اليوم لأناس آخرين بما حرم منه الذين سبقوهم...؟ كما أن الرأي العام المحلي لا يزال يتذكر المعركة التي خاضها كافة الحسيميين لأجل استرجاع هذه المعلمة بعد تفويتها في صفقة مشبوهة لشخص لا علاقة له بقطاع السياحة، وفي مقدمتهم جريدتنا التي كانت سباقة إلى فضح ملابسات الصفقة، وتحريك الرأي العام المحلي ضد أصحاب الصفقة القاضية بالتفويت...كما على المسؤولين أن يتذكروا جيدا ما حصل يوم أعلن الوزير الأول السابق السيد إدريس جطو، أثناء عرضه للخطوط العامة للبرنامج الاستعجالي المعد من قبل الحكومة السابقة للنهوض بتنمية إقليم الحسيمة بعد الزلزال، حين أعلن بأن كيمادو ستسترجعه الدولة من أيدي الخواص، فبدأ التصفيق من الحضور دون توقف، إلى درجة أن البعض عبر عن كون الخبر أشبه ما يكون لدى الحسيميين باسترجاع القدس بالنسبة للفلسطينيين. الأمر الذي يحتم على المسؤولين تفهم الإحساس الذي يربط هذه المعلمة السياحية بمخيال أبناء الحسيمة، الذين يرغبون في أن تظل هذه المعلمة ملكا لهم جميعا وليس لأفراد بعينهم. كل ما نرجوه من نشر هذا الخبر هو إقدام المسؤولين على توضيح ملابسات هذا الأمر وتزويدنا بالخبر اليقين.

## دوار ثاوسارت - إقليم الحسيمة

# انهيار جرف بحري يهدد عشرات الأسر بالتشرد


سكان المنطقة المتضررة بالخيام

وقع انجراف كبير للتربة بثوسارت جماعة الرواضي قيادة ازمورن دائرة بني وريا غل التي تبعد بحوالي 40 كلمتر عن مدينة الحسيمة، خلال الأيام القليلة الماضية أدى إلى ترحيل خمس أسر من منازلهم وظهور حفر عميقة بالأراضي الفلاحية المجاورة لمكان الانجراف وخلق حالة من الرعب والفزع وسط سكان منطقة ثاوسارت الذين يمضون لياليهم يترقبون وقوع انهيارات مفاجئة مما يضطرهم إلى النوم في العراء.

ومن خلال الزيارة التي قامت بها الجريدة إلى مكان الحادث اتضح أن المنطقة توجد في أعلى الأجراف الشاطئية لبقيوة والتي يوجد بها المنتزه الوطني للحسيمة، والتي تعرف انزلاقات كبيرة للتربة على طول الأراضي المطلة على البحر، وأكد مصدر مطلع من شبكة الجمعيات التنموية العاملة بالمنتزه الوطني للجريدة أن " الوضعية الحالية التي يوجد عليها جبل تاوسارت، ينذر بحدوث انجرافات قوية، بسبب الوضعية الهشة التي أصبحت تعيشها التربة بالمنطقة، وأضاف أن الأمر يزداد خطورة مع وقوع تساقطات مطرية قوية أو حدوث هزات زلزالية والتي تشتهر بها المنطقة حيث توجد بالقرب من بؤرة زلزالية كانت حددت سابقا في بوسكور القريب من الموقع.

وأكد أحد المسؤولين بالقسم التقني التابع لعمالة إقليم الحسيمة في اتصال قامت به الجريدة أن لجنة تقنية تتكون من مهندسين وخبراء تم استقدامهم من الدارالبيضاء للقيام بالدراسات الجيولوجية حول الموقع، أن هناك خطورة فعلية تهدد بانهيار مساكن متواجدة في دوار ثاوسارت بسبب الانجرافات القوية التي تعرفها التربة بالمنطقة.

وحسب المختبر العمومي للدراسات فإن الوضعية بالمنطقة تشكل خطرا فعليا على سكان الدوار مع إمكانية حدوث انهيارات مفاجئة في أية لحظة، ومن الإجراءات المستعجلة التي قامت بها السلطات، إعادة إيواء خمس أسر في الخيام بعد الأضرار الخطيرة التي لحقت بمساكنهم.

ويشار الى كون المنطقة التي وقع بها الانجراف توجد بمنطقة بقيوة التي تتميز بطابع قروي حاد، وعجز في التجهيزات والخدمات وضعف المؤشرات الاقتصادية، وضعف الموارد الطبيعية التي تعتمد في مجملها على الزراعة المعاشية المحدودة، وصناعة الدوم، والصيد البحري التقليدي الذي يعمل بشكل رئيسي على رفع مستوى السكان المعيشي، التي تتميز وضعيتهم عموما بالعزلة وبنيات اقتصادية هشة تنتفع من الموازنة الناتجة عن أنشطة هامشية ومهن غير مهيكلة.

وللمنطقة علاقة وطيدة بظواهر طبيعية كانت وقعت في الماضي أثناء تشكل السلاسل البحرية لمنطقة الريف، ومؤخرا تم تحديد منطقة بوسكور البحرية كبؤرة زلزالية جديدة، في الوقت الذي عرفت فيه المنطقة حالات انجرافات قوية أدت إلى سقوط جزء كبير من جبل ثقيت في البحر ووقوع تصدعات على مستوى الطبقات الباطنية للقشرة الأرضية وذلك ما تم رصده بكل الأراضي المجاورة للموقع الذي وقع فيه الانهيار.

وصرح أحد سكان الدوار للجريدة أن الإنجرافات التي تحدثها التربة بالمنطقة المطلة على البحر يصل دويها إلى السكان بدوار تاوسارت، من خلال الأصوات القوية الناتجة عن سقوط منات الأطنان من الأتربة في البحر، الشيء الذي خلق تشوهات في المعالم الطبيعية لنظام الأجراف التي تتميز به منطقة بقيوة، وأدى بالمقابل إلى ظهور حالة من القلق والخوف وسط السكان الذين أصبحوا يمضون معظم أوقاتهم خارج بيوتهم التي يخافون أن تقع عليهم في أية لحظة بسبب التصدعات والشقوق التي أصبحت تشكوا منه المنازل بالدوار السابق الذكر.

ويتذكر أحد قاطني الدوار أن أراضي فلاحية كانت إلى وقت قريب تضم أشجار مثمرة لم يعد لها أثر الآن وضاعت من الفلاحين بسبب انجراف التربة.

ويشار الى أن الانهيار الذي وقع بالمنطقة شمل أيضا أجزاء منزلقة من جبل ثاوسارت، وكذلك أدى الى ظهور حفر عميقة وسط الأراضي الفلاحية للمزارعين، وظهرت خطوط انجراف على طول واجهة تاوسارت المحاذية للبحر وامتدت في اتجاه نقط بعيدة داخل دوار " اشوين"، الذي يتميز بتربة طينية حمراء، تكسو طبقات كلسية من الحقبة الجيولوجية الثانية، أصبحت سهلة الانهيار بسبب الانزلاقات التي وقعت في الماضي، الشيء الذي أصبح يهدد عشرات الأسر بالتشرد في أية لحظة.

وتساءل سكان الدوار عن المعايير التي اعتمدها قائد منطقة ارواضي في تسجيله للمتضررين من هذه الكارثة، وصرحوا للجريدة بكون المساعدات تم توزيعها فقط على خمس أسر تحاذي الموقع الذي وقع فيه الانجراف، في الوقت الذي يعيش فيه عشرات الأسر تحت رحمة الذي يأتي والذي لا يأتي، وذلك بعد أن تصدعت منازلهم وأصبحوا مهددين في أية لحظة بالنوم في العراء، وطالب السكان عبر الجريدة من المسؤولين التدخل لمنحهم المساعدات الكافية لمنع حدوث كارثة بشرية في المستقبل.

## على كل حال

■ محمد بوطسغونت

# علامة الساعة

***كثيرا ما نسمع عن علامة الساعة، وكلما استجد طارئ أو حدثت ظاهرة سواء كانت طبيعية أو اجتماعية أو حدث تغيير في السلوك الاجتماعي، إلا وسمعنا عموم الناس يتحدثون عن الساعة وانها آتية لا ريب فيها، دون العودة والتفكير في المسببات التي تقف وراء وقوع حدث ما أو كيف وقع.***

***المشكلة أننا في زمن تكاد الساعة بمعناها التقليدي تسير نحو الانقراض والزوال، إذ أن بإمكاننا معرفة التوقيت الزمني انطلاقا من الهاتف النقال أو الحاسوب أو...، فلا أحد أصبح اليوم يهتم بالساعة سواء من حيث قيمتها المادية أو شكلها، وبالأحرى أن نتحدث عن علامة هذه الساعة. أما إذا كان حديث الجهلة الذين يدعون المعرفة بشؤون الدين والدنيا يحيل إلى اقتراب موعد الفناء ويوم القيامة، فإن هذا الأمر كما تعلمناه من مدرستنا الحلوة ونحن صغار بيد الله، وأن الإرادة الإلهية هي التي ستقرر إنهاء الحياة وزوال أثرها في هذا الكون العظيم، أو تأجيل انتهاء مدة صلاحيتها إلى وقت لاحق.***

***إذا سلمنا بهذه الحقيقة، فكيف سمح لبعض الجهلة القول بأن تطور قدرات الإنسان ليصبح كائنا مبدعا بعد أن كان كائنا بيولوجيا فقط، وما نتج عن ذلك من العوارض والمستجدات على هذا الكوكب لتزيين أطرافه في كل مناحي الحياة، هي بوادر وتباشير متحكمة في الإرادة الإلهية، وبالتالي فإن هذه العلامات تجبر الله على إعلان القيامة. هؤلاء يصدرون أحكامهم ويخلصون إلى نتائج ميتافيزيقة وفق المنطق الإنساني، وبناء على القوانين والتشريعات البشرية كعلامات المرور مثلا، فعند ما يرى السائق علامة "قف" فإن المطلوب منه الوقوف وإلا يكون قد ارتكب مخالفة وهذا ما يترتب عليه عقوبة.***

***وبناء على المنطق الذي سبقت الإشارة إليه، فإن وجود علامات الساعة منذ فترة كبيرة دون الإعلان عن حدوث ساعة الحسم، فإنه يتطلب ممن يحملون مفاتيح دار الإفتاء تسجيل مخالفة في حق الذات الإلهية، لأنها لم تخضع ولم تلتزم بهذه العلامات والإشارات.***

***على الأمة التي تحس على أنها خارج دائرة الحياة ولا تملك القدرة على فهم ميكانيزمات التطور البشري والحضاري، أن تجلس على كرسي الاحتياط ولا تقحم نفسها في لعبة اكبر منها، حتى تتقي على الأقل مقولة " يا أمة ضحكت من جهلها الأمم".***

## بعد تورطه في قضية اغتصاب

# محكمة الاستئناف تدين طبيب إمزورن بثلاث سنوات سجنا

بعد جلسات متعددة، قضت غرفة الجنايات الابتدائية بمحكمة الاستئناف بمدينة الحسيمة زوال يوم الأربعاء 09يناير 2008بإدانة عبد اللطيف النافي طبيب المركز الصحي بإمزورن بثلاث سنوات سجنا نافذا وأدائه ل 20الف درهم للضحية ( ف.د) على خلفية الشكاية التي تقدمت بها ضحيتان صرحتا أمام كل مراحل التحقيق وأثناء جلسات المحاكمة بأنهما تعرضتا للاغتصاب من طرف الطبيب المذكور الذي تشبث من جهته بنفي هذه التهم.

وترجع فصول هذه القضية التي تابعها الرأي العام المحلي باهتمام كبير إلى تاريخ 31 أكتوبر2007 عندما توجهت الضحية (ف.د) إلى مركز الدرك الملكي بإمزورن، تتهم فيه الطبيب المذكور بالاعتداء عليها عن طريق الاغتصاب المؤدي إلى افتضاض البكارة بعد أن استدرجها إلى نفس المنزل الكائن بالمركز الصحي الذي قصدته بهدف إجراء فحوصات طبية، حيث أعطى لها حسب محضر تصريحها شرابا منوما أفقدها وعيها مباشرة بعد شربه.

ومما زاد من اهتمام الرأي العام المحلي بهذه النازلة هو ظهور ضحية ثانية(ن-ك) تقدمت بشكاية لدى الوكيل العام للملك بمحكمة الاستئناف بالحسيمة بتاريخ 19 نونبر2007، تتحدث فيها صاحبتها عن تعرضها للاغتصاب من طرف نفس الطبيب الموجود رهن الاعتقال على أساس التحقيق معه بشأن تهمة الاغتصاب الذي تعرضت له الضحية الأولى يوم 25أكتوبر 2007بعدما أن قام الطبيب بتخديرها كما ادعت في تصريحها أمام الضابطة القضائية وهيئة المحكمة. وبتاريخ 29 نونبر 2007أحال الوكيل العام للملك ذات الشكاية على الدرك الملكي بمركز إمزورن قصد التحقيق في النازلة وإنجاز محضر في الموضوع، والذي صرحت خلاله الضحية الثانية ( ن. ك) التي هي أم لأربعة أبناء بما يشبه نوعا من التطابق مع الضحية الأولى في كيفية تعرضها للاغتصاب، حيث ذكرت بكونها قصدت المركز الصحي صباح ذات يوم من أجل إجراء فحص بالأشعة غير أن الطبيب طلب منها انتظار ذلك إلى ما بعد الفترة الزوالية.

وكانت الضحية الثانية (ن -ك) ذات 29ربيعا قد صرحت أن الطبيب طلب منها الدخول إلى غرفة بالمنزل الكائن بالمركز الصحي وأجلسها على أريكة بداخله ثم بدأ يتغزل بها، ولما همت بمغادرة المنزل طلب منها أخذ حقنة في الفخذ الأيمن وكان بين الفينة والأخرى يسألها إن كانت تشعر بشيء ما، ليقوم بعد ذلك- حسب تصريحاتها دائما - بمنحها كأسا مملوءة إلى النصف بماء به مذاق دواء حتى أضحت لا تعرف ما يقع بمحيطها إلا بعد ساعات.

## تأسيس التنسيقية المحلية لجبر الضرر الجماعي

# في غياب جمعيات حقوقية مهتمة ومعنية بالملف

عقد والي جهة تازة الحسيمة تاونات لقاء بعمالة إقليم الحسيمة لبحث برنامج جبر الضرر الجماعي بمنطقة الريف، حضره عن المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان أحمد حرزني (رئيس المجلس) ومجموعة من الجمعيات المدنية والتنموية وممثلو بعض المصالح الخارجية، بالإضافة إلى رؤساء بعض الجماعات المحلية وذلك صباح الأربعاء 08/01/2008، للإعلان عن تأسيس التنسيقية المحلية لجبر الضرر الجماعي في إطار تفعيل التوصيات الصادرة عن هيئة الإنصاف والمصالحة، وتفعيل تنفيذ التكليف الملكي السامي من خلال اعتماد منهجية تستهدف إنجاز جبر الأضرار الجماعية، للمناطق التي تضررت جراء حدوث انتهاكات جسيمة بها، تحقيقا للمصالحة المبنية على الاعتراف بمسؤولية الدولة، وذلك لاستعادة الثقة في الدولة ومؤسساتها.

ويشار إلى كون منطقة الريف بشكل عام لم تحظ باهمية كافية في التقرير الختامي لهيئة الإنصاف والمصالحة، فباستثناء جلسة الاستماع التي تم تنظيمها بالمدينة لم يات التقرير النهائي للهيئة باي برنامج لجبر الضرر الجماعي يخص منطقة الريف، ولم يتم تحديد الانتهاكات وحجمها والتي هزت المنطقة في فترة الخمسينات والسبعينات؛ وباستقناء فقرات تخص أحداث 84، ليس هناك أي جرد موضوعي في التقرير الختامي لهيئة الإنصاف، للحقائق الفظيعة التي هزت كيان الريف خلال فترات الماضي الأسود والأليم الذي ساد المنطقة، ولم تعمل الهيئة على الإقرار بمفهوم الدين التاريخي من خلال العمل على وضع مداخل لقراءة تاريخية صحيحة وعلمية تخص تاريخ الريف التي تتميز فيها الذاكرة التاريخية بأشلاء من المعطيات المتناثرة التي لا تساير الدراسات التاريخية الحديثة والتي يبنى فيها الحدث التاريخي انطلاق من التطورات الزمانية والمكانية الطبيعية لتطور المجتمع.

ويرى مجموعة من الباحثين والمهتمين بقضايا الانتهاكات الجسيمة بالريف أن ملف جبر الضرر الجماعي الخاص بمنطقة الريف هو دين تاريخي على الدولة المغربية التي أدخلت المنطقة في عزلة تجاوزت الخمسين سنة، ودفعت بأبناء الريف إلى ركوب موجة الهجرة إلى الخارج في الوقت الذي ووجهت به احتجاجات الأهالي بعنف أسود من طرف النظام شمل الإنسان والحيوان والمجال وأدخل المنطقة في حالة عزلة عن المناطق المغربية الأخرى الشيء الذي فوت فرصا تاريخية للتنمية بالريف وأدخل المنطقة في حسابات سياسوية لا زالت تعيش تبعاتها إلى حد الآن.

فمهما كانت نوايا اللقاء الذي ختم أشغاله باعتبار الهيئات والوفود المشاركة أعضاء في التنسيقية المحلية لجبر الضرر الجماعي، وبدون أن يتم حسم بعض مواقف الجمعيات المشاركة والتي تضاربت أراؤها بخصوص التمثيلية في هذه التنسيقية، انتهت الأشغال ولازالت الجمعيات الحقوقية والمهتمة بقضايا جبر الضرر الفردي والجماعي، منها لجنة إعلان الريف التي راكمت من خلال سنوات من العمل أفكارا وتصورات بشأن كيفية جبر الضرر وتتبع آليات تنفيذه والكشف عن الاختلالات التي صاحبت عمل الهيئة بمنطقة الريف، ومنها التسرع والارتجال في مقاربة النقط الجوهرية في ملف جبر الضرر الجماعي، ومنها المصالحة الاقتصادية مع الريف، فإن سكان المنطقة يعتبرون أن ملف الانتهاكات الجسيمة بالريف أكبر من أن تتبناه بعض الجمعيات وأن تحدد مصيره لجنة لم تراع في تشكلها ومنهجية عملها حتى الأسقف المنخفضة للمطالب التي حملتها معظم الجمعيات الممثلة في لجنة إعلان الريف والتي يعتبرون فيها أن مسؤولية الدولة المغربية ثابتة فيما يخص ما جرى في الماضي، وأن أية تسوية يجب أن تمر باستحضار مواقف وتصورات كافة الهيئات الحقوقية المعنية بملف الريف من أجل إرساء دينامية محلية بالمنطقة مبنية على علاقات متينة بين الدولة وسكان منطقة الريف..

# من يتحمل مسؤولية تشويه حي "بركم": الدولة أم سماسرة العقار؟

من يتحمل مسؤولية تشويه حي "بركم": الدولة أم سماسرة العقار؟

عرف دوار بركم التابع لجماعة لوطا والموجود ضمن الشريط المحاذي لبلدية إمزورن تزايدا كبيرا في عدد سكانها بعد الزلزال24فبراير 2004حيث ارتفع عدد سكانها من 1000نسمة سنة 2004 الى 9000نسمة سنة2007، ويرجع ذاك إلى تدفق عدد كبير من المهاجرين القادمين من القرى المتضررة من الزلزال، خصوصا من جماعة "إمرابطن" التي تعثر بها عملية "إعادة الإعمار"، ولم يجد سكانها مفرا سوى الهروب إلى هذا الدوار الذي وفر لهم العقار بثمن مناسب نسبيا، إلا أن هذا التزايد السكاني لن يقابله إلا التهميش والإقصاء من طرف المسئولين، الذين جعلوا من هذا الحي "فريسة"يقتادونها كل يوم من أجل جمع أكبر عدد ممكن من الأموال من المنكوبين البسطاء الذين يحلمون بمنزل بسيط يحميهم من قساوة الطبيعة. فأغلب المنازل بنيت بدون رخصة ولا تصميم، فيكفي أن تدفع 1000درهم كرشوة لكي تبني دارا، وأغلب المنازل بنيت على أزقة وشوارع ضيقة، وعلى ضفاف الواد، وأصحابه يجهلون الخطر الذي يحدق بهم في حالة ما إذا ما وقعت كوارث طبيعية، وبنيت بطريقة تتنافى مع البناء المضاد للزلازل، وبدون أن يتدخل أي مسئول من أجل وقف هذا التشويه والتخريب العمراني. فسماسرة العقار جزأو كل الأراضي بما فيها الممنوعة للبيع (ضفة الواد، الشوارع، الأزقة...) والسلطة المحلية تسمسر وتلعب بأموال المنكوبين، والمنتخبون يرسمون خارطتهم الانتخابية ولا يفكرون إلا في أنجع الطرق التي تمكنهم من الحفاظ عل كراسيهم بالمجلس الجماعي القادم، ولا أحد يفكر في إنقاذ هذا الحي الفتي من التهميش والإقصاء. فالتجهيزات الأساسية بهذا الحي منعدمة، شبكة الكهرباء لم تغط سوى 50٪ من هذا الحي، مع غياب كلي للماء الصالح للشرب وشبكة تطهير السائل، وكذلك المؤسسات التعليمية (المدارس،الإعدادية،الثانوية) فالأطفال الصغار يقطعون 45دقيقة إلى مدينة إمزورن، وهذا طبعا في ايام فصل الشتاء بكل بردها القارس وظلامها الدامس، أما الفتيات فيضطرن إلى مقاطعة الدراسة مبكرا بسبب بعد الإعدادية عن الحي (حوالي 3كيلومتر إلى إعداديتي القدس ومحمد السادس بامزورن) إضافة إلى الأذى الذي يتعرضن له في الليل على الطريق من طرف الشباب العاطل بسبب غياب الإنارة العمومية.

إننا كسكان هذا الحي نعاني ونتألم كثيرا، خصوصا عندما يتكلمون عن" المبادرة الوطنية للتنمية البشرية" في الإعلام وفي الواقع نرى شبابا لا عمل يشغلهم، منزوون بأركان البيوت وينتظرون حلول المساء ليتناولوا المخدرات بكل أنواعها لولوج عالم النسيان، نسيان الواقع المر(بطالة، فقر، تهميش ووعود كاذبة)، وعندما يتكلمون عن "الميثاق الوطني للتربية والتكوين" و"إصلاح التعليم" ونرى بهذا الدوار 99٪ من الفتيات لم يصلن إلى مستوى أولى إعدادي، وأطفال صغار يحملون محافظ ثقيلة ويقطعون أكثر من 3 كيلومترات إلى المدرسة ويتوقفون عن الدراسة عندما تتقلب أحوال الطقس، وتشتد حمولة الوادي الذي يفصل الحي بالمدرسة وأغلبهم يلجأون إلى الانقطاع بصفة نهائية، أليس هذا انتهاك خطير لأهم حقوق الطفل و هو حق التعلم.

**محمد الغلبزوري**
**رئيس جمعية توبزا للتنمية والبيئة**
**دوار بركم جماعة لوطا**

# مدرسة أبي طالب بإمزورن: عريضة استنكارية

توصلنا في جريدة تيفراز بعريضة استنكارية موقعة من طرف الأساتذة العاملين بمدرسة أبي طالب بمدينة إمزورن ( 13توقيعا)، والتي يستنكرون فيها بشدة الأسلوب التعسفي الذي اتبعه السيد مدير المؤسسة في تقويمه لأعمالهم في إطار الترقي بالاختيار برسم سنة 2006.وقد أكدوا أن عملية التقويم لم تستند إلى المعايير المعتمدة في ذلك، كما تنص على ذلك المذكرة الوزارية الصادرة بتاريخ 24يوليوز 2007، و لا المذكرة التوضيحية الصادرة من طرف السيد مدير مديرية الموارد البشرية وتكوين الأطر والموجهة إلى السادة مديري الأكاديميات، وهذا ما أثر سلبا على عملية التقويم والتي أثرت سلبا عليهم، و جعلتهم يتقهقرون إلى ذيل الترتيب في اللائحة الوطنية، حيث لم تشفع لهم لا أقدميتهم العامة ولا شواهدهم الجامعية ولا مردوديتهم. وقد اعتبروا هذا كسابقة خطيرة في التلاعب بمصير وحقوق الشغيلة التعليمية، كما جاء في نص العريضة.

وحسب العريضة دائما، فإن الأساتذة العاملين بالمؤسسة المذكورة يعتزمون تنظيم وقفة احتجاجية بساحة المؤسسة، يوم الثلاثاء 8يناير 2008للتنديد بهذه الممارسات.

# تأسيس جمعية مساعدة الطفل المريض بالحسيمة

انعقد يومه الأحد 21اكتوبر 2007، بقاعة الاجتماعات لمركز تكوين الممرضين بمستشفى محمد الخامس بالحسيمة، الجمع العام التأسيسي لجمعية مساعدة الطفل المريض بالمستشفى المذكور. وتهدف هذه الجمعية إلى المساهمة، مع مختلف المهتمين بصحة الطفل، إلى الرقي بالخدمات الصحية المقدمة للطفل المريض بالمستشفى عبر توفير بعض الأدوية والمعدات والتجهيزات وكذا تدعيم الفريق المعالج، وبعد مناقشة القانون الأساسي للجمعية وإدخال بعض التعديلات عليه تم انتخاب المكتب المسير للجمعية، والذي جاء كالتالي:

× أوراغ رشيد رئيسا
× أشن منيم نائبا للرئيس
× معصومي مصطفى أمينا للمال
× ديان رشيد نائبا لأمين المال
× أبوالريش مصطفى كاتبا عاما
× الرحموني توفيق نائبا للكاتب العام

أما المستشارون فقد كانوا كالتالي
× أبرقاش سمير
× بقاش محمد
× بادي محمد
× عمي نور الدين
× ديدوح رشدي

و اتخذت الجمعية من مصلحة طب الأطفال بمستشفى محمد الخامس بالحسيمة مقرا لها ريثما تتوفر على مقر خاص بها.

# تأسيس جمعية شمس الخير للتنمية المستدامة

انعقد بتاريخ 12/12/2007بالمركب الثقافي والرياضي بالحسيمة الجمع العام التاسيسي "لجمعية شمس الخير للتنمية المستدامة"، بعدما قدم منسق اللجنة التحضيرية الغاية من تاسيس الجمعية، تمت مناقشة القانون الأساسي وأهدافه ثم تعديل بعض فصوله بالحذف والإضافة، فصودق عليه بالإجماع، ليتم انتخاب أعضاء المكتب المسير للجمعية، فجاءت اللائحة كالتالي:

محمد مرابط: رئيسا
عماد أزطوطي: كاتبا عاما
إدريس أزطوط: أمينا للمال
محمد بنتهامي: مستشارا

وتهدف الجمعية حسب قانونها الأساسي إلى تنشيط المجالات الاجتماعية والثقافية والتربوية والعلمية والرياضية والسياحية والفنية، وإدماج ذوي الاحتياجات الخاصة في مختلف مناحي الحياة العلمية والعملية، وكذا الاهتمام بشريحتي الطفولة والشباب من خلال صقل مواهبهم وخلق فضاءات ملائمة لإبراز مؤهلاتهم وتكوينهم...

# جمعية النسيم للطفولة والبيئة

## من أجل التحدي والتسامح

بدعم من جمعية" Therali ثرلي" بهولندا وبتنسيق مع النادي الثقافي لثانوية الخوارزمي، نظمت جمعية النسيم للطفولة والبيئة بالمؤسسة المذكورة بايت بوعياش مسابقة ثقافية تحت شعار "من أجل التحدي والتسامح". وذلك بحضور كل من ممثل جمعية "ثرل"ورئيس جماعة النكور وكذا الأطر الإدارية والتربوية العاملة بالمؤسسة.

وفي ختام هذه المسابقة، تم توزيع جوائز تقديرية على شكل مجلدات، قصص، مناجد ومصاحف على التلاميذ الفائزين..

# ندوة صحفية لنقابات تعليمية

## وضع التعليم بالإقليم كارثي ومتدهور

عقدت المكاتب الإقليمية للنقابات التعليمية الأربع (النقابة الوطنية للتعليم"ك.د.ش"، الجامعة الحرة"ا.ع.ش.م"، الجامعة الوطنية للتعليم"ا.م.ش" والنقابة الوطنية للعليم "ف د ش"، ندوة صحفية يوم السبت 5يناير 2008على الساعة الثالثة بعد الزوال بمدرسة علي بن حسون.

وقد حاولت الأطراف النقابية المتدخلة من خلال التقرير الذي تلته، وكذا نص البيان الذي وزعته على ممثلي الصحف الوطنية والمحلية، أن تستعرض أهم الاختلالات التي يعرفها قطاع التعليم بالحسيمة، حيث أجمعت على اعتبار أن التعليم بالإقليم يعيش وضعا كارثيا ومتدهورا، محذرة من الانعكاسات السلبية والخطيرة لهذا الوضع على الناشئة والشغيلة التعليمية بالمنطقة.

إضافة إلى أهم المطالب التي تسعى تحقيقها، ويأتي على رأسها كما ورد في البيان، إلغاء اتفاقية الإطار (وطنيا) وتعليل النقط الإدارية الممنوحة في إطار الترقية بالاختيار (محليا)..

وتأتي هذه الندوة في إطار البرنامج النضالي الذي قررت النقابات الأربع خوضه وفق الجدولة الزمنية التالية:

× الثلاثاء 15يناير 2008:إضراب إقليمي مع وقفة احتجاجية أمام مقر النيابة الإقليمية.

× الأربعاء والخميس 14/15فبراير المقبل إضراب إقليمي مصحوبا وقفة احتجاجية أمام النيابة الإقليمية في اليوم الأول من الإضراب.

# أساتذة يشتكون من الغياب المستمر لمدير مؤسسة تعليمية

توصلنا في جريدة تيفراز بنسخة من المراسلة الموجهة إلى السيد النائب الإقليمي لوزارة التربية الوطنية بالحسيمة، موقعة من طرف أطر هيأة التدريس بمدرسة "أبولاي" ( 12توقيعا)، بمن فيهم رئيس جمعية آباء وأولياء أمور التلاميذ، والذين يشتكون فيها من الغياب المستمر والمتواصل للسيد مدير المؤسسة المذكورة وذلك منذ تاريخ 19دجنبر2007، إلى حدود كتابة هذه المراسلة، الأمر الذي يعرقل السير العادي للمؤسسة طالبين من السيد النائب الإقليمي التدخل لوضع حد لمثل هذه الخروقات كما جاء في نص المراسلة.

## منتدى حقوق الإنسان لشمال المغرب - جمعية الحسيمة

# حقوق الإنسان بالريف: حقائق التاريخ ورهانات المستقبل

بمناسبة تخليد انتفاضة 59 -58 وتحت عنوان "حقوق الإنسان بالريف: حقائق التاريخ ورهانات المستقبل" نظم منتدى حقوق الإنسان لشمال المغرب- جمعية الحسيمة، ندوة بمشاركة الأستاذين عمر لمعلم وعبد الوهاب تدموري، وذلك بالمركب الثقافي والرياضي بمدينة الحسيمة ابتداء من الساعة الثالثة والنصف بعد الزوال.

في البداية، تناول الكلمة أمغار المنتدى نورالدين بنعمر الذي اعتبر أن هذا النشاط هو أول خروج علني للمنتدى منذ تأسيسه في بداية الصيف الماضي، مشيرا إلى التأخر غير المبرر للسلطات المعنية في تمكين الجمعية من وصل الإيداع القانوني. مذكرا بالسياقات العامة والخاصة التي تأسس فيها المنتدى، واستعداد هذا الأخير للاشتغال مع مختلف الإطارات التي تتقاطع أهدافها مع المنتدى، حول مختلف الملفات الحقوقية ذات الصلة بماضي وحاضر الريف، وفي شأن المصالحة مع الريف ذكر بأن المنتدى - كمناضلين إلى جانب بعض الإطارات والفعاليات - أكد في حينه عن موقف واضح يتمثل في أن حجم الجرائم المرتكبة في حق المنطقة هي أكبر من أن تعالج من طرف هيئة الإنصاف والمصالحة.

بعد ذلك، أعطيت الكلمة للأستاذ عمر لمعلم الذي قدم مداخلة تحت عنوان: "الريف: تاريخ حافل وحاضر غير مشرف"، استهله بالمفهوم الجغرافي للريف انطلاقا من تعاريف بعض المؤرخين وكذا استنادا إلى بعض الحقائق والمعطيات التاريخية، كما تطرق إلى الشعوب التي عاشت على هذه الرقعة الجغرافية والتي تلاقحت فيما بينها منذ العصور الغابرة مشكلة مايسمى حاليا ب " إريفين". ثم تساءل حول الأوضاع الحقوقية التي يعيشها هذا الشعب، مؤكدا أن هناك تراجعا كبيرا فيما يخص حقوقه الجوهرية في هذه المنطقة مثل الحرية والسيادة والكرامة، والتي استهدفت عبر مراحل التاريخ بغاية النيل من المقاومة الشرسة المعهودة عن أبناء المنطقة، مستشهدا بأمثلة من الحضارات التي استقرت بالمنطقة وأمثلة عن الهجمات التي تعرضت لها عبر مراحل مختلفة، وكذلك نماذج من المقاومة التي كانت في مواجهتها، وصولا إلى الفترة الاستعمارية وكيف بدأت من جديد تتشكل حركات المقاومة بقيادة القاضي سي عبد الكريم الذي كانت له دراية كبيرة بالأوضاع الدولية والمجهود الذي قام به لتوحيد قبائل الريف. متسائلا في الوقت نفسه عن الأهداف التي كان يتوخاها القاضي عبد الكريم في توحيد هذه القبائل تحت راية المقاومة وكذا الآفاق التي كان يستشرفها. معتبرا أن الإجابة عن هذا السؤال أتى به الإبن محمد بن عبد الكريم الخطابي بعد إعلان جمهورية الريف، باعتباره كيانا قائما بحد ذاته، وهذا ما يفسر الانتهاكات الجسيمة التي تصل في أحيانا كثيرة إلى جرائم ضد الإنسانية، نموذج الغازات السامة، مؤكدا أن مولاي موحند لم يستسلم أبدا لنوايا الاستعمار، بل بقي إلى غاية مماته يعلن الريف كيانا حرا، وهذا ما يفسر تدخلات المخزن بعد 1956في المنطقة من أجل إخماد خلايا الثوار وإخضاع أهلها، مؤكدا على استمرار واقع الانتهاكات إلى حد هذه الساعة. منتهيا إلى أن التقرير الختامي لهيئة الإنصاف والمصالحة لا يرقى إلى الحد الأدنى لانتظارات الريفيين، وأن أي مدخل لأية مصالحة يجب أن يكون على أساس الحق في تقرير المصير بالصيغة التي يراها الريفيون مناسبة.

ثم جاء دور د.عبد الوهاب تدموري الذي استهل عرضه بكون إحساس الريفيين بالإنتماء إلى الريف هو أقوى من أي إحساس بالانتماء لأي منطقة أخرى، يليه الإحساس بالانتماء إلى المغرب، وهذا الإحساس تعرض للإنكار في مرحلة معينة بحكم ارتباطنا بالمركز كمفهوم مؤسس للدولة الحالية، مما يعني ابتعادنا عن القضايا الأساسية المحلية، واعتبر أن هناك حاليا شعورا بالنضج والعودة إلى الأصل والاعتراف بالذات الجماعية لجهة شمال المغرب / الريف، وتساءل الأستاذ المحاضر أنه إذا كانت نضالات أجدادنا مبنية على أساس مبادئ وقيم كونية سامية، فلماذا لا نعيد نحن كريفيين الاعتبار لشخصياتنا التاريخية كرموز بارزة مثل ما يحصل مع الرموز التاريخية المتواجدة في بقاع مختلفة من العالم؟ معتبرا أن تعامل المخزن بعد 1956مع المنطقة كان بمنطق الانتهاكات الجسيمة والذي كان هدفه تفكيك بنيات المقاومة ورموزها، وأعطى كنموذج لذلك سد محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي اعتبر إنشاءه جريمة ضد الإنسانية، لأنه استهدف القضاء على معلمة تاريخية وحضارية هي مدينة النكور والإجهاز على سهل النكور، والذي كان من شأنه أن يحقق الاكتفاء الذاتي للإقليم في الحاجيات الفلاحية وما صاحب ذلك من العبث بالمجال الإيكولوجي للمنطقة دون الحديث عن الأموال الطائلة التي وظفت في سبيل ذلك. مصرا على ضرورة الاشتغال والبحث حول هذا الملف ومؤاخذة المسؤولين المتورطين في ذلك. من جهة ثانية، اعتبر المتدخل أنه في منتدى حقوق الإنسان لشمال المغرب يتم تبني آليات متمردة على التصورات الكلاسيكية المستندة إلى المركز للاقتراب أكثر من القضايا الحقوقية لمنطقتنا، ومن أجل الكشف عن الحقيقة كاملة ومعرفة ما جرى ولماذا جرى، سواء في شقه المتعلق بالفترة الاستعمارية أوفي ذاك المرتبط بفترة ما بعد 1956، ويروم في بعده الشامل خلق حركة اجتماعية ديمقراطية واسعة واعية، ومستعدة للنضال من أجل ضمان الحقوق السياسية والثقافية والاقتصادية لمنطقتنا. مما يتطلب في رأيه تكاثف الجهود بين مختلف الإطارات والفعاليات والمهتمين والباحثين المقتنعين بالمشروع، سواء على مستوى المنطقة أو خارجها، الأمر الذي سيمكن المواطن من معرفة حقيقة ما جرى وتحديد المسؤوليات وطرح المطالب، والبحث عن الآليات الكفيلة بإحقاق الحق، ومن ثمة مطالبة الدولة بإدماج هذه الحقائق التاريخية ضمن المقررات الدراسية لجهة الريف، وملمحا أيضا إلى أنه رغم الخصوصيات التي تميز هذه الملفات فهي تشكل إرثا تاريخيا لكل المغاربة ومادة حقوقية بمثابة قاعدة عمل مشترك، من أجل جعل الخصوصية مصدر إثراء يرتقي بالثقافة الحقوقية إلى المستوى الوطني والكوني، والذي لا يمنعنا كريفيين من المطالبة بتقرير مصيرنا الذي يكفل باقي الحقوق السياسية والاقتصادية والثقافية ضمن الدولة متعددة الجهات، وبالشكل الذي يعيد صياغة مفهوم الوحدة الوطنية. وأكد الأستاذ المحاضر على ضرورة استحضار القضايا الحقوقية على المستوى الوطني والتي تعرف انتهاكات وتراجعات خطيرة خاصة في مجالات: التعليم، الصحة والسكن، مستدلا بأرقام ومعطيات تشير إلى الوضعية الكارثية التي تعرفها هذه الحقوق، ومشيرا كذلك إلى الخرق الواضح الذي استهدف الحق في التعدد والاختلاف من خلال سن القانون الجديد للأحزاب، كما عبر عن استنكاره لاستمرار ظاهرة التعذيب بشكل واسع رغم مصادقة الدولة على الاتفاقية الدولية لمناهضة التعذيب وإقرار قانون تجريم التعذيب في القانون المغربي، كما عبر عن استنكاره لرفض الدولة المصادقة على المشروع المقدم في الأمم المتحدة لتوقيف تطبيق عقوبة الإعدام، وكذا رفضها التصديق على المحكمة الجنائية الدولية، معتبرا ذلك محاولة من الدولة للتهرب من المساءلة الدولية على الجرائم المرتكبة في حق الشعب المغربي. أما في شأن هيئة الإنصاف والمصالحة فاعتبرها تجربة فاشلة نظرا لنتائجها المحدودة، سواء فيما يتعلق بالكشف عن الحقيقة أو ما يتعلق بالتوصيات وكذا طريقة تدبير ملف جبر الضرر الفردي و الجماعي. مؤكدا على أن مدخل أية مصالحة مع الريف يجب أن يكون على أساس الإقرار بالحقوق التاريخية والسياسية والثقافية والاقتصادية للمنطقة، علما أن اعتراف حزب الاستقلال بالجرائم التي ارتكبها في حق المنطقة بعد 1956يعد مطلبا وحقا ثابتا، كما أن الاعتذار عن مضمون خطاب الحسن الثاني لسنة 1984 والذي يتضمن إهانة خطيرة لأبناء المنطقة واعترافا صريحا بمسؤوليته في الانتهاكات التي عرفتها المنطقة سنة أمر واجب على رئيس الدولة. 59/58

بعد الانتهاء من تقديم العرضين، فسح المجال للمناقشة أمام الهيئات والفعاليات ومختلف الحضور الذين ساهموا، سواء بانتقاداتهم أو توضيحاتهم أو إضافاتهم، في إغناء النقاش وإثرائه.

## جمعية بويا للثقافة والفنون بآيث بوعياش

# أمينة بوعياش: هيئة الإنصاف والمصالحة أتت بحقائق جديدة ولم تتمكن من استجلاء كل الحقيقة

قال عبد الوهاب تدموري المنسق العام لمنتدى حقوق الإنسان بشمال المغرب، خلال الندوة الوطنية التي نظمتها جمعية بويا للثقافة والفنون، بقاعة محمد بن عبد الكريم الخطابي بآيث بوعياش يوم 29/ 12/2007، إن الثابت لدى الدولة في علاقتها بحقوق الإنسان هو الخرق المستمر لهذه الحقوق، أما بالنسبة للإطارات الحقوقية فإن الثابت لديها حسب قوله هو الدفاع عن هذه الحقوق، وأضاف أن مسلسل الخروقات مستمر في الزمان وثابت في المكان، وأعطى أمثلة كثيرة على ذلك، كالاعتقالات المرتبطة بفاتح ماي والتي شملت مناضلي الحركة الأمازيغية وأحداث صفرو وغيرها، وأشار إلى أن التقارير الصادرة عن الدولة من طرف وزارات العدل، الصحة والتعليم، تشكل اعترافا رسميا بإخلال المغرب بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية.

كما اعتبر أن الجهوية الحقوقية إثراء للمشهد الحقوقي الوطني والدولي من أجل الدفاع وتثبيت هذه الحقوق.

ومن جهته أكد خالدالزيراري نائب رئيس الكونغرس العالمي الأمازيغي، أن الكونغرس وهو يستقصي واقع الأمازيغ في مناطق مختلفة بالمغرب، سجل العديد من التجاوزات والخروقات في مجال حقوق الإنسان، سواء بإهمال الدولة لسكان منطقة "أنفكو" التي عرفت 37 حالة وفاة و 500حالة إجهاض بسبب البرد والجوع، أوما ارتبط بحالات التعذيب التي تعرض لها معتقلو الحركة الأمازيغية.وأضاف أن الأمازيغ ليس لهم أي نزوع انفصالي باعتبارهم غالبية المغاربة، وهذا حسب قوله يشكل واقعا أنثروبولوجيا وسوسيولوجيا.

وفي معرض مداخلته طالب بعدم منع تسجيل الأسماء الأمازيغية بكناش الحالة المدنية وبمغربة القوانين، باعتبار أن القوانين الفرنسية مازالت سارية المفعول خاصة في المجال العقاري، إذ بموجبها تمنح امتيازات لشركات كصوديا وسوجيطا.




أما فيما يتعلق بدور الحركات الحقوقية في علاقتها بالدولة، فقد اعتبرت أمينة بوعياش رئيسة المنظمة المغربية لحقوق الإنسان، أن حركة حقوق الإنسان ليس من أهدافها التغيير بل هي حركة إصلاحية، وفسرت دلالة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والسياق العالمي الذي جاء فيه، بحيث اعتبرته نصا توافقيا لديانات وحضارات وثقافات مختلفة، نشأ في خضم الصراع بين الشرق والغرب.

وفي سياق حديثها عن مجمل التطورات التي عرفها المشهد الحقوقي بالمغرب، أكدت أمينة بوعياش على أن هيئة الإنصاف والمصالحة في تدبيرها لملف الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، أتت بحقائق جديدة وإن لم تتمكن من استجلاء كل الحقيقة.

وخلصت إلى أن الثابت في المشهد الحقوقي هو انخراط ويقظة المنظمات الحقوقية، والمتحول هو مدى تأثيرها في تحقيق الإصلاح والتقدم في مجال حقوق الإنسان.

واعتبارا للحضور المكثف الذي شهدته هذه الندوة، ولقيمة الشخصيات التي أطرتها وللحضور الرمزي للمجاهد أحمد المرابط، وكذا مستوى التنظيم الجيد الذي عرفته، وقياسا بحجم المداخلات التي سجلت، فإن هذه الندوة حققت نجاحا كبيرا على كل المستويات.

**محمد بوطسغونت**

# زوارنا بين مطرقة غياب المراقبة وسندان سائقي الطاكسيات

**■ فريد الحمدوي**

مضت أيام العيد بأفراحه، وبحرارة اللقاءات التي جمعتنا بمن نحبهم واشتقنا إليهم واشتاقوا إلينا. لكن حقيقة الأمر أن ليس كل الأعياد أفراح بالنسبة للبعض منا. فهناك من وجدوا لينغصوا على الآخرين أفراحهم، ويستغلون أوقاتهم العصيبة التي يمرون بها، ويقتنصونها بكل دقة واحتيال، حتى في الأيام التي تعتبر فرصة لفعل الخير وإظهار روح التكافل والمودة والإيخاء بين الناس.

قصتي التي سوف أرويها لكم، عن أناس ذاق كل واحد منا مرارة أفعالهم في وقت الشدة، لدغاتهم أقوى من أخطر الأفاعي، ولم يسلم أحد من حيلهم و الاعيبهم، ونظل نحمل في أعماقنا ذكرى عنهم لن تمحى مهما فعلوا من خير.

بكل اختصار، إنهم بعض سائقي الطاكسيات، الذين ينخرون جسد هذا القطاع الذي يعطي صورة سلبية عن مهنيي النقل في كل ربوع الإقليم، ويلصق بهم صفات، يذهب ضحيتها حتى المتخلقين و"أولاد الناس" منهم. وحاشى لله أن يكونوا مرآة تعكس أخلاقنا وسلوكنا.

فسائق الطاكسي بالمقام الأول، يجب أن يكون رمزا للثقة. ثقة توجبها، بالبداهة، إتقان العمل وتحمله مسؤولية سلامة الراكبين والراجلين على حد سواء، وتوجبها أيضا أخلاقيات المهنة، باعتباره حام للأمانة والودائع التي يؤتمن عليها، دون أن نغفل بطبيعة الحال، حسن السلوك والمعاملة مع الزبائن من الرجال والنساء، مع احترام كامل للقوانين الجاري بها العمل بما فيها تسعيرة التنقل المرخص بها من طرف المصالح المختصة والسلطات العمومية.

في ليلة يوم الخميس 21دجنبر 2007، بعد أن رست الباخرة التي تقل جاليتنا المقيمة بالخارج، من مدينة مالقة إلى ميناء الحسيمة، وبعد أن نزل المسافرون منهكين قاطعين المسافة الفاصلة بين مكان رسو السفينة وشباك المراقبة حاملين أمتعتهم على أكتافهم مشيا على الأقدام في غياب أية عربات - داخل وخارج المحطة- تساعدهم على جر ما حملوه من هدايا لأحبائهم؛ صادفت مسافرة مع زوجها الإسباني وابنها الصغير، (يتوجهون إلى مدينة مكناس)، ساعدتهم على إيجاد طاكسي كبير ليقلهم إلى المحطة الطرقية "فلوريدو"، (رغم أننا لا نتوفر على محطة طرقية، وهذا عار وعيب على من ترك هذه المدينة الجميلة بلا محطة في زمن نتغنى فيه بالتنمية البشرية وفك العزلة والمصالحة...).

اقترح السائق مبلغ 50درهم بلا نقاش لمسافة لا تتعدى 10دقائق مشيا على الأقدام، داخل الوسط الحضري، قبلت المكناسية وزوجها رغم تنبيهي واستغرابي، وبمجرد ما أن علم بأن العائلة في حوزتها ثلاث حقائب من الحجم الكبير رفع الثمن إلى 100درهم، رافضا التنازل عنه بكل برودة دم، كأن الأمر يتعلق بتسعيرة قانونية وحق سنته المصالح المختصة!!

أثار المشهد غضبي، فكرت في استدعاء رجال الشرطة، الذين حضروا لتنظيم حركة السير عند باب الميناء، عدلت عن الفكرة حتى لا أنغص على أسرة السائق "اللص" فرحة العيد. وفي نفس اللحظة وصل أحد أصدقائي الذي استفسرني عن حالة الغضب الشديد التي بدوت عليها، أفهمته أبعاد ما قام به بطل القصة والصورة السلبية التي سوف تظل ملتصقة بذهن العائلة عن أهل الحسيمة وسكانها، وفي الحين قرر أن يوصلهم بسيارته الخاصة بالمجان.

هي قصة، الغرض من إثارتها هو تنبيه أصحاب القرار عندنا بتوفير أقصى مستويات الحماية للمواطنين في المحطات الطرقية والمطارات... بتكثيف المراقبة بإجراءات جزرية و دوريات تقطع الطريق على سماسرة النقل العمومي (الحافلات و سيارات الأجرة الصغيرة والكبيرة)، حتى وإن كان ذلك من قبيل التكلف والنفاق، خصوصا في أيام الأعياد والعطل. ويفكروا بجدية أن هناك أكثر من 70الف نسمة تعيش داخل مدينة الحسيمة بدون محطة طرقية تليق بسمعة وجمال المدينة. وأن يسارعوا في تدعيم ميناء الحسيمة بكل ما يوفر الراحة لإخواننا العائدين إلى وطنهم، و يشعروهم حقا أنهم عادوا إلى وطن ينتمون إليه بالروح والدم و ليسوا مجرد أرقام على بطاقات التعريف الوطنية يدلون بها لأغراض إدارية ليس إلا.

تنبيها أيضا لبعض سائقي الطاكسيات الذين يشوهون، "بجشعهم وطمعهم"، سمعة وكرامة العاملين بقطاع النقل، ونذكرهم أن من بينهم، من يشرف أبناء المدينة بسعة صدورهم وتعاونهم مع زبنائهم بكل احترام ومودة، ويتخذونهم قدوة في حسن المعاملة والسلوك، لأن "الطمع طاعون والطاعون يقتل".

# إشكالية العقار والتهيئة الترابية بالحسيمة

أكد فرع الإتحاد الجغرافي المغربي / فرع الحسيمة في دراسة قام بها أن إشكالية العقار والتهيئة الترابية بإقليم الحسيمة ينبغي معالجتها وفق الدراسات التقنية لمجال المدينة التي قام بها متخصصون في مجال العقار وتهيئته، وذلك نظرا لأهمية التنظيم العقاري ودوره في التغيرات المجالية والتخطيط العمراني حيث يعتبر العقار أساس كل تنظيم سكاني ومسألة بالغة الخطورة خاصة بالحيز الحضري للحسيمة الذي تنشط به المضاربات العقارية التي لعبت دورا بالغا في رسم تطوره، ويتوقف مستقبل المدينة بشكل كبير على مستقبل السوق العقارية خاصة مع ندرة العقار وانحصار الأنشطة السكانية داخل المدينة التي تعرف قلة العقارات الصالحة للبناء بسبب طبيعة المنطقة الجبلية.

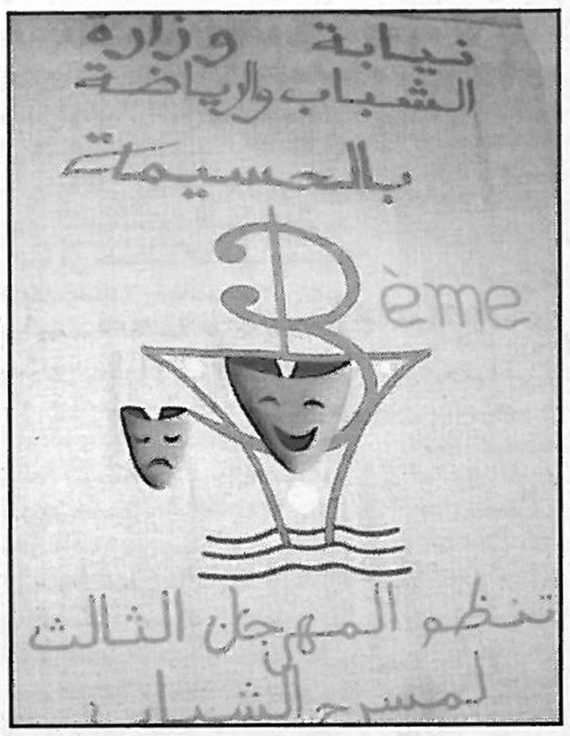
وأكدت الجمعية أن دراسة مسألة العقار بإقليم الحسيمة ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار الإكراهات الطبيعية كعائق مهم للتطور غير المحدد للنسيج الحضري، كما تشهد المدينة ضغطا كبيرا بسبب التوسع العمراني، مما يطرح التفكير في مدينة ملحقة ضمن إستراتيجية لحماية المحيط البيئي والمجالات الخضراء وخلق توازن بين البنيات الاقتصادية والثقافية الموجودة بمنطقة الريف، ووتيرة النمو الديموغرافي، مع إعادة التأهيل الاقتصادي للهوامش الحضرية للحد من الهجرة القروية نحو المجال الحضري وخلق الشروط الضرورية للرفع من مردودية التجهيزات وفعاليتها داخل المدينة.

# عرس مسرحي إقليمي بالحسيمة

في إطار فعاليات المهرجان الوطني الخامس لمسرح الشباب، الذي سينظم هذه السنة، في الفترة المتراوحة مابين واحد وثلاثين مارس وسادس أبريل المقبل بالعاصمة الرباط، نظمت النيابة الإقليمية لوزارة الشباب والرياضة بالحسيمة، من ثالث وعشرين دجنبر الفارط إلى غاية الثلاثين منه، الدورة الثالثة للمهرجان الإقليمي لمسرح الشباب، بدار الشباب محمد بن عبد الكريم الخطابي؛ وقد اشتمل حفل الافتتاح بعد الكلمة الترحيبية باسم النائب الإقليمي للقطاع، وتقديم الأندية المشاركة في الإقصائيات الإقليمية، انطلق الحفل بلوحات تعبيرية صامتة حملت عنوان (الخير والشر)، من تقديم أطفال جمعية إزوران للثقافة والتضامن، ثم أناشيد لأطفال جمعية أيوما للتربية والتنشيط، تلتها منوعات غنائية قدمها أطفال جمعية جوهرة البحر الأبيض المتوسط للثقافة والفنون، ليختتم بقصائد شعرية أمازيغية ألقاها الشاعر عبد الواحد، فمقاطع غنائية مختلفة أداها شباب جمعية تاغراست للموسيقى بالحسيمة.

وقد شاركت في هذه الإقصائيات الإقليمية ثلاث نواد مسرحية: نادي الريف للمسرح الأمازيغي بعمله (تمورغي) أي الجراد، ونادي تيفاوين لمسرح الشباب بعمله (تايوجيتش) أي اليتيمة، بدل مسرحيته (ثوارث إمضران) التي يضع آخر لمساته عليها،ونادي إحوذريان لمسرح الشباب ببني حذيفة بمسرحيته (التلميذ المشاغب)، في حين اعتذر كلا من نادي تمازغا لمسرح الشباب الذي كان سيشارك بمسرحيته (دادا)، ونادي تفسوين للمسرح الذي كان سيشارك بعمله (تسليت نوزرو) أي عروس الحجر، وغاب نادي ثويزا لمسرح الشباب الذي تأهل السنة الماضية إلى الإقصائيات الجهوية عن مسرحيته (ثيرجا سذنيفاس) أي أحلام من رماد، التي ألفها محمد سلطانة وأخرجها محمد بنعيسى. وبعد مشاهدة العروض المقدمة ومناقشتها وتقويمها، وفق الشروط الفنية والجمالية المطلوبة، من قبل لجنة تحكيم مكونة من السادة الأساتذة:

- أزوكاغ عبد السلام: رئيسا



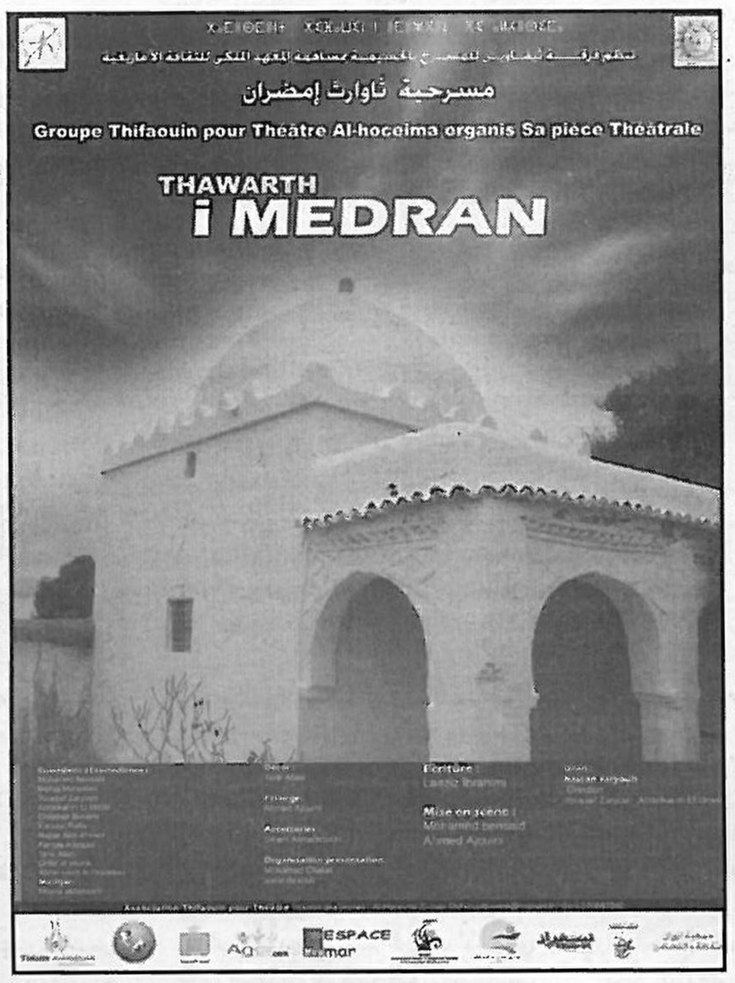

- بن يعقوب عبد السلام: مقررا
- الصابري عمر: عضوا
- أشباب محمد: عضوا
- لهيت أحمد: عضوا
- العراض ابراهيم: عضوا شرفيا

أعلنت النتائج في حفل اختتام هذا العرس الفني، حيث احتل نادي الريف للمسرح الأمازيغي الرتبة الأولى، تبعه نادي تيفاوين للمسرح في الرتبة الثانية، في حين احتل نادي إحوذريان لمسرح الشباب الرتبة الثالثة، وزعت بعدها الكؤوس والشواهد التقديرية على الفائزين، لتظل الإقصائيات الجهوية لمسرح الشباب عن جهة الشرق أوما يعرف بالمنطقة السادسة، والتي ستحتضنها مدينة وجدة أواخر شهر يناير وبداية فبراير، هي جواز المرور الصعب لنادي الريف للمسرح إلى الإقصائيات الوطنية بالرباط، وسط منافسة ستكون حتما شرسة من قبل نواد مسرحية تمثل مدن وجدة والناظور وبركان وجرادة وفكيك.

**الغلبزوري فؤاد**

# مسرحية جديدة باللغة الأمازيغية

بعد استعدادات مكثفة وتداريب شاقة بالمركب الثقافي والرياضي، و كذا دار الشباب محمد بن عبد الكريم الخطابي، ستعرض جمعية ثيفاوين للمسرح بالحسيمة بمساهمة المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، يومه السبت تاسع عشر يناير الجاري بغرفة التجارة والصناعة والخدمات بالحسيمة، مسرحيتها الجديدة (ثاوارث إمضران) أي باب المقابر، التي توظف بشكل أساس أسطورة الولي الصالح سيذي شعيب بونفتاح، دفين منطقة تمسمان التابعة إداريا لإقليم الناظور، هذا الولي الذي يقصده في وقت معلوم من السنة كما جرت به العادة، أهل الدواوير المجاورة و المداشر القريبة بل وحتى من خارج القبيلة، باعتباره مصدرا للخير والنماء ومنبعا لليمن والبركة، فيقيمون طقوسهم الاحتفالية ويلتمسون منه تسهيل ماصعب عليهم من شؤون الحياة المختلفة، وتمتيعهم بالصحة الدائمة والذرية الصالحة بله والظفر بزوج المستقبل وشريك الحياة، إلى أن أتى إلى المنطقة أحد الوجهاء الإسبان طالبا ببركة سيذي شعيب أن يرزقه الله بولد، فيأخذ معه إلى بلده في غفلة من الزائرين أحد الأطفال الذين صادفهم هناك، غير أن أهل المنطقة أتوا بهرة الولي التي عرفت بمكان الصبي عن طريق شم رائحته، فسافرت إلى هناك عبر البحر وأرجعته إلى أهله سالما، كل هذا في قالب حكائي جميل وظفت فيه الأساطير والأهازيج الشعبية وحكايات ساكنة المنطقة (ثينفاس).




هذه المسرحية حسب مأفادنا به محمد بنسعيد رئيس جمعية ثيفاوين للمسرح، تقع في ساعة وعشر دقائق، ألفها لعزيز إبراهيمي وأخرجها أحمد أجويني ومحمد بنسعيد، الأشعار لحسن زريوح، الإدارة لعبد الكريم الإدريسي ويوسف زريوح، الديكور تكلف به طارق أفاسي، والإنارة أحمد أجويني، بينما الموسيقى تكلف بها منير أقلوش و الإشهار محمد شلالي ووليد داسولي، في حين سهام المشوشي تكلفت بالإكسسوارات؛ أما الممثلون فنجد محمد بلحاج وشيماء بنعمي وعمر اليونسي، ونجلاء بن أحمد ويوسف زريوح، وكذا كوثر رافعة وكريمة أزقور ومحمد بنسعيد، إضافة إلى طارق أفاسي وعبد الكريم الموساوي وعبد الكريم الإدريسي.

# قريبا...فيلمان بالريفية

يجري في هذه الأيام بالحسيمة تصوير فيلم تلفزي بأمازيغية الريف، لفائدة القناة الأولى يحمل اسم (إمزورن)، مدته تتراوح بين ساعة وتسعين دقيقة، في حين سيتطلب تصوير مشاهده من قبل طاقم تصوير إسباني ثلاث أو أربع أسابيع، هاته المشاهد ستصور بأماكن مختلفة في كل من إمزورن وأجدير والحسيمة، وتتمحور حول مسار أسرة تقطن بمدينة إمزورن بدون أبناء، وأمام إلحاح والدة الزوج بضرورة زواج ابنها من ابنة أخيها، يضطر الزوج إلى تلبية رغبة والدته فتنشب خلافات مستمرة بين الزوجتين، الأمر الذي سيدفع بالزوج إلى البحث عن بيت آخر لزوجته الثانية، هاته الأخيرة التي سيفاجئها المخاض ليلة الزلزال تحت الأنقاض بعد تهدم منزلها، فتسارع الزوجة الأولى إلى توليدها هناك ومحاولة إنقاذها، بيد إن المولود الجديد سينجو بينما تموت الأم.

قصة وسيناريو وحوار الفيلم لمنصف قادري ومحمد اليونسي، المحافظة العامة ليوسف زهر، الإخراج لجمال السويسي يساعده زكريا عاطف، بينما إنتاج الفيلم تكلفت به دعاء productionمن الرباط لصاحبيها رشيد المودن وعبد اللطيف البريني، أما بالنسبة للممثلين فنجد على رأسهم ثريا العلوي وريم اشماعو، بجانبهم ممثلين من الحسيمة نظير طارق الصالحي ونعيمة علاش ومحمد بنعيسى وعمر الموساوي...، وممثلين من مدينة الناظور أمثال لويزة بوسطاش وسعيد المرسي والطيب المعاش وفاروق أزنابط وسميرة مصلوحي وطارق الشامي وغيرهم، دون أن ننسى محمد الحافي من إسبانيا. وعلاقة بنفس الموضوع،فيلم سينمائي ناطق بأمازيغية الريف سينجزه المخرج مصطفى الشعبي القاطن بمدينة تطوان، اختار له من الأسماء (إيزري ن - تمورت) أي أنشودة الأرض، وهي دراما اجتماعية في قالب حكائي درامي، ترصد العلاقة المتينة بين الإنسان وأرضه والتحولات التي طرأت عليها، لاسيما بعد الانتقال من البادية إلى المدينة، من خلال حكاية طفل ريفي يتيم ورث عن أبيه ضيعات فلاحية كثيرة، غير أن عمه استغل ذلك لمصلحته الخاصة، ومالبث الطفل أن شب عن الطوق ليقرر الهجرة إلى المدينة، فيستغله رب العمل أبشع استغلال ليكتشف أن المدينة ليست بذلك اللون الوردي الذي سكن خياله، عندئذ يقرر أن خلاصه الفردي سيكون في قرية تازاغين،عبر امتطاء إحدى القوارب التي ستوصله إلى الفردوس المفقود.

قصة هذا الفيلم كتبها مصطفى الشعبي، في حين تكلف جمال أبرنوص بالسيناريو والحوار، بينما الإنتاج سيكون لأسماء فيلم للإنتاج والتوزيع السينمائي بتطوان، وسيعهد بتشخيص الأدوار إلى مجموعة من الطاقات المسرحية الواعدة بالمنطقة، ناهيك عن أسماء معروفة على الصعيد الوطني مثل عمر السيد ومحمد بسطاوي وجواد السايح.

**الغلبزوري فؤاد**




## متابعات

■ *بمناسبة رأس السنة الأمازيغية الجديدة 2958أو كما هي معروفة بأسكاس أماينو، التي تحل يوم ثالث عشر يناير من كل سنة، تنظم جمعية أيوما للتربية والتنشيط بالحسيمة، يومه السبت ثاني عشر يناير الجاري، بقاعة العروض التابعة لدار الشباب محمد بن عبد الكريم الخطابي، أمسية ثقافية وفنية تخليدا لهذه الذكرى. نفس الاحتفال ستقيمه جمعية أناروز إزمغارين بآيث بوعياش يومه الأحد ثالث عشر يناير ابتداء من الساعة الثالثة بعد الزوال، سيشهد تكريم العديد من الوجوه الثقافية والفنية بالإقليم. كما ستحيي جمعية ذاكرة الريف بالحسيمة حفلا بهذه المناسبة، يوم ثاني عشر يناير ابتداء من الساعة الرابعة والنصف، سيحتضنه مقر الفضاء النقابي الديمقراطي الكائن أسفل شارع حجرة النكور.*

■ ***ستشهد رحاب المعهد الإسباني ميلشورذي خوبيانوس بالحسيمة، في الفترة الممتدة من رابع عشر يناير الجاري إلى غاية الثامن عشر منه، معرضا تشكيليا للفنان شعيب أولحاجي، سيشتمل على لوحات فنية يغلب عليها الطابع التجريدي، وهو أول معرض فردي في مسيرة هذا التشكيلي الذي رأى النور سنة 1978بتمسمان التابعة إداريا لإقليم الناظور، تخرج سنة 2000من مدرسة الفنون التشكيلية بوجدة، وهو فاعل نشيط بجمعية البادسي للفنون التشكيلية، التي تتخذ من المركز الثقافي الشريف الإدريسي مقرا لها.***

■ *لأكثر من شهر ماتزال المصابيح الكهربائية الثمانية، المتواجدة بالساحة المقابلة لجمعية التضامن للعمل الاجتماعي والإنساني بالحسيمة، على حالها معطلة عن العمل، على الرغم من أن هذه الساحة الصغيرة المجهزة بكراسي خشبية، تشكل متنفسا مفضلا لدى ساكنة المدينة، حيث يحج إليها العشرات كل مساء للترويح عن النفس، لاسيما بعد أن أقيم بالقرب منها كورنيش كيمادو 1.*

# التايكوندو الريفي ثالثا بالرباط



شاركت جمعية أنوال للتايكوندو بالحسيمة يومي السبت والأحد 29 و 30دجنبر الفارط، في نهائيات البطولة الوطنية للشبان والشابات التي احتضنتها مدينة القنيطرة، والتي شارك فيها ثلاثمائة وستون مشاركا ومشاركة ينتمون لمختلف الجمعيات الرياضية، المنضوية تحت لواء الجامعة الملكية المغربية للتايكوندو، والذين احتلوا المراتب الثلاثة الأولى خلال الإقصائيات الجهوية، التي نظمت بمدينة فاس أيام 23و 24و 25نونبر من السنة المنصرمة، إذ استطاع بطلها يوسف البستريوي أن يحتل المرتبة الثالثة في وزن أقل من 55كيلوغرام، وسط أسماء ذات خبرة دولية كبيرة في مثل هذا النوع الرياضي، فتكون الجمعية بذلك قد مثلت عصبة الريف التي يوجد مقرها بتازة خير تمثيل، وتستعد حاليا بكل قوة لملتقى كأس سفير كوريا الجنوبية السابعة (المرحلة الثانية) الذي سينظم بمدينة وجدة أو الناظور، على مدار الثلاثة أيام الأولى من شهر فبراير المقبل. بقي أن نشير إلى أن الجمعية المذكورة قد نظمت في السادس عشر من دجنبر الفارط، بمناسبة اليوم العالمي للطفل دورة تدريبية وتحسيسية بأهمية الرياضة في تكوين الناشئة، احتضنتها رحاب ملعب ثانوية أبي يعقوب البادسي.

**هذا الغلاف**

*سيلاحظ القارئ الكريم بأن غلاف هذا العدد مختلف نوعا ما عن سابقيه؛ ولذلك وجب التوضيح بأنه حينما تلقينا دعوة الحضور في أربعينية الفقيد سعيد الخطابي من قبل جمعية الريف للتضامن والتنمية؛ كان في بالنا، ونحن نشد الرحال إلى مدينة الرباط، القيام بتغطية هذه الذكرى على غرار ما نقوم به مع أحداث أخرى من نفس القيمة أو أقل أحيانا، غير أن حضور هذا اللقاء واكتشاف الأجواء الحميمية والنضالية التي ميزت أشغاله، أملت علينا فكرة توثيقه بشكل مفصل حتى يتسنى لنا تنوير الرأي العام المحلي بقيمة اللقاء والشخصيات الوازنة والشهادات النوعية التي قدمت خلاله. وبالطبع فنحن لسنا في غفلة من المساجلات الدائرة بين عدد من الفاعلين حول أهمية الحدث ومكانته، ولكن وجهة نظرنا في الموضوع تقضي بكوننا، كصوت إعلامي ريفي، لا يهمنا كثيرا التعبير عن المواقف - في مثل هذه الأحداث المرتبطة بالرأسمال الرمزي التاريخي للريفيين وللمغاربة أجمع - بالقدر الذي يهمنا فيه التوثيق لهذا الحدث، خاصة إذا نظرنا إلى طبيعة التغطية الإعلامية الباهتة التي حظي بها (الحدث) سواء على المستوى الرسمي، الحزبي أو المستقل. علما أننا لا نزال في أمس الحاجة إلى نشر مثل هذه الشهادات لاسيما إذا كانت صادرة عن شخصيات وازنة ومسؤولة. كما أن قناعتنا راسخة في كون القارئ العزيز يملك من الذكاء ما يجعله قادرا على موضعة الأشياء في مواضعها الصحيحة ويكتشف الحقيقة من غير أن تملى عليه من قبل أية جهة مهما كانت.*

## كلمة جمعية الريف للتضامن والتنمية بمناسبة أربعينية المرحوم سعيد الخطابي

# من أجل الحفاظ على الذاكرة الوطنية بكل أبعادها




**من بين الأشياء التي كان يتمنى إنجازها في حياته هي إخراج مذكرات الأمير الخطابي وطبعها ونشرها كجزء مهم من الذاكرة الوطنية. ونحن نتمنى اليوم على عائلة فقيدنا، رحمه الله، أن يحققوا له تلك الأمنية، بصفتها أمنية كل المغاربة والباحثين، بل أمنية التاريخ الإنساني نفسه.**

السادة الوزراء وممثلو الأمة في البرلمان،
السادة ممثلي السفارات،
السيد رئيس المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان،
السيد عبد الكريم بن سعيد الخطابي وكل أعضاء الأسرة الخطابية،
الضيوف المحترمون والحضور الكريم.. السلام عليكم ورحمة الله.

يسعدنا في "جمعية الريف للتضامن والتنمية" أن نشكركم على تلبية الدعوة ونرحب بكم في هذه المناسبة، مناسبة أربعينية فقيدنا الأستاذ سعيد الخطابي، الذي استقبلنا هنا في هذه القاعة، قبل تسعة عشر شهرا من هذا اليوم، معلنا عن عزمه وعزم مجموعة من الفاعلين الثقافيين الانطلاق بمؤسسة محمد بن عبد الكريم الخطابي، لتسهم إلى جانب المؤسسات الوطنية الأخرى من أجل الحفاظ على الذاكرة الوطنية بكل أبعادها، في إطار العمل الوطني المتكامل ضمن المنهجية الوطنية الجديدة. وها نحن اليوم نؤكد له، بعد أن فارقنا إلى دار البقاء في الثامن من شهر نونبر المنصرم، أننا حريصون كل الحرص على صيانة إحدى أعظم لحظات من لحظات ذاكرتنا الوطنية، ذاكرة المجاهدين الوطنيين محمد بن عبد الكريم الخطابي ورفاقه، وذاكرة كل من ضحى في سبيل هذا الوطن وتقدمه.

إن صيانة الذاكرة الوطنية ليس اعترافا وتقديرا لأولئك الذين لبوا نداء الوطن حين ألمت به المحن فقط، بل هي عملية ثقافية تدفع المواطنين إلى بناء وطنهم وحمايته من الآفات التي قد تجعله يقع مرة أخرى تحت طائلة الغزو الخارجي. والأمة التي تجهل قيمة ذاكرتها التاريخية أو تنفصل عنها لسبب من الأسباب، ولا تحترم معلماتها الوطنية والتاريخية، ستكون شبيهة بسفينة أضاع بحاروها البوصلة التي تشير بل توصل إلى شاطئ السلامة.

نقف اليوم لنؤكد أن سعيد الخطابي الذي طالما تمنى من مقالاته أن يرى بلده المغرب في مستوى تضحيات أبنائه عبر التاريخ، وبصفة خاصة تاريخ التحرر من الاستعمار، وبناء الدولة المغربية الحديثة على أسس من الديمقراطية والعدالة الاجتماعية. قد عاش حتى عاين أن كثيرا من أحلامه، بل أحلام والده وأحلام كل المغاربة، قد انطلقت مسيرتها لكي تتوجه إلى بناء دولة المؤسسات واحترام حقوق الإنسان وحرية التعبير وتحقيق العدالة الاجتماعية لكل المغاربة حيثما وجدوا، مدعمة بانطلاق الأوراش الكبرى للتنمية الشاملة في مغرب العهد الجديد.

والمطلع على ما كان يطالب به سعيد الخطابي في الصحافة المصرية والمغربية من سياسات تحررية ورد الاعتبار لمؤسسة الدولة بصفتها مركزا لتفاعل المبادرات الخلاقة، وليس بوصفها أجهزة لمصادرة الرأي الآخر وممارسة سياسة القمع والتنكيل بالخصوم السياسيين، يدرك لماذا بادر لمساندة منهجية المصالحة بصفتها منهجية عالمية جعلت المغرب يدخل مجال حقوق الإنسان من بابه الحقيقي. فهو يعتبر أن الاعتراف بالخطأ فضيلة إنسانية قبل أن يكون سياسة وطنية أو سلوكا أخلاقيا ضروريا لمن أخطأ. و كان رحمه الله يرد على كل من يشير إلى النقائص التي شابت أو يمكن أن تشوب عمل هيأة الإنصاف والمصالحة بقوله: "كل عمل كبير يبدأ بخطوات، وما يحدث حاليا في المغرب عمل كبير...وبالنظر إلى ما وقع، فإن المغاربة كلهم يتحملون مسؤولية ما حدث بعد حصول المغرب على الاستقلال. وحاليا تولدت قناعة لدى الكثيرين بضرورة إشاعة المحبة بين الناس، والتعاون والتآزر بين أقاليم المملكة المغربية، لأن المصالحة بدون هدف جوهري لا جدوى منها. وأعتقد أنه قبل سنوات لم يكن أحد يخطر على باله أنه ستحدث هيأة للإنصاف والمصالحة في المغرب، تفتح ملفات انتهاكات حقوق الإنسان. وهذا في حد ذاته أعتبره تقدما ملموسا، وأظن أننا ما زلنا نسير في طريق التقدم". جريدة الصباح بتاريخ 7/ 06/2005.

ومن هذا المنطلق، وبغية الإسهام في إنجاح هذا المشروع الوطني الكبير، فإن الراحل قد دعا في مناسبات مختلفة، إلى ضرورة الانكباب على صيانة الذاكرة الوطنية وإعادة الاعتبار ?على وجه الخصوص- للتجربة الفذة التي صنعها المجاهد الكبير محمد بن عبد الكريم الخطابي بمعية رفاقه المجاهدين، باعتبارها تجربة وطنية يحق للمغاربة أن يفتخروا بها، وأن يلقنوا دروسها وعبرها للأجيال اللاحقة لتحصين الوطن وإكسابه المناعة الضرورية لمواجهة أخطار وتحديات الحاضر والمستقبل.

وتجدر الإشارة إلى أن الفقيد رحمه الله، قد بادر إلى أن يكون من بين مستقبلي جلالة الملك محمد السادس في زيارته الأولى لإقليم الحسيمة، مسقط رأس والديه ومنطلق إحدى أعظم ملاحم المغرب ضد الغزو الأجنبي.

أيها السادة والسيدات، لا المقام ولا المناسبة يسمحان بالاسترسال في التذكير بمناقب الرجل، أو الإشادة بمواقفه التي سار فيها سيرة والده مع احترام المتغيرات التي هي سنة الحياة، لأنها سيرة متجددة متواصلة الحلقات، وقيمة كل جيل تكمن في ما يضيفه من حلقات إلى زمانه ومطالب عصره، ولذا قيل: " قيمة كل عمل تاريخي لا تكمن في ما فعله الأوائل فقط، بل فيما ترك ليفعل". وهذه سنّة الحياة الجديرة بالاعتبار، وكان سعيد أحد أولئك الذين اعتبروا تلك السنّة، وانخرط فيها بقدراته وجهده. وربما كانت هناك أشياء كثيرة يتمنى إنجازها في حياته. ونعلم أن من بين تلك الأشياء التي كان يتمنى إنجازها في حياته هي إخراج مذكرات الأمير الخطابي وطبعها ونشرها كجزء مهم من الذاكرة الوطنية. ونحن نتمنى اليوم على عائلة فقيدنا، رحمه الله، أن يحققوا له تلك الأمنية، بصفتها أمنية كل المغاربة والباحثين، بل أمنية التاريخ الإنساني نفسه.

رحم الله فقيدنا رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنانه مع النبيئين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. وشكرا لكل من لبى الدعوة للترحم على أخينا سعيد الخطابي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

**تلاها الرئيس: أحمد بنتهامي**

## دلالة ومغزى تنظيم أربعينية الفقيد

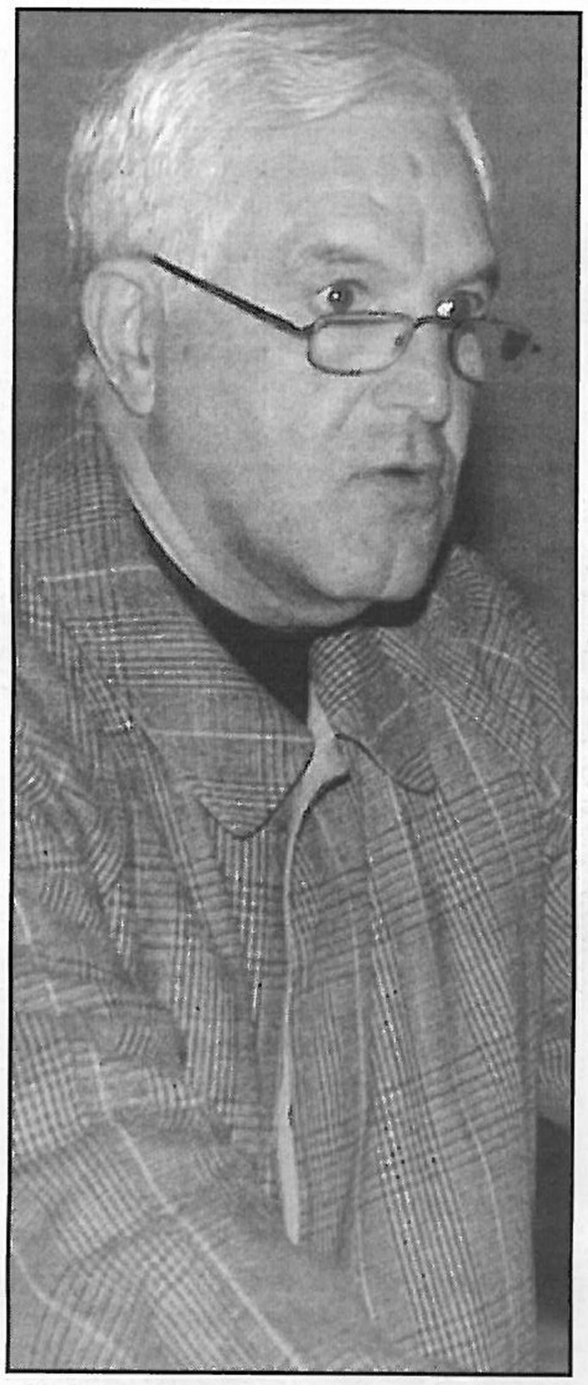
■ ذ.حكيم بنشماش

" ... عندما أخذت جمعية الريف للتضامن والتنمية على عاتقها مهمة تنظيم أربعينية الفقيد الغالي سعيد الخطابي، بعد سلسلة من المشاورات مع أسرته ورفاقه، فقد فعلت ذلك ليس لمجرد العمل بتقليد دأب المغاربة الأحرار على ممارسته كلما تعلق الأمر بإحياء ذكرى شخصية وطنية فذة من طينة الفقيد ، بل أساسا من اجل تجديد الوفاء للقيم والمثل النبيلة التي ناضل في سبيلها فقيدنا الغالي إلى جانب والده، الحي أبدا ، محمد بن عبد الكريم الخطابي.

أجل يكمن المغزى العميق من تنظيم الجمعية لأربعينية المرحوم سعيد الخطابي، بالإضافة إلى تذكير جيل الشباب بخصال ومناقب وأخلاق وقيم الرجل في زمن انحسار الأخلاق والقيم، في التأكيد على حاجتنا الملحة التي هي بالتأكيد حاجة قطاع عريض من المغاربة إلى صيانة ذاكرتنا الوطنية ، حاجتنا بصفة خاصة إلى صيانة إحدى أعظم لحظة من لحظات ذاكرتنا الوطنية: ألا وهي ذاكرة المجاهدين الوطنيين الصادقين، وفي طليعتهم أمير المجاهدين محمد بن عبد الكريم الخطابي ورفاقه، وذاكرة كل الشرفاء الذين ضحوا بالغالي والنفيس في سبيل تحرير وتحرر الوطن وكرامة أبنائه، على اعتبار أن هذه الذاكرة المشرقة هي ملك للمغاربة يحق لهم أن يفتخروا بها بين الأمم ومن واجبهم أن يلقنوا ما تنطوي عليه من دروس وعبر للأجيال الحاضرة واللاحقة من أجل تحصين الوطن وإكسابه المناعة الضرورية لمواجهة الأخطار والتحديات المحدقة به في الحاضر والمستقبل."

## زكي مبارك في الذكرى الأربعينية:

# أليس من العار ألا تجد مؤسسة عبد الكريم الخطابي مكانها بين المؤسسات الوطنية والعالمية؟



***الحمد لله حق حمده، وما كل نعمة إلا من عنده.***
***ايتها الأخوات الكريمات، ايها الإخوة الفضلاء، السلام على جمعكم الموقر.***

أما بعد، فقد تعرفت على سعيد الخطابي تغمده الله برحمته الواسعة، ولأول مرة، في مدينة "لايدن" الهولندية سنة 2001، بمناسبة احتضان جامعتها المشهورة ندوة دولية حول والد الفقيد أمير الجهاد "محمد بن عبد الكريم الخطابي". خلال مداخلتي، قاطعني سعيد وانتقل من مكانه إلى منصة الخطابة، ليتيقن من صحة بعض الوثائق التي اعتمدتها في مداخلتي. وبعد نهاية الجلسة، جرت بيننا نقاشات حادة ولكنها ودية، اطلعت خلالها الفقيد سعيد على وثائق أخرى لم يكن لديه علم بها. وحصل بيننا تفاهم يقضي بضرورة الاحتياط والاحتراز من عدة كتابات وتصريحات صحفية نسبت إلى الأمير وهو بريء منها، أو حرفت مضامينها قصدا. من هذا اللقاء بمدينة ليدن الهولندية، بدأت علاقاتي تتوطد مع عائلة آل الخطابي وكذلك مع العديد من المختصين بتاريخ الرجل وجهاده من أبناء الريف وغيرهم.

ولما تم الاعتراف الرسمي من طرف الحكومة المغربية في عهد المناضل عبد الرحمن اليوسفي، "بمؤسسة محمد بن عبد الكريم الخطابي" بتاريخ 25-04-2004بتسليم وصل الإيداع، وهي مؤسسة ذات النفع العام، رأت مجموعة من المثقفين تفعيل هذه المؤسسة لتلعب دورها وطنيا ومغاربيا ودوليا. ولهذه الغاية وتحقيقها تمت عدة لقاءات وجلسات عمل في بيت آل الخطابي بالدار البيضاء بحضور المرحوم سعيد، وبمقر جمعية الريف للتضامن والتنمية بالرباط بحضور سعيد، وببيت الدكتور عمر الخطابي تغمده الله برحمته الواسعة بمدينة القنيطرة...أسفرت هذه اللقاءات المتكررة بعقد أول تظاهرة ثقافية تنظمها مؤسسة عبد الكريم الخطابي بمدينة الحسيمة يومي 28و 29يوليوز ...2004أول تظاهرة حول أمير الجهاد الخطابي منذ الاستقلال، وفي مدينة يكاد يكون محرما فيها ذكر اسم عبد الكريم أو اختياره كاسم لمولود جديد. صدر عن هذه الندوة بيان مدينة الحسيمة حول تأسيس "المجموعة المغاربية للبحث في تاريخ عبد الكريم الخطابي"، والتي اتخذت من مقر جمعية الريفَ للتضامن والتنمية عنوانا لها. وللتاريخ نقول، ما كانت هذه الندوة لتعقد لولا التدخل الفعلي والعملي لصاحب الجلالة الملك محمد السادس الذي أوفد مستشاره الخاص الدكتور عباس الجراري لتتبع جلسات هذه الندوة من جلستها الافتتاحية إلى جلستها الختامية.

أيها الإخوة الكرام، لعل العديد من المتواجدين في هذه القاعة اليوم، مازالوا يتذكرون اللقاء الذي احتضنه هذا المكان يوم 27مايو 2006، والذي ترأسه الفقيد سعيد الخطابي، حضر جلسة الافتتاح صفوة من رجال الفكر والقلم والسياسة، والدبلوماسية، والباحثين الجامعيين، ورجالات المقاومة وجيش التحرير، ومسؤولين حكوميين... كان الغرض من عقد هذا اللقاء الدراسي، تفعيل نشاط "مؤسسة محمد بن عبد الكريم الخطابي" للتعريف بأفكار الرجل ورؤاه ومواقفه التي عاش مجاهدا من أجلها منذ الثورة الريفية التحريرية المجيدة إلى يوم وفاته بأرض الكنانة، أفكار ورؤى ومواقف أصبحت مع الزمن وبعد وفاته أكثر شهرة من صاحبها، فجعلت من الخطابي الإنسان والرجل، والفكر والعقيدة والسلوك قيمة تاريخية، وسياسته دائمة الحضور في الساحة الوطنية والمغاربية والعالمية. تلخص هذه الأبيات الشعرية، التي أدخلنا عليها بعض التعديلات، هذه القيمة التاريخية وأبعاد هذا الرجل:

كذب الناس فيك..لست بميت ... إنما أنت خالد الذكر حي
الخطابي أنت، كيف لا تك محفو ... ظا من الموت أيها العبقري
أنت في الدهر خالد بقواف ... تاه فخرا بحسنها المغربي
رضي الشعر عنك، والشرق والقر ... آن، والله والورى والنبي.

أخواني أخواتي، أخونا سعيد، عزيزنا سعيد، رفيق الدرب سعيد، وصديقنا سعيد، فارق هذه الدنيا بعد أن كان بالأمس القريب يخطب في الجلسة الافتتاحية لليوم الدراسي الذي احتضنته هذه القاعة بالذات..خطب سعيد وتجاذب أطراف الحديث مع الأحباب والأعزاء، ولا أحد منا كان يتصور أن هذا اللقاء سيكون بذات الوقت لقاء وداع...لقاء ما بعده لقاء.

انتقل سعيد الخطابي إلى جوار ربه، وانتقل عمر الخطابي إلى دار البقاء، فما سيكون مصير المؤسسة التي تحمل اسم "الخطابي"، أليس من العار أن لا تجد مكانها من بين المؤسسات الوطنية والعالمية التي تخلد وتمجد عظماء الرجال الذين أسدوا للإنسانية خدمات جليلة في ميدان الفكر أو الطب أو التحرر.

فهل سنخرج من هذا اللقاء كما خرجنا من لقاء البارحة..نعتذر ونتأسف ونعتبر لحظات..ثم سرعان ما نتناسى العبر والأسى والأسف..؟

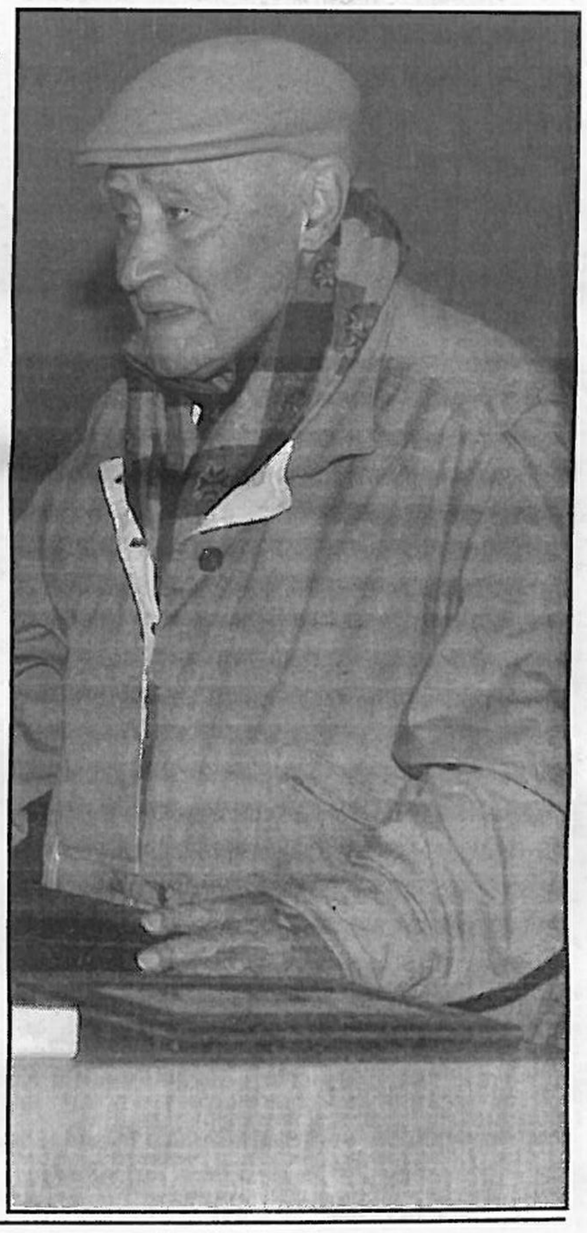
في الحديث الشريف الذي رواه الترميذي جاء فيه ما نصه:

"...لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وماذا عمل بالعلم الذي حصله؟".

وختاما اللهم أحسن مدخل سعيد وعمر، ووسع لهما في قبرهما، وألهم ذرية آل الخطابي الصبر والسلوان، واغفر لنا ولجميع المسلمين..آمين والحمد لله رب العالمين..والسلام عليكم.

## كلمة المقاوم العقيد الهاشمي الطود:

# لا ولن ننقلب على أعقابنا.. والأمير عبد الكريم سيبقى حيا بيننا شاء من شاء وكره من كره



***تحياتي للجميع، وتحياتي الخاصة للأسرة الخطابية كلها من مصر إلى الحسيمة...***
***استسمح الحضور الكريم، فصحتي على قد حالها، وسابدا حديثي باول مرة تعرفت فيها على الأمير عبد الكريم الخطابي.***

فما بين 15و20يونيو 1947، كنت موجودا آنذاك بالقاهرة أدرس بثانوية الحلمية، وفي أواخر شهر ماي جاء البوليس، وأنا كنت في عهدة الإخوان المسلمين، لأنه لما هاجرت إلى مصر سنة 1945مشيا على الأقدام رفقة أحد الأصدقاء الجزائريين وهو محمد إبراهيم القاضي من باتنة والذي أصبح ضابطا معي فيما بعد، لما وصلنا إلى القاهرة نهاية نفس السنة، تعرفنا على مجموعة من الأصدقاء المصريين، الذين كان من بينهم بعض نشطاء حركة الإخوان المسلمين، ولا زلت أتذكر منهم صالح أبو رقيق (إحدى بناته مقيمة هنا بالمغرب) وقد كان عضوا كبيرا في تنظيم الإخوان المسلمين ومحمود السرغيني اللذين مكثنا لدى أسرتيهما حوالي عامين حتى استكملنا دراستنا...إذن لما جاء البوليس إلى هؤلاء الإخوان وأخبروهم بأنهم سيلقون القبض علينا لأننا شباب مغاربة، وأن هناك أمر من جهات عليا للقبض على جميع الشباب الذين لا يملكون أوراق الإقامة حفاظا على أمن وسلامة عبد الكريم الخطابي..فأخذونا إلى السجن وأعتقد بأن القدر كان معنا، بحيث وجدنا بنفس السجن أنوار السادات، الذي كان برتبة كولونيل، ومجموعة من نشطاء حركة الإخوان المسلمين الذين كان من بينهم سعد زغلول فؤاد وأمير حبشي وستة ضباط ألمان، وقد حرضنا هؤلاء المعتقلون فيما بعد على الدخول في الإضراب عن الطعام، وفعلا نفذنا الإضراب حتى زارتنا النيابة العامة في السجن والحقيقة أننا استمتعنا بوجودنا في هذا السجن الذي كان خاصا...ولما جاء رجال النيابة العامة وتعرفوا على وضعيتنا الصحية التي أضحت متدهورة بعد 12يوما من الإضراب، تمت إحالتنا (أنا وصديقي الجزائري محمد إبراهيم القاضي الذي اختطف في المغرب وهو من الضباط 56للأمير عبد الكريم الخطابي الذين اختطفوا ك" حدو أقشيش" و"تركي سعيد" وآخرين) على مستشفى قصر العيني بالقاهرة الذي مكثنا فيه حوالي 4أيام. وكانت هناك فتاة جزائرية تشتغل ممرضة بهذا المستشفى، تقربنا إليها وسألناها عما إذا كانت تعرف المنزل الذي يقيم فيه الأمير عبد الكريم الخطابي، فأفادتنا بأنه يقع على مقربة من المستشفى الذي نحن فيه، وقمت بتحرير رسالة للأمير على وعد أن أحد أخوالي وهو عبد السلام الطود كان ضمن البعثة المغربية الحسنية في مصر، وكان ذلك بأمل أنه يعرفه..وبالفعل وصلت الرسالة للأمير فقام بإجراءاته، لأنه بعد يومين فقط جاءنا مغربي من البعثة الحسنية المغربية إسمه الحاج إدريس السوسي رفقة كل من عبد الكريم ابن الأمير وعقيد من البوليس المصري يطلبون منا وقف الإضراب عن الطعام ليتمكنوا من معالجة ملفنا وتحقيق مطالبنا، وكان أن تم الاتفاق فيما بيننا، وفي اليوم التالي جاءونا وقادونا تحت حراسة عقيد البوليس حتى أدخلونا منزل الأمير، والحقيقة أن المناسبة كانت غالية جدا بالنسبة لي..فأن أنظر مباشرة إلى وجه الأمير كان شيئا لا يصدق خاصة إذا علمنا أن صورته كانت ممنوعة التداول بالمغرب، وأتذكر أنه بمجرد أن تعرف علينا قال للعقيد الذي رافقنا ورجاله: عليكم الآن أن تتفضلوا بالخروج فهؤلاء هم أبنائي..ثم دعانا لتناول بعض الطعام... فبادرته قائلا: لكن سيدي ليس قبل أن نحل معك مشكلة، فرد: ما هي هذه المشكلة؟ فقلت له بأننا كذبنا عليه كذبة صغيرة تتمثل في كون رفيقي ليس بابن عمي وإنما هو رفيق دربي من باتنة الجزائرية مشيا على الأقدام حتى القاهرة، فكان رد فعله أن قام من كرسيه وعانقنا عناقا حارا قائلا: هكذا أريد أن يكون أبناء المغرب العربي، فأنتم أول شباب المجاهدين والجنود عندي هنا..أستسمحكم فأنا أعيش هذه الأمور في دمي (اغرورقت عيناه بالدموع)..وكي لا أطيل عليكم...ثم استدعى الأخ ادريس السوسي الأستاذ أحمد التمسماني كان عضوا بالبعثة الحسنية، وطلب منه أن يتكفل بنا من كافة النواحي، وخصنا الأمير بمنحة من جيبه الخاص. وما زلت أتذكر جيدا كيف أنه كان يقيم لنا (مجموعة من الشباب المغاربيين) مجلسا خاصا عبارة عن درس في السيرة النبوية معتمدا على كتاب "الشمائل" لابن تيمية..وأتذكر يوما أن أحد الطلبة استفسر الأمير عن سبب غياب أبنائه عن هذه اللقاءات، فكان رده بأن الأبناء لا يعرفون المغرب و سيحين وقت ذلك فيما بعد...ربما ليس هناك أحسن ما أختتم به من قوله تعالى " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم" ونحن لا ولن ننقلب على أعقابنا، فالأمير عبد الكريم سيبقى حيا بيننا شاء من شاء وكره من كره..(مختتما بتحية عسكرية).

## حرزني رئيس المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان

# استعادة رفات عبد الكريم ونجله ستجعلنا أقرب من القيم التي ترمز إليها عائلة الخطابي

السيدات والسادة،
الإخوة في جمعية الريف للتضامن والتنمية،
الحضور الكريم،

الحقيقة أني لم أحظ بشرف التعرف على الفقيد سعيد الخطابي، والقليلون من عائلة الخطابي الذين حظيت بشرف التعرف عليهم، وأذكر منهم على الخصوص فقيد آخر وهو الدكتور عمر الخطابي الذي فارقنا قبل شهور معدودة، إضافة إلى الأخت والسيدة الفاضلة عائشة الخطابي الحاضرة معنا والتي تشرفت بأن تكون عضوة داخل المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان الذي نترأسه. ومع كل ذلك، يبدو لي أن المعرفة الشخصية المباشرة ربما لا تهم، لأن أسرة الخطابي موجودة في وجداننا جميعا، ولما أقول هذا فليس من باب المجاملة وإنما هو شيء نشعر به كلنا بالنظر إلى المكانة التي يحتلها في ذاكرتنا ووجداننا، وهو الشيء الذي سماه الأخ بنشماش تسمية لائقة جدا حين عبر عنه ب "عبد الكريم الحي أبدا" وهذا ما يشهد به الجميع ليس في المغرب فحسب ولكن في كافة أنحاء العالم، خاصة وأنه دوخ استعمارين، مما اضطر هذان الاستعماران، اللذان كانت بينهما منافسة شديدة، إلى التحالف فيما بينهما للوقوف ضد مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي، بتجنيد أكثر من 700الف جندي واستعمال أسلحة محظورة حسب ما تراكم لدينا من معلومات، خاصة استخدام الغازات السامة. وكما هو معروف دوليا، فمحمد بن عبد الكريم يعد رائدا من رواد حركات التحرير العالمية ومبدع تقنية حرب العصابات، كما أن التاريخ يشهد أنه لم يكن رجلا محاربا فقط وإنما مدبرا أيضا، وهناك قرائن كثيرة تثبت أنه استحدث أساليب متقدمة جدا في تدبير الشان العام، كما عرف عنه تشبعه بالقيم الإسلامية والكونية الداعية إلى ضرورة احترام حياة وكرامة الإنسان، وهذا ما أبان عنه فيما يتعلق بموضوع معاملته للأسرى التي يشهد الجميع، بما في ذلك الأوربيين، بانها كانت معاملة إنسانية متميزة. المهم كما قلت هو أن أسرة الخطابي وعلى رأسها محمد بن عبد الكريم الخطابي هي في ذاكرتنا ووجداننا وهي مرادفة لقيم الحرية والديمقراطية والعدالة...وقد اقتعنا جميعا من خلال تتبع الشريط الذي شاهدناه قبل قليل كيف أن الفقيد سعيد الخطابي ظل إنسانا متشبعا بهذه القيم والأفكار التي ما زلنا نكافح لأجل ترسيخها، فنحن ما نزال في بلادنا بحاجة إلى مزيد من العلامات للتدليل على أننا تقدمنا في هذا المسار؛ وربما من العلامات القوية التي ستدل على هذا التقدم هي استرجاع رفات الفقيدين الآن إلى وطنهما، وهذا ليس فيه أي تنكر للإخوة المصريين، ولكن أعتقد أن الشعب المغربي أحق بأن يستعيد رفات محمد بن عبد الكريم الخطابي ونجله سعيد. ولا شك أن تحقيق هذه الأمنية سيعني كوننا تقدمنا كثيرا في سبيل ترجمة مضامين الأفكار والقيم التي ترمز إليها عائلة الخطابي.



لم يبق لي سوى أن أترحم من جديد على فقيدنا سعيد الخطابي وأدعو الله لأن يسكنه فسيح جناته والسلام عليكم ورحمة الله.

## كلمة أسرة سعيد الخطابي

أتوجه أولا بأسمى معاني الشكر والعرفان لجلالة الملك محمد السادس أيده الله، على العناية الملكية التي يوليها للأسرة الخطابية، وخاصة ما جاء في رسالة التعزية الملكية السامية التي خص بها أسرة والدي سعيد الخطابي، وعلى الشعور النبيل الذي يكنه للمجاهد المغربي محمد بن عبد الكريم الخطابي والذي عبر عنه جلالته في رسالته سنة 1999. كما أتوجه بالشكر لجمعية الريف للتضامن والتنمية على هذا التابين وكل من ساهم في تنظيمه، كما أود أن أشكر كل من شرفنا بحضوره لتابين والدنا رحمة الله عليه والذي كنا نلقبه بوريث كفاح المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي. كما أنقل لكم شعور أسرة سعيد الخطابي الذين لم يتمكنوا من الحضور لظروف إقامتهم خارج المغرب.


عائشة الخطابي

أيها الحضور الكريم، فقد كان والدنا، كما تعلمون، يكتب في الصحافة من وحي أفكار وتراث محمد بن عبد الكريم الخطابي، وقد كان رحمه الله يعد لنشر كتاب يحتوي على مجموعة كبيرة من مقالاته المنشورة في مختلف الصحف العربية، هذا الكتاب أصبح قريبا من النشر ولم تبق سوى مراجعته بشكل نهائي قبل الطبع، فقد كان رحمة الله عليه معنيا باستكمال ونشر الأفكار الصحيحة عن والده بعيدا عن المزايدات والتعصبات وتصفية الحسابات الخاصة...فلم يكن ليسمح لأحد بأن يمس تاريخ المجاهد الأكبر لأجل حسابات ومصالح خاصة، باعتبار أن التاريخ ملك لكافة المغاربة، وكون جهاد عبد الكريم أصبح مدرسة عالمية في حروب التحرير.

السادة الكرام،

أصالة عن نفسي ونيابة عن أسرة سعيد الخطابي، أتوجه لكم بخالص الشكر على المجهودات المبذولة لأجل إنجاح هذا التابين، متمنيا لكم وللمغاربة ولكافة شعوب الأرض العزة والكرامة والتوفيق..والسلام عليكم ورحمة الله.

عبد الكريم سعيد الخطابي

## كلمة المقاوم محمد بنسعيد آيت يدر

# كان من واجب حكومة الاستقلال أن تكون من المستقبلين الأساسيين للعائلة الخطابية

هذه مناسبة لنقدم فيها تشكراتنا لجمعية الريف للتضامن والتنمية، التي أتاحت لي الفرصة لأحضر وأشارككم هذا التابين لأحد أعضاء عائلة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي. طبعا، فعلاقاتي الشخصية مع المرحوم سعيد الخطابي كانت محدودة، لكن اهتماماتي، بما تشكله عائلة الأمير الخطابي لدي ولدى مختلف شرائح الشعب المغربي، تجعلني أنبه إلى بعض الإشارات فقط- لأن الوقت والمقام لا يسمحان بالاسترسال طويلا - إلى ما تشكله عائلة المرحوم الخطابي..فانا أعتبر أن سعيد هو واحد من أبناء الزعيم الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي شمله الحصار الذي فرض على عائلة الخطابي للعودة للمغرب بعد الاستقلال، فقد كان من واجب حكومة الاستقلال أن تكون من المستقبلين الأساسيين لهذه العائلة، لأن الأمير هو رمز من رموز حركات التحرير. كما كان من الواجب على حكومة الاستقلال أن تنور الجيل الجديد الذي ولد بعد الاستقلال، في الكتاب المدرسي، في التربية الوطنية، في التعليم بالخصوص، لكي يتمكن هذا الجيل من التعرف على بطل من أبطال التحرير الكريم لرئاسة لجنة التحرير المغاربية، وخلال هذه الفترة لم يبق عبد الكريم مكتوف الأيدي بل ظل يستقبل الطلاب الشباب المغاربيين وإرسالهم إلى الدول العربية الشقيقة قصد تدريبهم وتهيئهم لمعركة التحرير المسلحة..وقد كانت هناك وثيقة وقعها زعماء أحزاب مغاربية آنذاك لكن العملية لم تصل إلى مداها.. لماذا؟ هذا سؤال مطروح على الباحثين لا سيما وأن عبد الكريم لم يقعد مكتوف الأيدي، بل كان يكتب نداءات للجنود المغاربة في صفوف الجيش الفرنسي لأجل الالتحاق بحركات التحرير، وكتب للجنود المغاربة الذين كانوا يحاربون في الفيتنام تحت راية الفرنسيين للانسحاب والالتحاق بمعركة التحرير بالفيتنام..ودعا دوما إلى تقوية معركة التحرير، بحيث كانت له وجهة نظر تقضي بأن لا يتم توقيف المعركة إلا بعد تحرير الأقطار المغاربية الثلاث..وخلال هذه الفترة التاريخية كان هناك أمل كبير في عودة الأمير الخطابي إلى وطنه لاسيما بعد اللقاء التاريخي الأول بين الأمير والملك محمد الخامس بالقاهرة، بحيث كان اللقاء فرصة كبيرة لطوي الصفحة التي استغلها كثيرا خصوم الوحدة الوطنية المغربية، وكذا الخصوم الذين حاولوا أن يطرحوا مشكل تشكيل



**..كان من الواجب على حكومة الاستقلال أن تنور الجيل الجديد الذي ولد بعد الاستقلال، في الكتاب المدرسي، في التربية الوطنية، في التعليم بالخصوص، لكي يتمكن هذا الجيل من التعرف على بطل من أبطال التحرير الذي شهد به الأعداء قبل الأصدقاء**

الذي شهد به الأعداء قبل الأصدقاء، حيث تم تكريم عبد الأمير عبد الكريم بإنشاء متحف خاص به بضواحي مدريد بإسبانيا يعرف بكل ما قامت به هذه الشخصية التاريخية الفذة؛ بالمقابل نجد عندنا أن منطقة أجدير التي كانت معقل معركة التحرير خربت وأهملت وطالها النسيان..إنه من الواجب علينا أن نعيد هيكلة هذه المدينة، كرمز من رموز حركات التحرير، وفق أسس تجعل منها مرآة حقيقية لتتعرف الأجيال الصاعدة على كل تفاصيل ما جرى في حرب الريف، معركة أنوال الخالدة التي أعطت درسا كبيرا للعالم فيما يخص حرب العصابات، حيث شهد بها كل زعماء العالم أمثال ماو تسي تونغ وهوشي منه وكذا جهات وشخصيات أخرى عديدة. نحن نعتبر أن محمد بن عبد الكريم نفي إلى أقاصي جنوب أفريقيا لأجل إبعاده عن المغرب، إلا أنه وكما سمعنا من تصريحات المرحوم سعيد الخطابي للقناة الثانية كان متتبعا لكل ما يدور في المغرب وهو في أقاصي أفريقيا الجنوبية، بحيث كان يبحث عن الصحف والتيلكسات لكي يظل قريبا مما يجري في المغرب. بينما نحن كان من الواجب علينا بعد الاستقلال إعطاء الاهتمام أكثر فأكثر لهذا الأمير المجاهد. وفي السنوات التي شهدت مد المعركة الاستقلالية في شمال أفريقيا، كانت فرصة سانحة لعبد الكريم الخطابي، عندما نقله الفرنسيون من لاريونيون إلى فرنسا، ليختار اللجوء إلى مصر للالتحاق بالحركة الوطنية آنذاك، ويستأنف عمله السياسي... طبعا ذلك اللقاء حضرته أحزاب مهمة في شمال أفريقيا (الجزائر، تونس، المغرب) اختارت الأمير عبد الجمهورية الريفية في الوقت الذي يعتبرون فيه أن النظام المغربي هو نظام ملكي..فمهما كان هذا الجانب، فهو غير مطروح للنقاش أمام من رفع السلاح في وجه الاحتلال الأجنبي ونادى بتحرير الوطن، طبعا فوجهة النظر يمكن أن تكون مناقشتها والتداول بشانها..ولكن كبطل لمعركة التحرير الوطني ينبغي أن يرد له الاعتبار سواء عندنا أو لدى الدولة المغربية. من جهة أخرى أرى أن جلالة الملك محمد السادس قد تمكن من فك الحصار عن الريف وعن الحسيمة بالخصوص. لأن حتى إسم بطل الريف كانت تسمية ممنوعة، وشخصيا كنت قد تعرضت لاستفسارات كثيرة في هذه القضية، بعد عودتي من الخارج سنة 1982، حول طبيعة علاقتي بعبد الكريم الخطابي، وقيل لي لماذا كنتم تنشرون في إحدى اليوميات السنوية Agenda صورة لعبد الكريم الخطابي؟ بحيث وصلت الدناءة إلى هذا المستوى..لذلك فنحن نعتبر أن موقف محمد السادس إيجابي، وأتوجه له من هذا المنبر لكي يجعل من مشروع المبادرة الوطنية للتنمية البشرية مساهما فعالا في بناء وهيكلة أجدير كموقع من مواقع الثورة الوطنية المغربية، وكذا بناء متحف لجمع كل الوثائق والعلامات الدالة على معركة التحرير حتى تتمكن ثانوياتنا وجامعاتنا من التعرف على ذاكرة وطنية ضرب عليها الحصار طوال هذه المدة الزمنية لأسباب غير مبررة...ربما هذه بعض الإشارات التي وددت التلميح إليها..أستسمحكم وأحيي عائلة الأمير الخطابي والأخت عائشة على وجه أخص...والسلام عليكم.

### حميد الكام: مدير مركز التوثيق والإعلام والتكوين بالمجلس الاستشاري لحقوق الإنسان

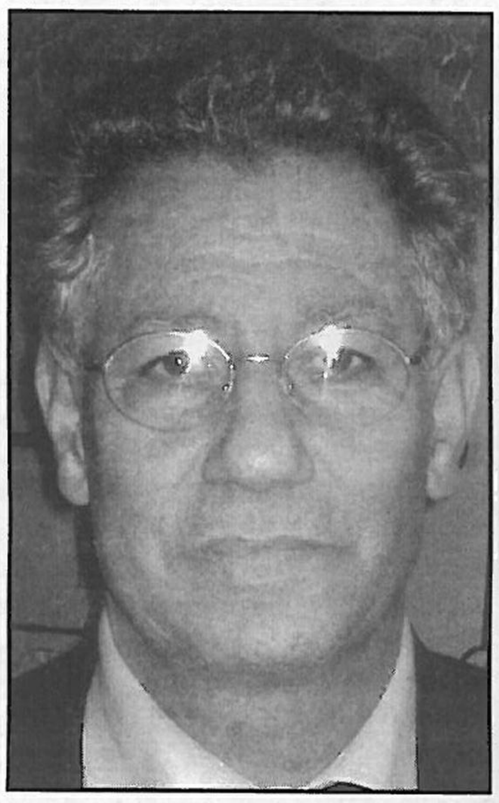
# إحياء هذه الأربعينية مناسبة لاستحضار إرث وتراث الفقيد الأكبر مولاي موحند

لا يسعنا في هذا اليوم، بمناسبة إحياء أربعينية الفقيد سعيد الخطابي، إلا أن نتوجه بتشكراتنا الكبيرة لجمعية الريف للتضامن والتنمية على تنظيمها هنا بمدينة الرباط وخارج أسوار العائلة، بغاية إعطائها بعدا أكبر ليتم إشراك عموم المغاربة في إحياء هذه الذكرى. و بطبيعة الحال فمن خلال إحياء هذه الذكرى نستعيد ونستحضر إرث وتراث الفقيد الأكبر مولاي موحند (محمد بن عبد الكريم الخطابي)، لا سيما وأن هذا الإرث يشكل تراثا مشتركا لكافة المغاربة، لا فيما يخص التضحيات الجسام التي قدمها في سبيل تحرير جزء هام من الأراضي المغربية من قبضة الاستعمار، ولا فيما يتعلق بالناحية الفكرية ومساهمته الكبيرة في الدفاع عن الحريات وكذا تدعيم ركائز ثقافة حقوق الإنسان بصفة عامة. لذلك، يبدو لي أن أقل شيء يمكن القيام به هو الحضور في هذه المناسبة كشكل من أشكال التضامن والحرص على إحياء هذه الذكرى الغالية لأجل الحفاظ على جزء هام من تراث وذاكرة الشعب المغربي كما سلفت الذكر، علما أننا ما نزال ننتظر الشيء الكثير فيما يرتبط برد الاعتبار لهذه الشخصية - الذاكرة، من قبيل تدريسها للأجيال المقبلة عن طريق إدماجها في المقررات الدراسية.

وكوني أحد الأفراد المساهمين والمواكبين لعمل هيئة الإنصاف والمصالحة، أؤكد لكم بأنه كانت هناك اتصالات ومشاورات عديدة مع الفقيد سعيد الخطابي من قبل أعضاء الهيئة وعلى رأسهم الفقيد إدريس بنزكري، وإن كان الجزء الأكبر من هذه المشاورات قد تركز على مسألة عودة الرفات، فإن المشاورات غطت جوانب أخرى لا تقل أهمية وذات طابع رمزي من قبيل ترميم موقع أجدير وحفظ الذاكرة فيما يخص الأعمال التي قام المجاهد عبد الكريم الخطابي...وكل ما يمكن أن أشير إليه فيما يتعلق بالمشاورات هو أجواء الجدية والمسؤولية التي طبعت تلك النقاشات بين أعضاء من الهيئة والفقيد سعيد الخطابي ورغبة الطرفين في استعادة الرفات وفق ترتيبات معينة.

### تصريح للأستاذ محمد الشامي (فاعل أمازيغي)

# أجواء هذه الذكرى نسجت لنا لقاء بالثورة الحقيقية لعبد الكريم الخطابي



الحقيقة أن إحياء هذه الذكرى الأربعينية للفقيد سعيد الخطابي، يشكل وينسج لقاء بالثورة لأن جيلنا لم يعش ويعايش الثورة التحريرية لعبد الكريم الخطابي، خاصة وأن الشهادات التي قدمت اليوم في هذا الحفل التأبيني هي شهادات صادرة عن أفراد عاشوا إلى جانب محمد بن عبد الكريم ومع المجاهدين الكبار الذين عايشوه بالقاهرة...وإذن فهذه الأجواء اليوم سمحت لنا بالتعرف على ثورة أخرى ليست بتلك التي نعرفها عن عبد الكريم بالريف وإنما هي ثورة حقيقية مغايرة تبدأ من سنة 1947 إلى حين وفاته...إنه فصل آخر من جهاد عبد الكريم لكنه غير معروف، لأنه كانت له مواقف كثيرة منتقدة لأنظمة دول المغرب الكبير ودول الشرق العربي أيضا. لذلك أقول بأن الشهادات المقدمة اليوم وضعتنا في الأجواء الحقيقية لفكر ونضال عبد الكريم التي نقرأها في الكتب فحسب..وبالمناسبة أتوجه بتشكراتي الخالصة لجمعية أريد التي بذلت جهودا كبيرة لتجميع هذا الجزء الهام من العائلة الخطابية وكذا شخصيات وطنية مرموقة.

### كلمة د.محمد بودرا رئيس المجلس البلدي للحسيمة:

# عازمون على تسمية أحد شوارع الحسيمة باسم شارع سعيد الخطابي تكريما لروحه الطاهرة

بسم الله الرحمان الرحيم..والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه.

إخواني وأخواتي في جمعية الريف للتضامن والتنمية،

إخواني أخواتي أفراد عائلة بطل الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي، أيها الحضور الكريم.

باسمي ونيابة عن زملائي أعضاء المجلس البلدي لمدينة الحسيمة وأهالي منطقتنا، نقدم تعازينا الحارة لعائلة المرحوم سعيد الخطابي الصغيرة وكذا لعائلته الكبيرة التي كانت تكن له كل الحب والتقدير، كما نشكر السادة أعضاء جمعية أريد التي نظمت هذه الذكرى الأربعينية لوفاة المرحوم، والتي أتاحت لنا الفرصة للتعبير عما يخالجنا من شعور بالحزن والأسى على الفقيد نجل المجاهد المغربي الكبير الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي أسد الريف وبطل معركة أنوال. لقد ظل المرحوم وفيا لروح والده الخالدة المجاهد الفذ محمد بن عبد الكريم ومتمسكا بها طيلة حياته، إنه كان مهتما بقضايا المغرب ومستقبله، خاصة قضية وحدتنا الترابية، كما كانت له إسهامات خصبة في الفضاءات العلمية والتقنية والإعلامية، حيث أن مقالاته المتعددة التي نشرت بالصحف المصرية كانت شاهدة على الحمولة الوازنة للكلمة الإنسانية الأصيلة والرصيد الغزير من الصفات الحميدة الوطنية التي تطبع الإنسان المغربي المعتز بانتسابه لوطنه. ولن ننسى تواجده أثناء الزيارة التاريخية الأولى لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله سنة 1999 للحسيمة مباشرة بعد توليه مقاليد الحكم، حيث كان في مقدمة مستقبلي جلالته، هذه الزيارة التي أعطت انطلاقة حقيقية للنهضة والتنمية ككل. وللإشارة فقد كان الفقيد يحظى باحترام وإجلال من كل سكان الحسيمة ولازالت وستبقى مكانته كبيرة في قلوب الحسيميين. واعترافا منا قدر المستطاع، كمجلس بلدي للحسيمة، لما أسداه الفقيد من خدمات للحسيمة وتكريما لروحه الطاهرة، فإننا عازمون على تسمية أحد شوارع الحسيمة باسم شارع سعيد الخطابي.

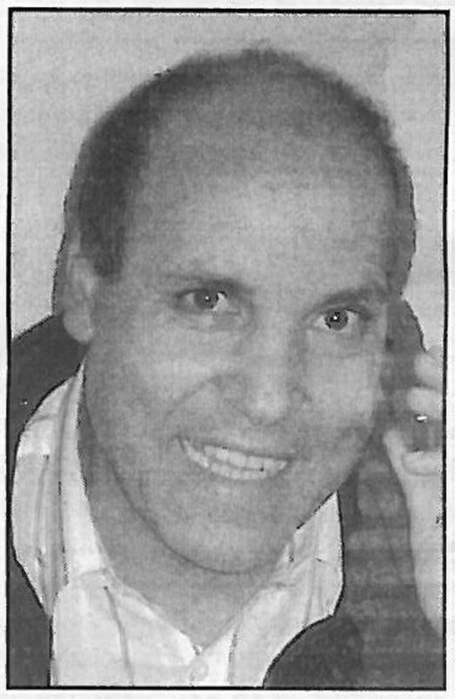
فرحمة الله على الفقيد ابن البطل وتعازينا الحارة لكافة أفراد عائلته الصغيرة والكبيرة، وإنا لله وإنا إليه راجعون...والسلام عليكم.

تلاها: مصطفى اومغار

### تصريح د.أحمد الحمداوي

# سعيد الخطابي كانت له مواقف مشرفة ولكن كانت له أخطاء كذلك

هذه الذكرى الأربعينية لوفاة سعيد الخطابي نجل عبد الكريم الخطابي، هي ذكرى تستدعي منا طرح مجموعة من التساؤلات حول ما تبقى من تاريخنا، ومن ضمنها السؤال: كيف تعاملت الأجيال مع التراث الفكري والجهادي والفلسفي لعبد الكريم الخطابي؟ طبعا هي ذكرى تأبينية لوفاة رجل هو نجل عبد الكريم، وهو نجل بيولوجي، لكن هل كان يعكس القيم والفكر والخط التحرري لعبد الكريم الخطابي؟ أرى أنه ليس بالضرورة، فنحن لم نطالب ولم ننتظر أن يكتسب الإبن ميراث الجهاد والقيم والأخلاق..سعيد الخطابي كانت له مواقف مشرفة ولكن كانت له أخطاء كذلك، كنا ننتظر أن نتموقع جميعا في المبادئ والأفكار التي ورثناها عن عبد الكريم الخطابي، لأن هناك ما يسمى بالنجل الوراثي البيولوجي، وهناك النجل الفكري والفلسفي الذي يدافع عنه جيل ما بعد عبد الكريم الخطابي. وبالنسبة لي هذه الذكرى هي ذكرى عادية تسجل أسفنا وألمنا جميعا حول ابن شخصية كبيرة جدا، وكنا نتمنى أن نرى في حياته أكثر مما كنا ننتظر، على الأقل تأسيس مؤسسة عبد الكريم الخطابي التي ناضلنا جميعا كمجموعة البحث وكمغاربة وكجيل ناضل آباؤه وأجداده من أجل فكر عبد الكريم الخطابي، لأن هذا الأخير ليس برجل عادي وبقيمة عادية. في هذا اللقاء توالت مجموعة من الكلمات تعبر عن علاقة عاطفية بالفقيد، وقد لاحظتم كيف أن بعض الكلمات قد طغى عليها بروز شخص وصورة عبد الكريم الخطابي، وكذا المواقف الإنسانية وثقافة حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية، وكذا سيادة فكر الحركة الخطابية على المستوى العالمي. من جهتي أضم صوتي إلى صوت المؤرخ زكي مبارك الذي قال بأننا نتخوف كثيرا من أن تكون هذه اللحظة مجرد وقفة عابرة ينصرف بعدها كل واحد منا إلى بيته؛ هذه الدعوة تعكس حقيقة مطامح وأماني المغاربة الأحرار الذين يؤمنون بأن عبد الكريم الخطابي رمز لا يفنى. طبعا لماذا أقول هذا في الوقت الذي نسمع فيه تأسيس مؤسسات شخصيات نكن لها الاحترام، ولكن هي شخصيات (أدنى) من أثر وشخص وقيمة ورمزية وعبقرية عبد الكريم الخطابي، وهو الذي لم نكرمه لحد الساعة بمؤسسة لا من قبل المجتمع المدني الذي كان يطمح إلى هذا الفعل لكنه صادف أشواكا كثيرة حالت دون ذلك... ولا من الدولة التي كنا ننتظر أن تقوم باستقبال عائلة الخطابي على الأقل. ففي الوقت الذي تم فيه استقبال عائلات شخصيات مغربية من قبل الحكومة، لم يحصل ذلك مع العائلة الخطابية باستثناء الزيارة الملكية للشمال عندما كان سعيد الخطابي في استقبال جلالة الملك محمد السادس. وبالمناسبة أود أن أذكر بالتأكيد مرة أخرى على أننا لا نرقى بوفائنا إلى قيم عبد الكريم الخطابي، فقد قامت مجموعة البحث بتنظيم لقاءات تشاورية مع هيئة الإنصاف والمصالحة للبت في قضية عودة الرفات، ثم طوي الملف وأطبق الصمت وأقبر الموضوع وكأن شيئا لم يكن، ولم يرد حتى في توصيات هيئة الإنصاف والمصالحة. إننا ننتظر من الدولة كذلك أن تقوم بالتفاتة على مستوى تاريخنا الوطني، لأن عبد الكريم ولد في المغرب بينما من انتفع بثمار ثورته هي مجتمعات أخرى والكل يستفيد من فلسفته إلا المغاربة..فإلى اليوم لازال مقر قيادة عبد الكريم يتبول عليه، ولازالت مواقع المعارك البطولية التي خاضها قفارا بدون نصب تذكاري ولا أي شيء يذكر، إضافة إلى أننا ظللنا ننبح كالكلاب من غير أن يسمعنا أحد بخصوص ضرورة بناء متحف وطني خاص بحرب الريف، لاسيما وأننا خلال السنوات الأخيرة بدأنا نعثر على أشياء من قبيل نصف طائرة عبد الكريم الخطابي، وجهاز تصوير يعود لعبد الكريم وخمسة جلابيب خاصة به، إضافة إلى بقايا من العتاد العسكري للمجاهدين الريفيين...أكثر من ذلك أن الذاكرة الوطنية حوصرت فيما يتعلق بهذا التاريخ المضيء، ولعل الجريمة التي نرتكبها جميعا هي أننا لا نعلم الأجيال القادمة ولا نمنحها المناعة النفسية وإذكاء شعور الوطنية لكي يحب المغاربة وطنهم وتاريخهم ويشعروا بالافتخار والاعتزاز تجاه هذه الأرواح المجاهدة التي شكلت مثالا نادرا في التاريخ. بهذه المناسبة أود أن أوجه نداء إلى كافة المثقفين المغاربة وإلى الحكومة كذلك وإلى كل من يتبجح باسم عبد الكريم في المناسبات، لأن يبادروا إلى التفكير في تكريم المجاهدين الذين سقطوا فداء لهذا الوطن، ليس عبد الكريم وحده، فهناك آخرون كثر منهم حمو الزياني، الشيخ ماء العينين، الشهيد عباس لمساعدي الذي أغتيل غدرا وآخرون. إذن أنا أظن بأننا في منعطف قد نعاتب عليه من طرف الأجيال الصاعدة، وضميرنا سوف لن يرتاح إلا بتكريم تاريخنا...ولا أخفيكم أني أتألم كثيرا حين أمر في قلعة من القلاع الحصينة للذاكرة الوطنية وهي



عبارة عن دمار وخراب...هناك شيء من المرارة مغلفة بالأمل على أن نقوم بإحياء المؤسسة بعد رحيل الأستاذ سعيد الخطابي والدكتور عمر الخطابي لأن النوايا الحسنة موجودة وصيرورة المصالحة مع الذات قد أخذت مجراها بالمغرب، ولكي يكتمل الانسجام مع ماضي محاصر - على حد تعبير الأستاذ علي الإدريسي - يجب ألا نعيد محاصرة تاريخنا.

## الأستاذ سعيد الخطابي في سطور

# الدولة لا تثق في الريفيين والريفيون لا يثقون في الدولة

***بمناسبة أربعينية الفقيد الأستاذ سعيد الخطابي، والتي أحيتها جمعية ذاكرة الريف يوم السبت 15دجمبر 2007، أصدرت الجمعية هذه الورقة التي تتضمن مجموعة من المعطيات التي تهم فقيدنا العزيز ومساره العلمي والمهني ومواقفه وآرائه.***

هو سعيد بن محمد بن عبد الكريم الخطابي، ولد سنة 1933بجزيرة لاريونيون الواقعة قرب جزيرة مدغشقر في جنوب أفريقيا، والده هو الأمير عبد الكريم (مولاي موحند) صانع أمجاد الريفيين وشعوب المغرب الكبير، والدته هي السيدة ميمونت (ثيمونت) بوجيبار، له أربعة إخوة أشقاء وهم: عبد الكريم وعبد المنعم المتوفين والمدفونين بالقاهرة، إدريس وعبد المحسن المتوفين والمدفونين بمقبرة المجاهدين بأجدير (سيدي محند واعري)، وله شقيقتين وهما السيدتان عائشة ومريم أطال الله في عمرهما واللتان تعيشان بالدار البيضاء، وله أخ غير شقيق وهو عبد السلام الذي توفي ودفن بأجدير، وثلاث أخوات غير شقيقات وهن المرحومة فاطمة (طيموش) المدفونة بالقاهرة والسيدتان رقية ومنات أطال الله في عمرهما والمستقرتان بمصر. تزوج الأستاذ سعيد قيد حياته من السيدة نعمت سالم التي رزق منها بإيمان وعبد الكريم اللذان يعيشان بالمغرب، ثم تزوج من السيدة ملك عاكف التي رزق منها بطارق الذي يعيش بمصر.

قضى سعيد الخطابي ما يقارب 14سنة بجزيرة لاريونيون التي نفي إليها أفراد العائلة الخطابية سنة 1926بعد اضطرار مولاي موحند للاستسلام للقوات الفرنسية، تابع دراسته الابتدائية والإعدادية في المدارس التي كانت تتواجد بالجزيرة، تعلم من والده وعميه امحمد وعبد السلام معنى الحرية والكرامة وقيم النبل والشهامة وتعرف على المآسي التي يسببها الاستعمار للشعوب المستضعفة، ومنذ صغره كان جادا في التعلم ومستميتا في الدفاع عن قيمه الدينية والحضارية وعن المقاومة التي قادها الأمير الخطابي.

بعد مغادرة جزيرة لاريونيون سنة 1947 واستقرار عائلته بمصر، فضل سعيد متابعة دراسته في المدرسة الأمريكية بالقاهرة، ليسافر بعد ذلك إلى أمريكا حيث واصل تعليمه في شعبة التسيير والتدبير في إحدى المعاهد التي تخرج منها خبيرا مختصا في تقييم الأعمال الفنية والتحف واللوحات التشكيلية والسجائد...

بعد عودته إلى مصر بدأ في نشر عدد من المقالات في صحف مصرية وأحيانا مغربية تناولت مواضيع في المقاومة والفكر والسياسة، ومن خلال هذه المقالات وغيرها من التصريحات والاستجوابات التي أجريت معه والندوات التي شارك فيها في المغرب أو الخارج، تبرز شخصية سعيد الخطابي المؤمنة بالقيم الإنسانية والديمقراطية والتحررية والمدافعة عن التعايش بين الشعوب ونشر السلم والسلام واحترام الخصوصيات الثقافية والعقائدية، ويبدو سعيد الخطابي فخورا بالملاحم البطولية التي أنجزتها المقاومة الريفية ومتشبعا بأفكار والده في التحرر والانعتاق ومستعدا للتصدي لكل المحاولات التي تهدف إلى تزييف التاريخ وتشويه الحقائق.

زار المغرب وبلده الريف عدة مرات، وكان غالبا ما يصطحب معه أساتذة باحثين ومهتمين وسياسيين...للتعرف على الريف والاطلاع على تاريخه الحافل بالأمجاد والبطولات والتحسر على حاضره حيث لا زال الحاكمون مصرين على تهميشه وتفقيره وتهجير أبنائه... وانسجاما مع قناعاته ولدحض الافتراءات التي تنشر عن الريفيين وتقديم إشارة إلى من يهمهم الأمر، كان الأستاذ سعيد الخطابي من الشخصيات التي استقبلت ملك المغرب محمد السادس في أول زيارة له لإقليم الحسيمة في أكتوبر 1999، كل ذلك لفتح صفحة جديدة لتعامل المسؤولين مع الريف وخلق أجواء الثقة والتعاون بينهم وبين الريفيين، لكن هيهات هيهات فسعيد الخطابي سيعود لاحقا في إحدى مقالاته ليؤكد أن: "الدولة لا تثق في الريفيين والريفيون لا يثقون في الدولة". وآخر مرة زار فيها سعيد الخطابي الريف كانت في شهر يوليوز 2004عندما نظمت مؤسسة عبد الكريم الخطابي التي كان يترأسها ندوة حول موضوع: "لجوء محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى مصر: الأبعاد والدلالات الوطنية والدولية" والتي شارك فيها العديد من الأساتذة والمهتمين. وعندما نظمت مؤسسة الخطابي لقاء إعلاميا يوم 27ماي 2006بالرباط لتفعيل المؤسسة وتجديد هياكلها وتسطير برنامج عملها، وجهت له جمعية ذاكرة الريف دعوة المشاركة في لقاء كانت الجمعية تعتزم تنظيمه بمناسبة الذكرى 85لمعركة أنوال المجيدة والذي كان سيجمع عددا من أفراد عائلة الخطابي (السيدات عائشة الخطابي ومريم الخطابي وصفية دجزايري وماجدة عاشور وأحفاد الأمير وأحفاد المجاهد امحمد الخطابي...)، أعطى سعيد وباقي أفراد العائلة موافقتهم المبدئية، لكن الحالة الصحية للدكتور عمر الخطابي رحمه الله والذي كان يرقد في المستشفى آنذاك دفعت الجمعية بتنسيق مع عائلة الخطابي إلى تأجيل اللقاء.

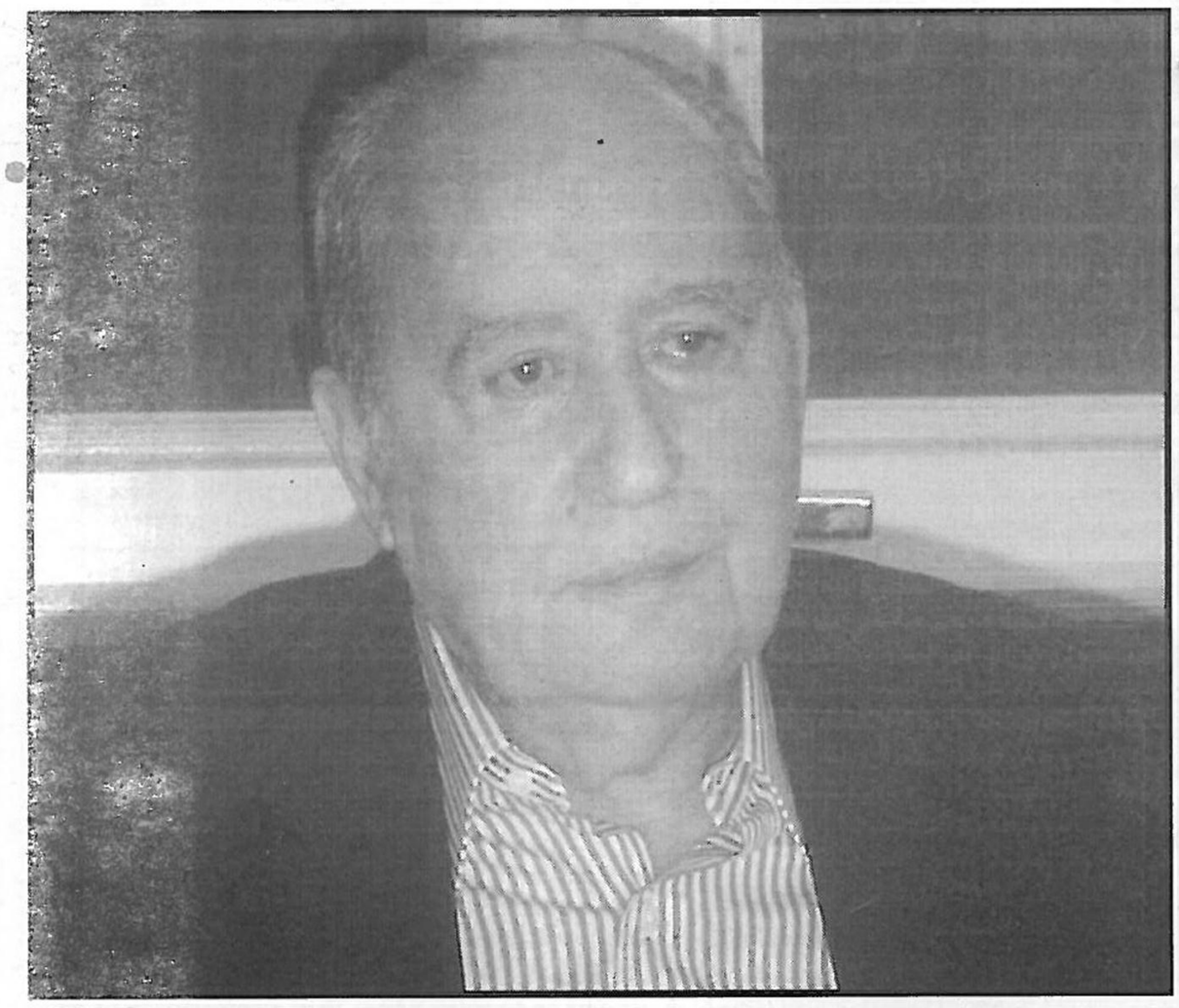
عندما زعمت هيئة الإنصاف والمصالحة أنها ستعمل من أجل إنصاف ضحايا الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان وطي صفحة الماضي وتحقيق مصالحة بين الدولة وأجهزتها من جهة والمنتهكة حقوقهم من جهة أخرى، وحاولت أن تثير قضية الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي وتاريخه وأن توهم أهل الريف والمتشبعين بفكر الأمير بالعمل على نقل رفاته من مصر إلى موطنه بأجدير، عملت على عقد لقاء يوم 24ماي 2005مع عائلة الأمير حضره الأستاذ سعيد وشقيقته عائشة وأعضاء من المؤسسة ومن مجموعة البحث في تاريخ عبد الكريم الخطابي، استغرب سعيد الخطابي لهذا الأمر واعتبر أن تصحيح التاريخ لا يمكن معالجته من خلال إدراج قضية الأمير في ملفات الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، فعبد الكريم يقول الأستاذ سعيد ليس ضحية من ضحايا سنوات الرصاص ولم يكن معارضا سياسيا لنظام ما بعد استقلال 1956، بل عبد الكريم قضية لها وزنها ورمزيتها...وصرح في حينه بما يلي: "إن عودة الرفات ليس هو القصد، بل الأهم هو المصالحة مع التاريخ ومع الريف الذي تعرض إلى التهميش، وينظر إلى سكانه على أنهم أناس متمردون، علما أنهم رفعوا العلم المغربي في كل مكان في العالم...إن المصالحة لا بد أن تتم مع التاريخ ومع الشمال ومع المغرب بكامله"، وقبل ذلك كان قد قال: "إن عبد الكريم الخطابي بما يمثله من قيم لا بد أن يعود، وهو لا محالة عائد بروحه وأفكاره وليس برفاته، لأن الأهم هو عودة الوعي وصحوة الضمير".

يوم الخميس 08نونبر 2007فارق الأستاذ سعيد الحياة بعد تعرضه لسكتة قلبية وهو نائم، ودفن عصر نفس اليوم بمقبرة الشهداء بالعباسية بمصر إلى جانب والده وشقيقيه عبد الكريم وعبد المنعم، وبانتقاله إلى الرفيق الأعلى سيكون آخر أبناء الأمير من الذكور قد رحلوا إلى دار البقاء. رحل سعيد الخطابي دون أن يتمكن من إخراج مذكرات والده إلى حيز الوجود، والبركة في كريماته التي لا زلن على قيد الحياة وفي أحفاده وأحفاد المجاهدين وكل الغيورين على الريف والوطن.

**جمعية ذاكرة الريف**

المصادر:

- مقال للأستاذ علي الإدريسي نشر في جريد تيفراز ن ءاريف
- مقالات مختلفة نشرت على الإنترنيت وبعض الصحف المغربية.



## ذكرى

كانت معرفتي بالمرحوم سعيد الخطابي عند مجيئه من القاهرة صحبة ابنه طارق إلى هولندا لحضور أعمال الندوة العلمية الدولية "محمد بن عبد الكريم الخطابي: شخصية القرن" المنعقدة في جامعة لايدن وروتردام أيام 9، 10و 11نونبر2001 حيث كنت قد شاركت بمداخلة حول "مظاهر هامشية وتهميش المجال الريفي"، كما كنت عضوا في "مجموعة عمل عبد الكريم الخطابي" التي شكلتها جمعية بادس للثقافة بروزندال (MCV (Bades، جمعية الهجرة المغربية باوتريخت ((AMMU والجمعية المغربية للعمل الثقافي بروتردام ( (MACARالتي كنت عضوا بمكتبها، من أجل التحضير لهذه الندوة الهامة التي جاءت لتكريم رجل فذ وعبقري بصم تاريخ الريف والمغرب وشمال إفريقيا ببصمات لن تمحى والتذكير بامجاده وبطولاته إضافة إلى تعريف مغاربة المهجر، وخاصة الجيلين الثالث والرابع، بجزء مغيب من تاريخ وطنهم في أفق تعزيز هويتهم داخل مجتمع متعدد الثقافات.

لا زلت أتذكر أثناء أعمال الندوة اعتراض الفقيد الشديد على وثيقة أدلى بها الأستاذ زكي مبارك وهي عبارة عن رسالة ذات نفحة قومية عربية مفرطة من والده إلى الرئيس جمال عبد الناصر مؤرخة في يونيو 1959لم يستسغ سعيد، وهو الرجل المعروف برزانته واعتداله وحكمته، نسبها لأبيه زعيم ثورة الريف.

من المؤسف أن أعمال هذه الندوة وتوصياتها القيمة والتي شارك فيها ثلة من الباحثين والمهتمين من المغرب، هولندا والجزائر، لم تحظ ?على حد علمي- بالنشر.

رحم الله الفقيدين سعيد وعمر الخطابي اللذين غادرانا إلى دار البقاء في العام نفسه ( (2007وأسكنهما فسيح جناته.

**د. سعيد الصابري**

# جمعية ذاكرة الريف
# تحيي أربعينية الراحل سعيد الخطابي

يوم السبت 15دجمبر 2007، سيبقى يوما شاهدا في تاريخ الريف، فابتداء من الساعة الرابعة والنصف مساء بدأ العشرات من الذين لا زال في قلبهم بعض من الامتنان لعائلة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي في التقاطر على فرع الجمعية المغربية لحقوق الإنسان بالحسيمة، والمناسبة هي إحياء أربعينية الفقيد سعيد الخطابي (ميس ن مولاي موح) الذي رحل عن هذه الدنيا يوم الخميس 08نونبر 2007 ووري جثمانه الثرى عصر نفس اليوم في مقبرة الشهداء بالعباسية (مصر) إلى جانب قبر كل من والده وشقيقيه عبد الكريم وعبد المنعم.

مع اقتراب الساعة الخامسة مساء كانت القاعة غاصة بعدد من أبناء الريف الأشاوس بينهم ممثلين عن عدد من الهيئات المدنية وفعاليات حقوقية وجمعوية ومهتمين. ابتدأ الحفل التأبيني بكلمة ألقاها رئيس جمعية ذاكرة الريف أكد من خلالها على أهمية إحياء أربعينية الراحل سعيد الخطابي بمدينة الحسيمة قلب الريف النابض والتي تبعد بضع كيلومترات عن قرية أجدير مسقط رأس الأمير ومركز قيادة المقاومة الريفية في عشرينيات القرن المنصرم، وذكر الحاضرين بالظروف التي واكبت وفاة عدد من أبناء مولاي موحند... كما بلغهم باعتذار الأستاذ حسين البوجدادي منسق مجموعة ثاوسنا لتوثيق الموروث الثقافي بالريف الشرقي عن المشاركة لأسباب قاهرة. بعده طالب من الحضور الوقوف دقيقة صمت ترحما على روح الفقيد وعلى روح والد الأستاذ عبد المجيد العزوزي الذي وافته المنية صبيحة نفس اليوم وعلى أرواح كل الشهداء، ثم تمت تلاوة نص الورقة التي أعدتها جمعية ذاكرة الريف والتي تضمنت معطيات عن مسار الأستاذ سعيد الخطابي وإسهاماته الإنسانية والأدبية والسياسية، وتعطى الكلمة بعد ذلك للأستاذ جمال أمزيان نجل القائد محمد الحاج سلام أمزيان ثم الأستاذ فيصل أوسار منسق لجنة دعم مؤسسة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي بأجدير فالأستاذ عبد المجيد أزرياح ومحمد يمين ومحمد ناصري ومحمد لمرابطي وبنزيك وآخرين، الذين أكدوا على خصال سعيد الخطابي وشيمه وإسهاماته الصحفية ومواقفه من تعامل الهيئة مع ملف الريف وملف نقل قبر والده، كما أكدوا على الدور الذي قامت به عائلة الخطابي في تنظيم المقاومة ومواجهة الاستعمار، والتمسوا منها (عائلة الخطابي) بالعمل على إخراج مذكرات الأمير إلى حيز الوجود لتكون في متناول كل الباحثين والمهتمين.

المكتب المسير

الحسيمة في 16دجنبر 2007

## حوار مع المجاهد والمقاوم المغاربي الهاشمي الطود

# أتحدى اليوم أيا كان من الأحزاب السياسية المغربية أن يثبت مشاركته في العمل المسلح ضد الاستعمار

**في هذا الحوار ، الذي أعده مشكورا زميلنا السكناوي الغلبزوري ، مع أحد الوجوه الوطنية الفريدة في تاريخ النضال السياسي والجهادي على المستوى المغاربي- الهاشمي الطود ، سيكتشف القارئ الكريم مدى الذاكرة القوية التي يتمتع بها هذا المقاوم الصلب ، وكذا المعزة الخالصة التي يكنها لوجه الأمير مولاي موحند ، إضافة إلى استكناه مجموعة من الملابسات التي ميزت علاقة العديد من الوجوه السياسية المنتسبة للحركة الوطنية بعبد الكريم أثناء تواجده بالقاهرة ، ومواقف الأخير ومنهجيته الفكرية والنضالية . . .وأشياء أخرى تجعل من هذا الحوار وثيقة هامة .**

■حاوره: السكناوي الغلبزوري

***أنتم واحد ممن عرف عنكم التحاقكم المبكر بالأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي أثناء نزوله بمصر، فكيف جاء انخراطكم في هذه الحركة الثورية؟***

ج: اتصالي بحركة الأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي كان منذ نعومة أظافري، وبالضبط منذ أن كان عمري حوالي 17سنة، أي في أول نزوله بالقاهرة، وهو الاتصال الذي امتد إلى غاية وفاته رحمه الله.

فقد هاجرت إلى مصر سنة 1945مشيا على الأقدام رفقة أحد الأصدقاء الجزائريين من أجل استكمال الدراسة هناك، ولما وصلنا إلى القاهرة نهاية نفس السنة، تعرفنا على مجموعة من الأصدقاء المصريين، الذين كان من بينهم بعض نشطاء حركة الإخوان المسلمين، ولا زلت أتذكر منهم صالح أبو رقيق ومحمود السرغيني اللذين مكثنا لدى أسرتيهما حوالي عامين حتى استكملنا دراستنا في ثانوية الحلمية بالقلعة.

ولما نزل الأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي أواخر ماي 1947ببورسعيد وبعدها بالقاهرة، لجئت الحكومة المصرية إلى شن حملة اعتقالات مؤقتة في صفوف اللاجئين المنحدرين من شمال إفريقيا احترازا من حصول أي مكروه للأمير، ولكوننا من بين هؤلاء اللاجئين الذين لا يتوفرون على أية وثائق، فقد اعتقلتنا السلطات المصرية وأحالتنا على سجن الأجانب.

وأتذكر أنه كان بنفس السجن أنور السادات، الذي أصبح فيما بعد رئيسا للجمهورية المصرية، ومجموعة من نشطاء حركة الإخوان المسلمين الذين كان من بينهم سعد زغلول فؤاد، وقد حرضنا هؤلاء المعتقلون فيما بعد على الدخول في الإضراب عن الطعام، وفعلا نفذنا الإضراب حتى زارتنا النيابة العامة في السجن، وتعرفوا على وضعيتنا الصحية التي كانت جد متدهورة بعد 12يوما من الإضراب، وتمت إحالتنا على مستشفى قصر العيني بالقاهرة الذي مكثنا فيه حوالي 4أيام.

ومن داخل المستشفى تعرفنا على منزل الأمير محمد بن عبد الكريم عن طريق فتاة كانت تشتغل ممرضة بنفس المستشفى، والتي تكلفت بحمل رسالة إلى الأمير الذي بعث إلينا وفدا، بهدف الإطلاع على وضعنا في السجن وإقناعنا بضرورة وقف الاضراب عن الطعام، والعمل على تحقيق مطالبنا.

***وما هو فحوى الرسالة التي بعثتموها إلى الأمير؟***

ج: صراحة الرسالة كانت عادية، هي مجرد إخبار بتواجدنا في سجن الأجانب وأنه لنا رغبة في الالتقاء به وزيارته، كما أن فحوى الرسالة كان يتضمن سبب تواجدنا بأرض الكنانة التي وصلنا إليها مشيا على الأقدام، وهو هدف الدراسة بطبيعة الحال، حيث كانت مصر آنذاك قبلة لطلاب شمال إفريقيا وباقي الدول العربية، كما كانت ساحة لالتقاء وتمركز قادة بعض الحركات التحررية لشمال إفريقيا

***ممن كان يتكون هذا الوفد الذي بعثه إليكم الأمير؟***

الوفد كان يتكون أساسا من أحد أبناء الأمير المجاهد، ومجموعة من الإخوان المغاربة وأتذكر بالضبط شخص يسمى الحاج إدريس السوسي الذي يتواجد الآن في طنجة، وكان آنذاك ضمن أعضاء البعثة الحسنية بمصر، كما كان برفقتهم ضابط من الشرطة المصرية، وقد تمحور لقائهم معنا حول ضرورة فك الإضراب، فرفضنا في اليوم الأول، فعاودوا الاتصال بنا وزيارتنا في اليوم الموالي واستجبنا آنذاك لطلبهم، وبعدها حملونا مباشرة إلى منزل الأمير.

***أظن أنه بعد شهور قليلة من استقبالكم من طرف الأمير المجاهد، التحقتم ضمن مجموعة من المتطوعين العرب للجهاد بفلسطين؟***

تقريبا، فمباشرة بعد استقباله لنا، قرر أن يكون بقائنا في مصر على حسابه الخاص مسكنا وأكلا، وخلال هذه الفترة الممتدة بين ماي- أكتوبر كنا نحضر لاستكمال الدراسة والانتساب إلى الكلية التي سيقع عليها اختيارنا في مصر أو العراق، خاصة وأن الأمير المجاهد كان قد وعدنا بإرسال بعثات عسكرية إلى بعض الدول العربية بعد شهر نوفمبر.

إلا أنه بعد مشروع تقسيم فلسطين في 29 نوفمبر 1947وحصول العديد من المظاهرات والإضرابات، تقدمت مجموعة من القيادات العربية بملتمس إذاعة نداء لدعوة العالم العربي والإسلامي إلى الجهاد في فلسطين، وبالفعل تبنى الأمير المشروع، ودعا إلى التطوع من أجل الجهاد، وأثنائها فتحت جامعة الدول العربية مكتبين لتسجيل المتطوعين:واحد بمقرها وأخر بمقر لجنة تحرير المغرب العربي.

هكذا تطوعت أنا وصديقي الجزائري إبراهيم القاضي، ودخلنا إلى معسكر التدريب في الفترة الممتدة بين ديسمبر 1947ويناير 1948، وبعدها التحقنا بفلسطين تحت قيادة المصري امحمد عبد العزيز الذي لا أتذكر إن كان قد استقال أو تقاعد آنذاك من الجيش المصري، وللإشارة فدخولنا إلى فلسطين كان قبل دخول الجيوش العربية.

وحين وصلنا إلى فلسطين أخذنا مواقعنا في عسقلان وبربرة شمال غزة، بمعية العديد من المتطوعين العرب ومن بينهم عشرة مغاربة، أتذكر منهم الحاج محمد البرنوصي،عمر الوزاني، عبد الكريم الفيلالي، محمد المزكلدي وآخرون...، وقد بقينا هناك ننفذ بين الفينة والأخرى مجموعة من العمليات العسكرية حتى دخول الجيوش العربية.

***ولكن بعد شهور التحقتم بمعية مجموعة من الطلبة بالكلية الحربية بالعراق، فكيف جاءت فكرة هذا الالتحاق؟وهل كان هناك تنسيق بين قيادة الثورة الريفية وبعض المسؤولين بهذه الدولة أم أن الأمر مجرد اختيار شخصي؟***

طبعا كان هناك تنسيق بين الأمير المجاهد ومجموعة من الحكومات العربية من أجل تكوين بعثات عسكرية، فنحن لما ذهبنا إلى الجهاد في فلسطين كنا مسجلين لدى الأمير على أساس أن نلتحق فيما بعد للدراسة العسكرية في العراق أو غيرها من الدول العربية، ولما جاءت الموافقة من الحكومة العراقية بقبول بعثة عسكرية، بعث إلينا الأمير للرجوع إلى مصر.

وبالفعل رجعنا إلى مصر في بداية أكتوبر 1948 والتحقنا بالعراق في 17أكتوبر من نفس السنة، وكانت البعثة الأولى المتوجهة إلى العراق تتكون من سبعة أفراد هم: حمادي العزيز، يوسف العبيدي، عبد الحميد الهاشمي الوجدي، امحمد إبراهيم القاضي، الهادي عمر، حدو أقشيش وعبد ربه الهاشمي الطود، وبالموازاة مع هذه البعثة، أرسلت بعثة تتكون من خمسة أو أربعة أشخاص إلى سوريا، فيما تابع شخصان آخران تكوينهما العسكري بمصر.

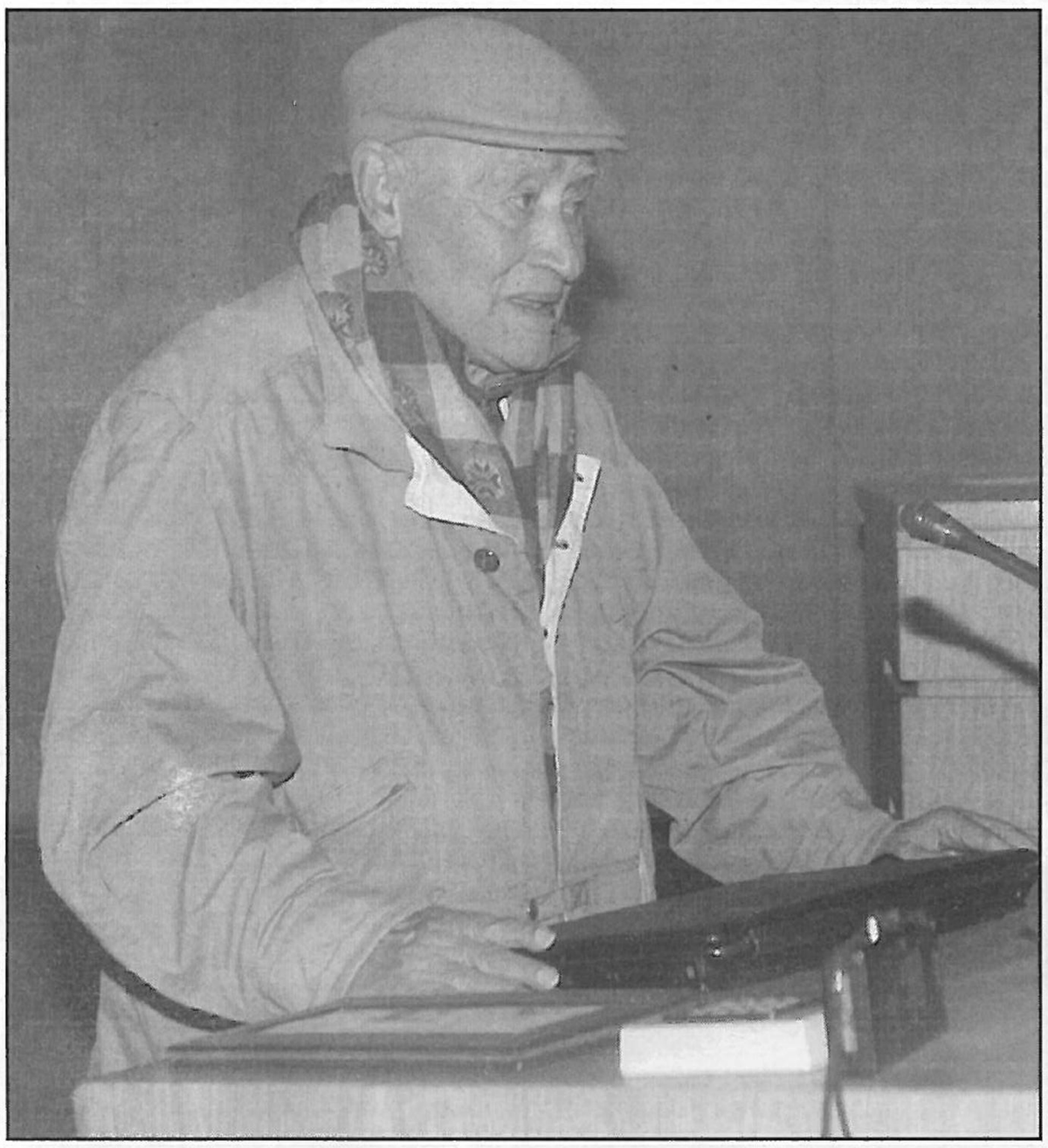
***مباشرة بعد تخرجكم من الكلية الحربية في سنة 1951، شكل محمد بن عبد الكريم الخطابي مجموعة عسكرية/ سياسية أطلق عليها إسم "جماعة العزيمة" فباعتباركم واحدا من اعضاء هذه الجماعة*** هل حدثتمونا عن المهام التي حددها الأمير لهذه الجماعة؟

مباشرة بعد تخرجنا في يونيو 1951، كلفنا المجاهد الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي بمهمة الدخول إلى تونس للاتصال بالمتطوعين الذين كانوا قد رجعوا من فلسطين من أجل التداول معهم حول إمكانية قيام جيش موحد لتحرير المغرب العربي.

وبالفعل دخلنا أنا وصديقي إبراهيم القاضي إلى تونس بالضبط في شهر يوليوز، واتصلنا بهؤلاء المتطوعين الذين كانت عناوينهم في حوزة الأمير، حيث استطعنا الاتصال بجميع العناصر التي كانت على قيد الحياة آنذاك، وقد أبدى غالبيتهم الاستعداد الكامل للعمل معنا بدون شرط أو قيد، حيث سجلنا لديهم القبول والتجاوب الإيجابيين.

***هل مهمة الجماعة اقتصرت على الدخول إلى تونس؟***

لا، فقد كلفنا الأمير بمهمة أخرى في المغرب وتونس للمرة الثانية وهي على قدر كبير من الشبه بالمهمة الأولى، أي الاتصال بالعديد من الشخصيات والسياسيين في هذه البلدان، وذلك لجمع المزيد من الحشد لمشروع تأسيس جيش موحد، والنقاش بشأن العمليات العسكرية وطرق المواصلات وكل ما يقتضيه هذا النوع من العمل المحكم. فالأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي كلفنا بهذه الاتصالات رغم أن قناعته كانت راسخة بكون هذه الزعامات السياسية بمختلف تلاوينها المذهبية- خاصة في المغرب- لا تريد تبني العمل المسلح ولا ترغب فيه بتاتا، وبالتالي كان الأمير يائسا تمام اليأس من التجاوب الايجابي لهؤلاء القياديين الذين كانوا يتنازعون فيما بينهم ويشتمون بعضهم البعض لأتفه الأسباب، وأعتقد أنه اليوم هناك العديد من الكتابات التي تتناول جانبا من



هذه الصراعات الهامشية، التي طغت على العمل الحقيقي الذي من المفترض أن يكون في أجندة رجال الحركة الوطنية.

***وكيف كان موقف هؤلاء السياسيين أو الحزبيين حين اتصلتم بهم؟***

كان موقفهم متفاوتا في الاستجابة لتطلعاتنا في تأسيس جيش موحد لتحرير المغرب العربي والشروع في وضع اللبنات الأولى للعمل المسلح، ففيما يتعلق بتونس فقد كان موقف الزعماء السياسيين لحزب الدستور الحر مرنا، بحيث وضحوا لنا بأنهم مع المفاوضات السياسية مع الاستعمار، غير أنه هناك من المناضلين من يريد الجهاد والعمل المسلح.

أما في المغرب فقد كنا اتصلنا بالأستاذ علال الفاسي بالقاهرة، وكان جوابه بأن الحزب تحت تصرفكم، وبالفعل كانت كلمة جميلة، وموقف انشرحت له صدورنا باعتبارنا حصلنا على دعم أكبر حزب في المغرب، وإثرها دخلنا إلى المغرب بعد أن كان الأستاذ علال قد أعطانا كلمة سر للالتقاء بعبد الكريم غلاب، غير أنه لما دخلنا إلى المغرب، وعقدنا اللقاء مع قيادة حزب الاستقلال بالمغرب، تبين أن النتيجة بالفعل كما كان يتوقع الأمير، لأن موقفهم هو الرفض المطلق لأي عمل مسلح ضد الاستعمار، فندمنا أشد الندم على الذهاب إلى هؤلاء الأشخاص.

***ألم تتصلوا مثلا بأطراف حزبية أخرى؟***

نعم فقد اتصلنا كذلك بمجموعة من قادة حزب الشورى والاستقلال في فاس وطلبنا منهم عقد لقاء من أجل التداول في الموضوع، وأذكر أنه كان ممن حضر اللقاء: السيدين عبد الهادي بوطالب وبنسودة، وقد أجمعوا بدورهم، كقادة حزب الاستقلال، على رفض العمل المسلح ضد المستعمر وفضلوا ما اعتبروه مفاوضات سياسية.

وأتحدى اليوم أيا كان من هذه الأحزاب إن قال أنه شارك في العمل المسلح ضد الاستعمار أو قدم له دعما أو حتى فكر في العمل، طبعا باستثناء أفراد معزولين مثل الحاج معنينو، الغالي العراقي، الفقيه البصري، امحمد حجي.... فقد كان هناك بعض الشباب في حزب الاستقلال وغيره من التنظيمات السياسية الأخرى، من يتعاطف مع العمل المسلح، أما ما عدا تحركات الأفراد، فلم يكن هناك تنظيم سياسي واحد أبان عن نيته في دعم العمل المسلح ضد الاستعمار أو قام به.

***وماذا قمتم به بعد رفض هؤلاء الزعماء لفكرة دعم العمل المسلح؟***

لما رجعنا إلى القاهرة في 16أكتوبر، لم نكن نعرف لماذا كان علال الفاسي قد أبدى موافقته على دعم المقاومة المسلحة، ولكن قادة الحزب في المغرب رفضوا، وهذا السر الذي أرويه لكم ضمن هذه الحكاية هو الذي سوف يفاجئ الكثير من الناس اليوم، فرجوعنا إلى مصر تزامن تقريبا مع استعداد لجنة تحرير المغرب العربي للاحتفال بذكرى عيد العرش في 18نوفمبر، وحدث أن كان الأمير في ذلك اليوم مصاب بوعكة صحية، فحضر أخوه سيدي امحمد وألقى كلمة بالمناسبة، ولما انتهى الاحتفال أخبروني أن الأمير أرسل في طلبي.

وبالفعل التحقت مباشرة بمنزله، فوجدت هناك العديد من الشخصيات التي جاءت لتهنئته بعيد العرش، فطلب مني أن أقرأ عليه التقرير الذي كنت قد أنجزته أنا وامحمد القاضي أثناء دخولنا إلى المغرب، والذي تحدثنا فيه أساسا عن رفض قيادة حزب الاستقلال بالمغرب للعمل المسلح والمقاومة، وأثناء تلاوتي لذلك التقرير تناهى إلى سمعنا ضجيج من القاعة المجاورة تبين فيما بعد أن السبب هو انزعاج علال الفاسي من التقرير الذي أثار حفيظته كثيرا.

***هل هو انزعاج من رفض القيادة الحزبية للعمل المسلح أم ماذا؟***

هذا ما يظهر على مستوى التحليل الظاهري، ولكن الأشياء لها منطقها الخفي، والخفي في هذه الحكاية كما وضح لنا الأمير بعد يومين أو ثلاثة من مرور هذه الواقعة، هو أن علال الفاسي لم يكن إلا قائدا صوريا، وأن كلمته لم تكن مسموعة، وهذا ما يفسر على الأقل رفض القيادة الحزبية بالمغرب لقرار دعم المقاومة المسلحة، فهذه القيادة هي التي كانت تتحكم فعليا

بالحزب، أي أن الحزب يتحكم فيه التيار الذي يمثل أبناء المدرسة الفرنسية أمثال عبد الرحيم بوعبيد، المهدي بن بركة وبلافريج وغيرهم....

***أثناءها تأكد لدى الأمير رفض الحزبيين المغاربة للعمل المسلح، ودعا ربما إلى تأسيس مؤتمر الضباط المغاربيين؟***

نعم، فباستشارة مع الأمير، وجهنا نداء إلى الضباط الذين نعرفهم من أجل تكوين خلية سوف تعمل فيما بعد على تأسيس جيش موحد لتحرير المغرب العربي، لأن غايتنا من هذه المقاومة هي تحرير هذه البلدان التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار، أو كانت تحاول التفاوض من موقع ضعيف، هكذا انعقد المؤتمر في 21ديسمبر 1952والذي حضره حوالي 25أو 30ضابطا من كل دول المغرب العربي وتم انتخاب لجنة تتكون من خمسة عناصر هم: الضابط عز الدين عزوز من تونس، إبراهيم القاضي من الجزائر، حدو أقشيش، حمادي العزيز وعبد ربه الهاشمي الطود.

***كنتم مشرفا على بعض المعسكرات التي استفاد منها على مستوى التدريب العديد من قياديي المغرب العربي، أو قل ممن أصبحوا فيما بعد قياديين أمثال الرئيس الجزائري الأسبق الهواري بومدين، فما هي باقي القيادات العسكرية أو السياسية التي تلقت التكوين بجانبكم أو تحت إشرافكم؟***

طبعا هي عناصر كثيرة، سواء في تونس أو الجزائر أو هنا في المغرب، وهذا التقسيم لم يكن مطروحا بالنسبة لنا، فكانت أقطار المغرب العربي بالنسبة لنا وطن واحد، كما أن هذه الحساسيات المتعلقة بمسار الأشخاص غير واردة لدي، فأنا كنت مجاهدا وسعيت إلى العمل في هذا الاتجاه، وقمت بتكوين و تدريب الآلاف من المقاتلين لهذا الغرض، وقد ظلت علاقتي قوية سواء بمن أصبح فيما بعد في مواقع المسؤولية أو بغيرهم ولا أريد أن أتحدث عن فضل لي في هذه العمليات أو غيرها...

***وهل بالفعل كنتم قاب قوسين أو أدنى من أن تصبحوا رئيسا للجمهورية التونسية؟***

لا لم يكن هناك شيئ مقررا، فقط كانت آمال بعض الإخوان الذين اشتغلنا معهم في العديد من المهام، لأنه كما ذكرت سابقا لم يكن هذا التقسيم الموجود اليوم بين دول المغرب العربي واردا في تفكيرنا على الأقل، فقد كان أملنا مثلا في أن يكون مغربي يتولى الشأن الحكومي في الجزائر أو جزائري يتولاه في المغرب فلا فرق لدينا آنذاك.

***كنتم وراء ترتيب لقاءات العديد من الشخصيات الوافدة على القاهرة بالأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، فهل حدثتمونا عن بعض هذه اللقاءات؟***

نعم هناك الكثير من اللقاءات، فذات يوم رتبت اللقاء الذي حصل لأحمد بن بلة بمحمد بن عبد الكريم الخطابي، وأتذكر أيضا جنرال إسباني كان قائد العمليات في الريف اسمه "كوديت" جاء من الأرجنتين إلى القاهرة بهدف لقاء الأمير، وكان بصحبته كتاب ألفه عن حرب الريف، وهو كتاب جميل و مهم جدا، ويعتبر صراحة من الذخائر القليلة التي ألفت حول موضوع المقاومة الريفية بقيادة الأمير.

وشخصيا تعرفت من خلال هذا الكتاب على بسالة الجندي الريفي الذي كان يحارب الأسبان، وهي البسالة والشجاعة التي لم نكن لنقيمها بأمانة حتى ونحن على دراية وعلم دقيق بخبايا هذه الثورة، حتى أتت الشهادة من هذا الجندي الذي كان يعمل في صفوف العدو، وأظن أن التقنيات العسكرية التي استعملت من طرف المقاتلين الريفيين في الحرب مع الاسبان يجب أن تكون محل دراسة وافية من جميع الجوانب، لأنها في تقديري الشخصي واحدة من معالم القرن العشرين.

***بحكم تواجدكم القريب من الأمير المجاهد، نود أن يعرف القراء العلاقة التي كانت تربط بعض القيادات الحزبية في المغرب بمحمد بن عبد الكريم؟***

صراحة الأمير كان يستقبل كل من يفد على منزله بقصر القبة، وكان يتعاون مع كل من يبدي استعداده لتحرير المغرب العربي ومناهضة الاستعمار، وللأسف الشديد أن العديد من الزعامات السياسية المغربية التي كانت متواجدة في مصر، كانت في نظري على جانب كبير من الفساد السياسي والفكري.... وكانت ماكرة ومنافقة في علاقتها بالأمير حيث كان مجرد أخذ صورة تذكارية مع الأمير ليتم تمويه الناس بأنهم إلى جانب المقاومة... وأتذكر الآن واقعة حدثت ذات مرة، وهي تتعلق بالمحجوب بن الصديق، كان قد أتى إلى القاهرة بهدف إذاعة تسجيل حول تمجيد حزب الاستقلال، ولما انتهى قام بزيارة الأمير المجاهد بمنزله، غير أن الرجل عندما هم بالسلام على الأمير تفوه بكلام فيه نوع من السخافة والنفاق الذي لم يكن لينطلي على شخص مثل محمد بن عبد الكريم، فما كان من هذا الأخير إلا أن قام بطرده فورا من المنزل.

***ذكرت أنه كانت لكم علاقة بمجموعة من أعضاء حركة الإخوان المسلمين بمصر، فكيف لم تتأثروا بهذا التيار الديني والفكري ولم تنجروا إلى تنظيماته؟***

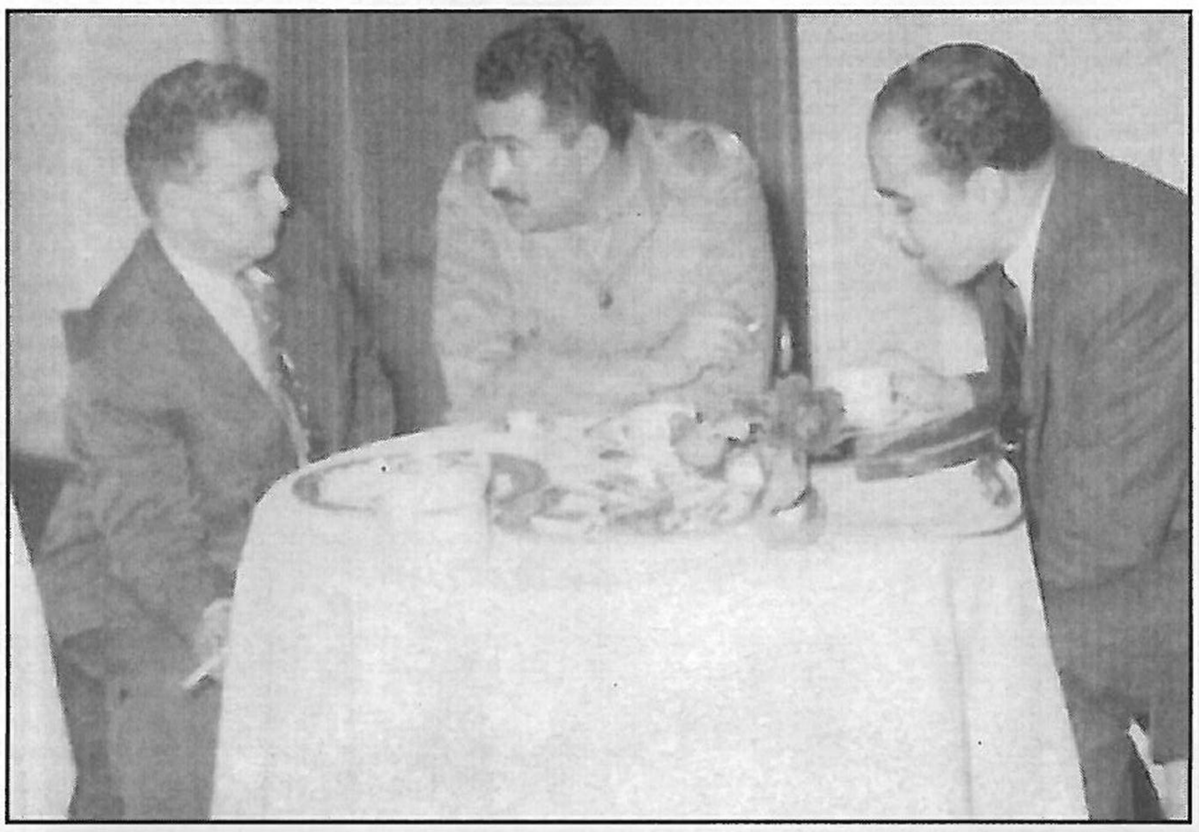
صراحة لا أنكر أني كنت في بداية تواجدي بمصر متأثرا بهذا التيار، فأنا أصلا أنتمي كأغلب المغاربة إلى عائلة مسلمة متدينة وملتزمة ومعروفة بعلمائها في المجال الديني، غير أنه فيما بعد غيرت انطباعي اتجاه هذه الحركة وزعمائها حين تبين لي بالملموس أن الدوافع السياسية وليست الدينية هي التي تتحكم في هذا التنظيم.

فقد كان هناك من وجهنا إلى حركة الإخوان المسلمين من أجل الحصول على السلاح، وذات يوم أخذنا الأمير، بعد أن ضغطنا عليه نحن مجموعة من الضباط، فذهبنا إلى منزل البوطيبي، فوضحنا لهم بأن سبب الزيارة هو أننا نريد السلاح من أجل الجهاد ومقاومة الحركة الاستعمارية في بلدان المغرب العربي، وكان جوابهم بأنهم بالفعل يتوفرون على السلاح ولكن من أجل تغيير النظام واستخدامه ضد جمال عبد الناصر.

***وكيف كان رأي المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي؟***

الأمير المجاهد كان له رأي مخالف تماما، حيث اعتبر مصر تخلصت من الاستعمار الانجليزي وأن جميع القوى يجب أن تتجه نحو مساعدة باقي الدول الشقيقة على الانعتاق من الاستعمار عوض الاقتتال الداخلي والصراع على السلطة، فما كان من الأمير إلا أن انسحب غاضبا من ذلك اللقاء معتبرا حركة الإخوان المسلمين كغيرها من الأحزاب التي تسعى إلى السلطة وفقط.

وشخصيا كنت ممن يتمنون لو بقيت حركة الإخوان المسلمين تشتغل على مستوى الدعوة والأخلاق، عوض الالتجاء إلى المنطق الضيق للحزبية والدخول في صراعات سياسية كما حصل فيما بعد، فلهذه الأسباب لم يحصل لي أي انجذاب عميق نحو هذا التيار، بل أصبحت رافضا كل الرفض لهذا النوع من الأفكار.



من اليمين: ابراهيم طوبال عضو مكتب المغرب العربي (تونس)، في الوسط عزت سليمان نائب مدير المخابرات العامة المصرية ،وفي اليسار علال الفاسي

***كثيرا ما يتم الحديث عن الفظاعات التي ارتكبتها بعض المليشيات الحزبية بشمال المغرب، أنتم واحدا ممن خبر هذه المرحلة، وكنتم فاعلا في الكثير من أحداثها، فماذا يمكن أن تقولوا حول هذه الفظاعات؟ طبيعتها؟ ومن كان يقف وراءها بالضبط؟***

لايمكن حصر هذه الفظاعات ولا الحديث عن طبيعتها، فليس هناك قاموس لغوي يمكن أن يصف هذه الجرائم الإنسانية، هي فظاعات أكبر من أن يتصورها العقل الإنساني، جرائم تتراوح بين القتل والإحراق وتشويه الجثث، جرائم نابعة من حقد يفتقد في نظري إلى مبرر منطقي، لا أدري لماذا كانوا يحقدون على المجاهدين كل هذا الحقد!!!

ولا أقول هذا لأني واحدا من المصابين ببشاعة هذه الأعمال، وممن عانوا كثيرا خلال هذه الفترة، حيث اختطفوا أعز ما لدي من أصدقاء، أمثال امحمد إبراهيم القاضي، عباس المساعدي، عبد السلام الخمار... واختطفوا من العائلة والدي وخالي، ولكن أقول هذا لأنه حقيقة تاريخية يجب أن يعرفها الشباب المغربي، وأن تكون محطة اهتمام الباحثين بما يعرف بتاريخ الحركة الوطنية.

فهذه المليشيات التي كانت تابعة لحزب الاستقلال لم تقم سوى بأعمال تخريبية لا حصر لها، فهي لم تنشأ من أجل خدمة الأهداف الوطنية بقدر ما كانت آلة لقتل وتدمير واغتيال رموز الجهاد وكل من كان شعاره الدفاع عن سيادة الوطن وكرامته، وأحب أن أشير إلى أن ما أقوله ليس من باب الخيال ولا من باب التحامل على أحد ولكن أقوله بناء على وثائق تاريخية أتوفر عليها.

وأعتقد أن الكثير من الكتب اليوم تتحدث عن هذه الجرائم التي توضح كيف أن هؤلاء القتلة لم يقفوا في أعمالهم الإجرامية عند حد، وكيف أنهم وصلوا إلى مواقعهم القيادية في الدولة عن طريق دوس جماجم الوطنيين والمجاهدين، وأنا شخصيا دخلت المغرب آنذاك للقيام باستطلاع حول هذه الاغتيالات وتأكد لي أن من كان يقف وراءها هم جماعة من قيادة حزب الاستقلال.

***هناك من يتحدث أنه بحوزتكم ما يزيد عن ألف وثيقة تاريخية، ألا تفكرون في نشرها أو على الأقل إيداعها لدى مؤسسة تعنى بالبحث التاريخي أو لدى جمعيات تشتغل على موضوع التاريخ والذاكرة؟***

بالنسبة للوثائق التي تتطرق إلى جانب من تاريخ المغرب والوقائع التي لازالت غامضة، فلا يمكن لي أن أدعها لدى مؤسسة معينة إلا بعد نشرها شخصيا من طرفي، فهي وثائق تخص جانبا مهما من تاريخ المغرب في الفترة الاستعمارية و ما بعد الاستقلال الشكلي، وهي الفترة التي لازالت مظلمة من ناحية الدراسة والبحث التاريخيين، وكذلك هي الفترة التي شهدت العديد من الجرائم والاغتيالات السياسية التي يجب أن يكشف عن ملابساتها، فهناك جرائم قامت بها أطراف سياسية معلومة لدى القاصي والداني.

وكإضافة إلى أمثلة الضحايا التي أتيت على ذكرها سابقا يحضرني هنا كذلك مثال القائد و المجاهد المكنى بالشنتوف الذي قتل وأحرق من طرف حزب الاستقلال بالعرائش، فقط لكونه كان إلى جانب الأمير المجاهد، فقد كان مقاتلا في ناحية سماتة شمال المغرب(جبالة) والذي لم يبرح موقعه في ميدان القتال إلا سنة 1927.

***كيف تفسر أن الكثير من الأوساط لازالت لا تتقبل كل المعلومات التاريخية التي تخالف التاريخ الرسمي للحركة الوطنية؟***

الجواب بسيط ومنطقي في نظري، فهاته الأوساط لازالت تخاف من المعلومات التي من شأنها تغيير الصورة النمطية التي هي في أذهاننا عن الحركة الوطنية، تلك الصورة التي يتماهى معها البعض حد اعتقادهم أن هؤلاء الزعماء السياسيين كانوا بمثابة الأنبياء، وهذا موضوع خطير للغاية، ويستوجب من الدارسين والباحثين الكثير من الحذر والحس العلمي.

فخوف هؤلاء اليوم مرتبط بماضيهم الشخصي أو الحركي، ويخافون أن تنكشف حقيقة أعمالهم الدنيئة في القتل والإجرام، فهم أدخلوا المغرب في دوامة من الصراعات التي لازال الوطن يؤدي ثمنها غاليا.

***هناك من يتحدث عن كون بعض الوثائق التي تتوفرون عليها لو ظهرت إلى الوجود لأسقطت الكثير من المسلمات حول ما يعرف بتاريخ الحركة الوطنية، فمدى صحة هذا المعطى؟***

نعم أتوفر إلى حد ما على مجموعة من الوثائق التي من المنتظر نشرها في القريب، والتي أظن أنه من شأنها زعزعة، كما ذكرت، الكثير من المسلمات حول ما يعرف بتاريخ الحركة الوطنية، وأنا الآن أعمل جاهدا على نشرها للحقيقة والتاريخ، فهي أمانة في عنقي، وسوف أعمل على نشر كل ما أتوفر عليه وحينئذ ستبدأ مسؤولية الدارس والباحث.

فعدم نشر هذه الوثائق يشكل نوعا من المشاركة في هذه الجرائم، وهو العمل الذي لم يكن من شيمي في يوم من الأيام، وكمثال على هذه الوثائق أذكر لكم وثيقة صدرت آنذاك من بغداد إلى القاهرة وسميتها شخصيا ب" وثيقة الخيانة"، وهي تخص حزب الاستقلال بالذات وتفضح بالخصوص الدور السلبي لبعض عناصره وجانب من الدسائس التي كانوا يحاولون القيام بها ضد حركة الأمير المجاهد.

***تقريبا في نفس الاتجاه هناك سؤال حول تدوين مذكراتكم، فاين وصل المشروع؟***

نعم منذ مدة وأنا أعمل جاهدا على تدوين مذكراتي من منطلق حرصي الشديد على المساهمة في نشر مجموعة من الحقائق التاريخية، وإطلاع الشباب على جانب مهم من تاريخ أجدادهم، وأبشر المهتمين بهذا الموضوع أنه على بعد ثلاثة أو أربعة أشهر سوف تكون هذه المذكرات جاهزة، حيث هناك مجموعة من الأصدقاء يقومون بمساعدتي على مستوى الكتابة والمراجعة لأن ظروفي الصحية لا تسمح بالكثير من الإجهاد.

***كيف تفسر أن المنطقة الشمالية أعطت الكثير من القيادات العسكرية والسياسية أثناء مناهضة الاستعمار، ولكن لم تتمكن من البروز بالشكل الكافي، فهل تهميش هذه القيادات يتعلق بسر معين؟***

طبعا هناك سر، وأظن أن دراسة الموضوع دراسة وافية يتطلب الاستئناس بالعديد من العلوم، فالأمر في نظري يرتبط حتى بآليات توليد النخبة السياسية بالمغرب، فكما يعلم الجميع هناك نوع من الجذور الاجتماعية والعائلية لهذه النخبة الطبقية في ذاتها، وكل محاولة في مزاحمتها من طرف انتماءات اجتماعية وعائلية أخرى كانت تواجه بالحصار، سواء حاولت الظهور في الشمال أو الجنوب، فهي كانت تعلم جيدا أنه كلما تقلصت الدائرة إلا وحجم المصالح والامتيازات يكون واسعا.

***وهل هو نفس السر وراء فشل الأحزاب السياسية التي تأسست في الشمال المغربي؟***

نعم بدون شك، فكل الجرائد والأحزاب التي ظهرت في الشمال إلا وكانت تتعرض لمضايقات من طرف هذه النخبة المستبدة بالرأي والمواقع بالأساس، فالنخبة السياسية المتحكمة آنذاك كانت مستعدة لفعل كل شيء حتى تظل بوحدها في المسرح السياسي، أضف أن مصدر قوتها هو ارتباطها بالدوائر الخارجية وخاصة فرنسا، عكس القادة السياسيين في الشمال الذين لم يتعاملوا مع الفرنسيين.

والدليل على ذلك أنه حتى داخل هذه النخبة التي نتحدث عنها، وبالخصوص حزب الاستقلال، نجد أن القادة الذين برزوا إلى الواجهة هم من الذين كانوا يتعاملون مع فرنسا، وتلقوا تكوينهم في فرنسا، أي أبناء المدرسة الفرنسية أمثال أحمد بلافريج، اليازيدي، المهدي بن بركة... فحتى من هم أبناء مدرسة علال الفاسي أزيحوا عن الواجهة.

***هناك من يقول أن العديد من القادة المغاربيين اتضحت لهم أن أفكار محمد بن عبد الكريم الخطابي في التحرير أصبحت متجاوزة، وهذا ما ذكره على الأقل بن بلة في قناة الجزيرة؟***

صراحة بن بلة من الصعب عليه أن يقيم الأمير المجاهد، فهو أولا محدود الآفاق في معرفته بالأمير، ثانيا الأمير كان أكثر تجربة وتكوينا في ميدان الحرب والمقاومة، كل ما هناك أن هذه المجموعة كانت مغرورة بالحزبية، وأقول أنه من الأشياء التي عيبت على بن بلة أنه لما خرج من السجن رجع إلى تأسيس حزب لم ينل من أصوات الجزائريين إلا القليل، وهو الأمر الذي حز شخصيا في نفسي، فرجل بمكانة الرئيس بن بلة كان عليه أن يختار، في نظري، العمل مثلا في الهيئات الدولية التي تعنى بحقوق الإنسان أو الإسعاف الإنساني، أو غيرها من المنظمات الجزائرية الوطنية التي سيكون تأسيسها أو العمل بها يحمل نوعا من الرمزية.

***اليوم يعيش المغرب على إيقاع المصالحة مع الماضي، أنتم واحدا ممن عانوا الكثير خلال هذه الفترة التاريخية، كيف تقرأون هذه التجربة؟ وهل هناك فعلا ما يدل على نية المصالحة؟***

شخصيا أقول أنه رغم كل ما حدث فأنا من المساندين لهذه التجربة الفريدة من نوعها في العالم العربي، وأنا لو كان قد فسح لي المجال للمساهمة في هذه التجربة، لسعيت بدوري إلى تحفيز الناس على البوح بالحقيقة وحكي ملابسات ما حدث، لأنها الطريقة المثلى في نظري للجواب على سؤال لماذا حدث كل هذا؟ وأي سبيل لتحصين الذات الجماعية لهذا الوطن من الوقوع مرة أخرى في المنزلقات، فتجربة الإنصاف والمصالحة بالنسبة لي خطوة أولية لفتح باب الأمل في هذا الوطن.

***ماذا يمكن أن تقول لنا حول المسار الذي اتخذتموه شخصيا، حيث انتقلتم من ثائر و قيادي عسكري في جيش التحرير إلى واحد من عناصر الجيش الملكي؟***

انتمائي إلى الجيش الملكي هو انتماء إلى مؤسسة وطنية من أجل أداء رسالة التعليم و التكوين بها، والسبب بسيط هو أن المغرب لم يعد طرفا في حرب معينة، وبالتالي ليس هناك مبرر لضياع الكفاءات والتجارب التي كسبناها في معارك هامشية، وأحمد الله على هذا المسار الذي اتخذته، فأنا اشتغلت بهذه المؤسسة حوالي 30 سنة، وهي المؤسسة التي تخص جانبا من سيادة الدولة، بل وتخص حتى سيادة بلدان المغرب العربي، فشخصيا أنظر إلى دول المغرب العربي كأنها دولة واحدة رغم كل الخلافات القائمة.

***هل في نظرك هناك آفاق حقيقية لقيام هذا الاتحاد؟***

طبعا الأمل موجود، وثانيا أعتقد أن منطق السياسية العالمية اليوم يتجه نحو التكتلات السياسية والاقتصادية الكبرى، وبالتالي دول المغرب العربي مفروض عليها في هذا السياق الدولي والإقليمي أن تتكتل فيما بينها حتى وإن كان ذلك تدريجيا. فهي محكومة بنفس الاكراهات وبنفس التطلعات.

وشخصيا أعقد الأمل الكبير على شعوب المنطقة في توطيد هذا الاتحاد والسعي إلى تشكيله، لأن منطق الأجهزة الرسمية يخضع في نظري إلى الكثير من البروتوكولات التي من الممكن تجاوزها من طرف الدبلوماسية الموازية للشعوب والهيئات المدنية والفكرية...

***ألم تحاول في هذا الاتجاه استثمار علاقتكم الشخصية بالعديد من الأطراف الوازنة داخل دول المغرب العربي، لتأسيس منظمة مدنية تسعى إلى العمل من أجل هذا الاتحاد؟***

والله خطرت لي الفكرة منذ سنين و سعيت إلى ذلك، فكان هناك تجاوب من طرف البعض، غير أن الأمر يحتاج إلى الكثير من القوة الفكرية وحتى البدنية، وهو الشيء الذي لم يعد في متناولي بالسرعة الكافية، ورغم ذلك فالفكرة محل دراسة ومناقشة بين العديد من الأصدقاء كلما سنحت الفرصة.

***كلمة أخيرة للشباب***

طبعا أتمنى لكل الأجيال اللاحقة كل الخير، ونصيحتي إليهم هي الابتعاد عن ضياع الزمن، لأن الوقت كما يقال من ذهب، فنحن من الشعوب التي لا توظف كثيرا الزمن في حياتها، وهي العادة التي يجب أن يقتلع عنها شبابنا حتى لا نبقى رهيني مقولة "مشى لي تران"...

***كلمة للباحث***

أرجو من كل باحث أن يكون صادقا في عمله العلمي، وأن يؤمن أنه موجه الأمم في الكثير من حقائقها، وبالتالي يجب أن يكون منيعا ضد كل الإغراءات ولا ينتصر إلا للحقيقة، كل الحقيقة.

## المجلس الأعلى للمهاجرين:

# أية مشروعية وأية مصداقية تمثيلية؟

فريد بنقدور/ فريد أولاد لحسن (هولندا)

*أصبح موضوع الهجرة المغربية في السنوات الأخيرة يشكل موضوعا ساخنا في أجندة الحكومة المغربية وداخل نقاشات البرلمان المغربي ويحتل مكان الصدارة داخل صفوف المجتمع المدني بالمغرب ويتصدر واجهات الإعلام.*

*فالحكومة المغربية أصبحت تكثف من مؤسسات وظيفية خاصة بالهجرة وترصد أموالا لذلك وتكثف من رحلات مكوكية إلى أوربا من أجل نقاشات مع المنظمات المغربية ومع حكومات الدول المضيفة للمهاجرين المغاربة وتعد برامج تلو برامج؛ و بعض المنظمات المغربية بالمغرب أصبحت بين الآونة والأخرى تنظم مناظرات مع شركاء قارين لها بأوروبا حول الهجرة بالرباط وتخرج بتوصيات ومنشورات عن الهجرة؛ أما قنوات التلفزة المغربية فتتسابق لإعداد برامج مختلفة حول الهجرة والمهاجرين بصفة منتظمة وقارة ليتم الإعلان مؤخرا على المستوى الرسمي الإعلان عن إنشاء مجلس أعلى للمهاجرين.*

*فما دلالة هذا التهافت المغربي نحو موضوع الهجرة؟ وما هو العنصر المغري في ذلك؟ وكيف تتعامل الحكومة المغربية مع مستجدات الهجرة؟ ثم ماذا عن مطبخ المجلس الأعلى للهجرة وعن حمى الكواليس للمتسابقين الراغبين بالظفر بوظيفة داخل هذا المجلس؟ وما موقفنا من قضية التعامل مع الهجرة ومن تنمية الشمال المغربي ؟*

*نود في البداية أن نقارب، ولو باقتضاب شديد، تطورات الهجرة المغربية بأروبا مركزين على النموذج الهولندي الذي نعايشه عن قرب لتوضيح الصورة ما أمكن قبل الشروع في إلقاء نظرة عن مطبخ المجلس الأعلى للمهاجرين.*

### تطورات الهجرة المغربية بهولندا:

أصبح عدد المغاربة المقيمين بهولندا يقارب 350.000الف نسمة، بدايات الهجرة إلى هولندا كانت في سنوات الستينات من القرن الماضي. أغلب المهاجرين (العمال المضيفين كما كانت تسميهم الحكومة الهولندية) أغلبهم قدموا من منطقة الريف. لماذا الريف بالخصوص؟ طبعا الريف خلال الستينات كان إحدى المناطق المغربية التي ضرب عليها طوق التهميش وكانت المنطقة الأشد كثافة عمرانية وفقرا والمنطقة الساخنة التي خرجت من حروب وثورة تحرير شعبية بزعامة عبد الكريم الخطابي تلتها مباشرة بعد الاستقلال انتفاضة 1958 بزعامة محمد سلام أمزيان التي كانت تطالب بإعادة الاعتبار للمنطقة وبتمثيلية سياسية لها وباحترام خصوصيتها وهويتها حيث كان الرد بالسحق والتنكيل الوحشي بالمنطقة وضرب طوق الحصار المؤبد عليها. طبعا كان الحل السياسي آنذاك هو إفراغ المنطقة من ساكنتها النشيطة بالبوادي وتهجيرها إلى خارج الوطن للتشويش على ذاكرة المنطقة (إسكاتا وإخمادا لكل ما من شأنه!!!).

مع سنوات السبعينات بدأت عملية التجمع العائلي والاستقرار الأسري للمهاجرين المغاربة المقيمين بهولندا.

فمع تنامي الهجرة في السبعينات ومع حركة التجمع العائلي للاستقرار بهولندا أصبح المهاجرون بحاجة ماسة إلى مؤسسات اجتماعية سواء في مجال التأطير والخدمات الاجتماعية والروحية والدينية كالمساجد وإلى جمعيات ومنظمات مغربية تدافع عن مصالحهم ولتأطيرهم سواء في المجال التعليمي والإداري كالمؤسسات التربوية لتعليم أولادهم والقنصليات المغربية لتسجيل مختلف الأوراق الرسمية...

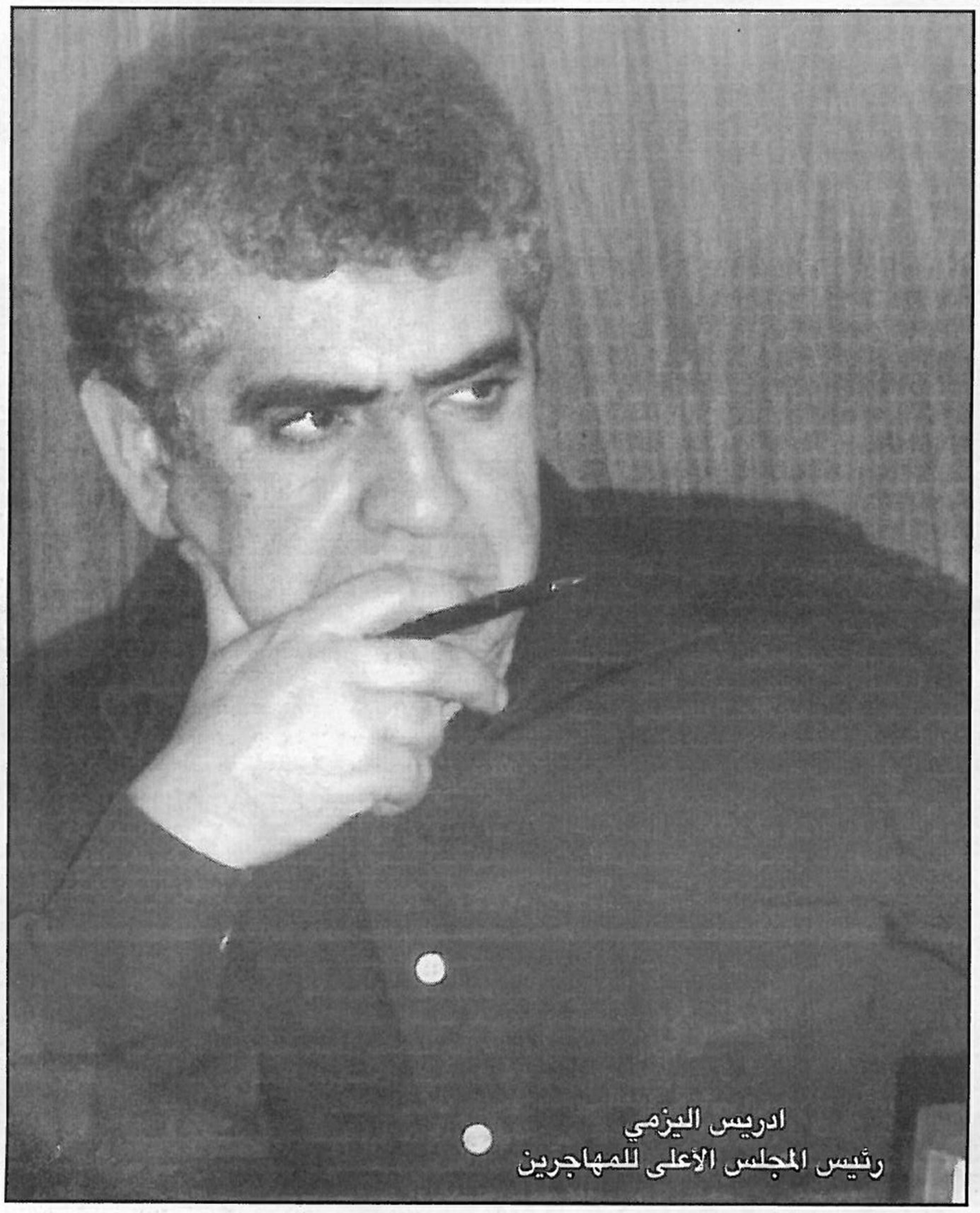
انوجدت من جهة منظمات تقدمية مغربية ديموقراطية ذات منحى يساري كجمعية العمال المغاربة تدافع عن حقوقهم في مختلف مجالات الحياة اليومية بهولندا وتصارع المنظمات المعادية لمصالحهم، وموازاة لذلك انوجدت منظمات سيئة الصيت منها الوداديات المغربية التي كانت تمثل كلب الحراسة للدولة المغربية، فبأسم الحفاظ على الثقافة والهوية المغربيتين مارست الوداديات شتى أنواع الترهيب والتفرقة في صفوف العمال المغاربة، شأنها شأن تعامل إدارة القنصلية المغربية آنذاك التي كانت تنعت بإدارة الفساد والتخويف والترهيب. كان الهدف وراء ذلك هو ترك الجالية المغربية مجرد رعايا للحكومة المغربية وبقرة حلوبا للميزانية المغربية ومحاولة استبعادهم من أي تنظيم أو تأطير مغاير ومن المشاركة السياسية بالبلد المضيف لهم. مع نهاية التسعينات أصبح التأرجح بين العودة إلى البلد الأصل والاستقرار بهولندا داخل مخيلة المهاجرين من الجيل الأول يضمحل، فمع تفشي البطالة في صفوفهم أصبحوا يعيشون على الإعانة المادية فقط، وأصبح التفكير في مستقبل ومشاكل أولادهم هنا هو الشغل الشاغل لهم؛ حيث وجدوا أنفسهم مواطنين مرغمين على الاستقرار الدائم بهولندا؛ لذا فمسألة الاستثمار في البلد الأصلي لضمان مستقبلهم هناك حين العودة أضحى يتلاشى، وتحويل أموالهم المنتظم إلى الأبناك المغربية بدأ يقل وينضب. إذ وجدوا أنفسهم مرغمين على الاستقرار في بلد الهجرة الذي يقدم لهم خدمات اجتماعية منعدمة في بلدهم الأصلي وبدأوا يتحولون إلى مواطنين هولنديين مقبلين على الانخراط في مسلسل المواطنة والاندماج، حيث الإقبال على الجنسية الهولندية التي كانوا يترددون على مطالبتها أصبح يتزايد باستمرار وكذا الإقبال على شراء سكن لهم بهولندا من طرف أولادهم عوض المغرب يتزايد والإقبال على المشاركة في الحياة السياسية دفاعا عن مصالحهم كالتصويت، سواء في انتخابات المجالس البلدية أو التشريعية أو الإقليمية أصبح مكثفا والتفكير في مستقبل شيخوختهم ومستقبل أولادهم بهذا البلد أصبح راهنا هو شغلهم المركزي.

أما الجيل الثاني والثالث من المغاربة فإن المغرب الذي لا تربطه بهم أية علاقة روحية أو ثقافية، فهو بالنسبة لهم لا يعتبر سوى البلد الأصلي الذي قدم منه آباؤهم وكبلد جميل لقضاء العطلة الصيفية تنفيسا عن إكراهات المجتمع الهولندي الذي يتمردون داخله، ضدا على التهميش والإقصاء وبحثا عن هوية خاصة بهم وعن اعتراف بكينونتهم.

### تعامل الحكومة المغربية مع الهجرة:

تعاملت الحكومات المغربية المتعاقبة مع الهجرة المغربية عبر تاريخها كمجرد بقرة حلوب، وكخزان هام مدر لأموال خزينة الدولة لا أقل ولا أكثر. و للحفاظ على هذا الخزان وجب تربية الجالية المغربية على الطاعة والولاء الأعمى لأولياء أمر الدولة، وذلك من خلال طرق الترهيب والتخويف ومنح امتيازات خاصة للساهرين على ذلك بالهجرة. قامت الوداديات بتلك الوظيفة ومنح البرلمان المغربي لهم أعضاء برلمانيين خاصين بالهجرة لمدة معينة كانوا من ذوي أصحاب كلاب الحراسة، وتم إحداث مؤسسة الحسن الثاني التي تظهر خلال عطلة الصيف تتحدث عن تنظيم عملية العبور... مؤخرا أصبحت كل هذه المنظمات السيئة الذكر تفقد شرعيتها ومصداقيتها مع "العهد الجديد" انطلاقا من سنة 1999.

فحفاظا على هذا المكسب المدر للأموال الذي أصبح ضرورة حيوية لامناص منها لخزينة الدولة المغربية، وخوفا من تشويه الواجهة المغربية بالخارج ومن تنامي تنظيم مغربي هجروي منظم ومستقل، سارعت الحكومة المغربية في ظل العهد الجديد إلى تجديد طرق تعاملها وإلى ابتكار أساليب جديدة تتماشى مع متطلبات ولغة العصر: كالتقرب إلى منظمات المهاجرين التي عرفت بالمنظمات الديموقراطية، ومحاولة إيجاد شركاء لها للحوار بالمهجر وإنشاء يوم خاص للمهاجرين وخلق وزارة منتدبة لشؤون المهاجرين ذات كفاءة، وإجراء حوارات مع الحكومات الغربية التي يتواجد فيها المهاجرون، تاقلم بعض القوانين المغربية ذات النزاع في مجال تطور الهجرة بين دول أوربا والمغرب، ليتوج الأمر على المستوى الرسمي أخيرا بالإعلان عن منح المهاجرين ممثلين لهم بالبرلمان المغربي وإحداث مجلس أعلى للهجرة. سيتم تأجيل التمثيلية البرلمانية للمهاجرين المصرح بها رسميا لظروف "غير معروفة" وسيتم الإبقاء على المجلس الأعلى للهجرة.



ادريس اليزمي
رئيس المجلس الأعلى للمهاجرين

### المجلس الأعلى للهجرة، أية آلية تمثيلية؟

منذ أن تم الإعلان عن إنشاء مجلس أعلى للمهاجرين يعنى بشؤون الهجرة من خلال الخطاب الملكي حتى أصبح المتناضلون المغاربة بأوروبا أو فعاليات اليسار القديم بالهجرة يتهافتون في الوليس عبر الاتصالات وعبر تنظيم مناظرات في الرباط عن الهجرة ينافسون في ذلك، أشد ما يكون التنافس، أعضاء الوداديات ذوي" الشرعية التاريخية في تقلد هذا النوع من المناصب" للبرهنة للجهات الرسمية على أنهم الأوصياء الحقيقيين على الهجرة وهم المنتدبون الشرعيون المستحقون لوظيفة داخل هذا المجلس!!! ويتم هذا التناحر من دون أن يخضعوا فكرة الإعلان عن هذا المجلس لأي نقاش ولأي حوار جدي مع الجالية المغربية ومع منظماتها، وتوضيح طبيعة وطرق اشتغال هذا المجلس وعن مراميه ومقاصده!!!

فما طبيعة هذا المجلس؟ وماذا تغير في سلوك متناضلينا؟ وما موقفنا من سياسة الهجرة برمتها؟

بالطبع حفاظا على التوازنات الاجتماعية وتهدئة لكل ما من شأنه أن يؤدي إلى توترات إجتماعية، ومخافة من نمو أي حركة مهجرية تفسد وتشوش على الواجهة المغربية التي تسعى جاهدة بالظهور بمظهر يسعى إلى التغيير والحداثة، عمدت الجهات الرسمية بالمغرب إلى ابتكار مؤسسات رسمية لاحتواء جل المطالب التي كانت تناضل من أجلها الحركات الديموقراطية المغربية التي كانت تسعى إلى التغيير الإيجابي؛ وظفت داخل هذه المؤسسات وجوها بارزة معروفة على الساحة النضالية المغربية سواء فيما يتعلق بحركة حقوق الإنسان في شكل (هيئة الإنصاف والمصالحة والمجلس الاستشاري لحقوق الإنسان) أو بالحركة النسائية أو الحركة الأمازيغية (المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية) أو بحرية التعبير والصحافة والإعلام (المجلس الأعلى للإعلام السمعي البصري) لتصبح حركة الهجرة بالخارج بدورها تحظى بمجلس خاص بها (المجلس الأعلى للمهاجرين المغاربة). هذه المؤسسات والمجالس يمكن التصفيق لها إن كانت هناك نية وإرادة عميقة في التغيير، وفي نفس الوقت لابد من توجيه النقد البناء لها رغبة منا في إحداث بدائل وطرق أخرى ناجعة تسرع من وتيرة التغيير البناء على المستوى المحسوس والمرغوب فيه جماهيريا.

طبعا هذا المجلس الخاص بالمهاجرين بعد أن دبت فيه الفوضوية، تم تكليف المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان لاستكمال خطاطته ولزيارة بعض البلدان التي تتواجد فيها الجالية المغربية ولترشيح الأسماء التي ستمثل داخل هذا المجلس. قانونه الأساسي وقانونه الداخلي وطرق اشتغاله غير معروفة لدى العموم، كل ما هو باد للعيان هي طبيعته الاستشارية غير التقريرية شأنه شأن باقي المؤسسات المحدثة.

كيف تمت معايير اختيار العاملين بهذا المجلس؟ بأي لغة سيتم التحاور في الاجتماعات بين مختلف العاملين فيه من الممثلين لدول الهجرة؟ ماذا سيكون موقفهم من الهجرة السرية؟ ما موقفهم من الريف والتنمية واستنزاف طاقته الشابة؟ ترى ماذا سيكون موقفهم من مسألة الهوية والثقافة واللغة الأمازيغية؟ كيف سيتم التعاطي لمسألة جيل الشباب؟ هل الانخراط في مسلسل المواطنة ببلد المهجر والدفاع عن احترام هوية المهاجر بالبلد الأوربي ستكون هي النقطة المركزية أم ربط المهاجرين بهوية فضفاضة تتكلم عن بلد أصلي لهم لا تربطهم به أية رابطة، وجر الشباب للاستثمار بالمغرب هي الاستراتيجية التي سيكون الاشتغال عليها؟ ما مدى مصداقية هذا المجلس من طرف المهاجرين المعنيين؟عدة أسئلة تطرح نفسها بنفسها.

### كل ما هو معروف لدينا، هو:

1. استبعاد العناصر الانتهازية التقليدية التي كانت تمثل الوداديات من هذا المجلس ليكون أعضاؤه المنتدبون عن الجالية عبارة عن فعاليات ذات صيت داخل منظمات الهجرة وأشخاص ذاتيين عبارة عن أطر معينة داخل بلدان الهجرة إلى حد ما،

2. أما بيت القصيد في هذا المجلس المنتظر فهو عدم خضوع الأعضاء الذين سينتدبون أنفسهم كممثلي الجالية المغربية للانتخاب عليهم ديموقراطيا من طرف المهاجرين المعنيين.

لذا فلا مجال لإتعاب الذهن في مشروعية ومصداقية وفعالية هذا المجلس بهذه الصيغة اللاديموقراطية، مادام لنا اليقين بأن مهمة العاملين داخله ستكون مجرد رفع تقارير شكلية

# قراءة في المبررات المستعملة لضرب منظومة حقوق الإنسان

■ ذ.حسن الحوريكي

*تمهيد: من المسلمات التي لا ينكرها إلا الذي يتكلم عن التاريخ بدون أن تكون له دراية بهذا العلم، إن منظومة حقوق الإنسان تعتبر من أهم إنجازات البشرية التي استهدفت وضع حد للانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان بجميع الأزمنة والأمكنة، لاعتبارات عرقية، دينية، لغوية، سياسية، جنسية (ذكر، أنثى)..حيث وضع ميثاق منظمة الأمم المتحدة، احترام حقوق الإنسان في مقدمة أهداف المجتمع الدولي. ولتحقيق ذلك تم تأسيس لجنة خاصة أسفرت أعمالها عن صدور منظومة حقوق الإنسان والتي تتكون من مواثيق عامة (الشرعية الدولية) ومواثيق خاصة لازال الاشتغال عليها مستمرا حتى وقتنا الراهن. إلا أن المتتبع يلاحظ أنه في الوقت الذي عمدت دول الشمال المتقدمة على تلقف هذه المنظومة بهدف دمقرطة مجتمعاتها عبر إيجاد العديد من الآليات الحكومية وغير الحكومية لإقرارها، فالعكس هو الذي حدث و مازال يحدث بدول الجنوب، فالمنظومة لازالت تواجه ممانعة ومعارضة شديدة خاصة من طرف القوى المحافظة. لذا فإن هدف هذا الموضوع يتمثل في إبراز أهم المبررات التي تستعمل لضرب المنظومة، ...وبالتأكيد على أن حقوق الإنسان ضرورة حضارية في مصلحة البلاد والعباد.*

**المبررات التي تعمد إليها القوى المعادية لمنظومة حقوق الإنسان:**

في الواقع، يتم اختلاق واللجوء إلى العديد من المبررات، بحيث يصعب حصرها، لذا سنركز على التي، كثيرا ما يتم التلويح بها كلما أثيرت المنظومة وأهمها:

× **مقولة الاستعمار**: فالمتتبع يلاحظ أن هذه الأطراف تحاول أن تربط المنظومة بالاستعمار، بتأكيدها بأنها من إنتاج هذا الأخير وبأنه لا يتم الأخذ من الذين ارتكبوا فضاعات في الماضي والحاضر. أي ما يسمونه بالاستعمار القديم والحديث. بل يصل الأمر إلى اتهام الذين يعملون على إقرار هذه الحقوق بأنهم عملاء للغرب والاستعمار.

× **الخصوصية الثقافية والحضارية**: حيث يتم التأكيد على أن لكل مجتمع تقاليده وأعرافه وعاداته يجب احترامها والتشبث بها. فمجتمعات الجنوب ليست ولن تكون كمجتمعات الشمال لاختلاف صيرورة التطور بالمجالين، وعلى أن منظومة حقوق الإنسان تستهدف ضرب الخصوصيات الثقافية للمجتمعات والشعوب، لذا يتم رفع مقولة الصراع الحضاري.

× **المبرر الديني**: حيث ترى بعض الأطراف أن هناك تعارضا بين المنظومة والدين، بل هناك من يذهب إلى نفي أن يكون للإنسان حقوقا، ويدعو إلى الاقتصار على حقوق الله فقط.

× **مبرر الأولويات**: الذي وقعت فيه للأسف وما زالت تقع فيه العديد من الأطراف التي تدعي الديمقراطية، ففي شمال افريقيا مثلا هناك من عارض ويعارض الحقوق اللغوية للأمازيغ بدعوى الأولويات، أي أن الإنسان يحتاج في المنطقة إلى التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

**تهافت المبررات السالفة الذكر:**

فالدارس لها سيجد بأنها لا أساس لها من الصحة، بل هي أكاذيب يتم خلقها عن وعي أو بدون وعي، للتشويش على المنظومة وتنفير المواطن منها. وهذا ما سيظهر من خلال مناقشة المبررات المذكورة سلفا:

× **المبرر الأول**: ربط منظومة حقوق الإنسان بالاستعمار ،تشويه للحقائق التاريخية، لسبب بسيط يتمثل في أن الاستعمار لم يصدر أية منظومة لحقوق الإنسان. بل العكس هو الصحيح، فالمنظومة استعملت لإدانة الدول الاستعمارية وللمطالبة بتصفية الاستعمار. لذا فإن القول بأن الذين يناضلون من أجل حقوق الإنسان يخدمون الاستعمار مقولة خاطئة ومقلوبة وقد آن الأوان لتصحيحها. فالذي يخدم الاستعمار هو الذي يعارض حقوق الإنسان لكنه لا يتوانى مثلا عن ممارسة التهريب من منتجات الغرب. فما يهم الاستعمار تاريخيا هو الأسواق لبيع فائض الإنتاج من المنتجات الصناعية، وبالتالي تحريك المؤسسات الإنتاجية. ولا ينبغي أن يفهم من كلامي أننا ندعو إلى عدم استهلاك منتجات الشمال، بل نعمد إلى تبيان المفارقة الصارخة التي يعيشها الذين يعارضون المنظومة بدعوى أنها أفكار غربية، في وقت يقبلون بشكل كبير على المنتجات التكنولوجية لهذا الغرب، مع أنها بدورها أفكار غربية انتقلت مما هو نظري إلى ما هو عملي. وندعو إلى تأصيل حقوق الإنسان لتكوين مواطن ينتج ولا يستهلك فقط.

× **المبرر الثاني**: لا أحد ينكر حق الشعوب التمسك بهويتها وثقافاتها، لكن لا داعي للركوب عليها كمطية لضرب ما حققته المنظومة للبشرية من مكاسب. فالتنوع والتميز مسائل مطلوبة، لكن على أساس الانفتاح والتثاقف الإيجابي مع المجتمعات الأخرى، لأن أي مجتمع إذا انغلق على نفسه سيصبح متجاوزا يعيش على الهامش(1). ومقولة الصراع الحضاري خاطئة، تروج لها القوى المحافظة بجميع المجتمعات، وهي مصدر الفكر الكلياني الذي ينظر إلى المجتمع على أنه كتلة واحدة لم يعرف أي تطور، في حين أن المجتمع الحديث عرف تطورات عديدة جعلته يتكون من ثقافات متعددة، وطبقات متباينة تعرف صراعات نتيجة تضارب مصالحها، للتقليص من حدتها، ينبغي إقرار الحقوق للجميع، فالمجتمع ذو الثقافة الواحدة هو مجتمع القبيلة الذي لم يعرف أدنى تطور. وحتى المقولة التي يروج لها في إطار كذبة العصر (الصراع الحضاري) والتي تؤكد بأن الغرب يعرف انحطاطا تبقى خاطئة: فدول الشمال لازالت تعرف المزيد من التطورات الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والفكرية..التي تجعله (الغرب) يفرض نفسه حتى على الذين يتظاهرون بأنهم يعادون منظومته كما يعتقدون وفي جميع المناحي (التداوي، التنقل، الغذاء...) أما الأمراض الاجتماعية التي يتم التركيز عليها، فعلميا متواجدة بجميع المجتمعات والأزمنة، فالفرق هو أن الغرب أصبح يسمح لها بالظهور، أما الجنوب فلا زال يعمل على منعها من الظهور ويعتبرها طابو، لكنها رغم ذلك تظهر على السطح من حين لآخر مزعزعة اعتقادات البعض الذي يحاول أن يغطي الأشياء بالغربال، بدل السماح بدراستها في أفق إيجاد حلول لها.

× **المبرر الثالث**: فحتى المبرر الديني لا يسعف هؤلاء، لأنه ليس هناك تعارض بين الدين والمنظومة، فأهدافها واحدة، هي تكريم وإسعاد بني البشر، والذين يحاولون أن يقيموا هذا التعارض، فمرده إلى كونهم يركنون إلى الماضي بدل الاجتهاد الذي يحثنا ويوصينا به ديننا الحنيف، لأنه يعلم بأن مصير أي فكر سواء كان دينيا أو غير ديني، مرتبط بمدى انتباه أهله "إلى ضرورة الوقت وحقيقة السياق الذي يعيشون فيه ونسبية المصالح وتغيرها" (للمزيد من المعلومات راجع "إلى فضيلة الدكتور أحمد الريسوني، لكم دينكم.." لأحمد عصيد/ الأحداث المغربية ع3210)، ولنا في التاريخ العديد من العبر لمن يريد العبرة (المرابطون، الدولة العثمانية..).

× **المبرر الرابع**: إن منطق الأولويات أصبح متجاوزا وغير علمي، فما يبدو ثانويا قد يكون عكس ذلك تماما، فالأمازيغية مثلا ، التي سبقت الإشارة إليها ليست ثانوية، لأن الإنسان لا يعيش بالخبز فقط لسبب بسيط، هو أنه ليس حيوانا، بل اللغة الأم أساسية حسب الخبراء وعلماء اللغة لتحقيق التقدم العلمي وبالتالي التنمية الاقتصادية والمجتمعية. والتاريخ يؤكد أيضا أن جميع التجارب التي تعاملت بمنطق الأولويات انتهت بالفشل (الاتحاد السوفياتي مثلا).(2)

**حقوق الإنسان ضرورة حضارية:**

إن منظومة حقوق الإنسان أصبحت حاجة ماسة وضرورة حضارية لجميع المجتمعات لضمان مستقبلها سواء بدول الشمال أو الجنوب، ومن بينها المغرب الذي نركز عليه، لأنه وطننا، أي السفينة التي تحملنا والتي تفرض علينا البحث عن جميع الوسائل لحمايتها والحيلولة دون دخولها الأعاصير والاضطرابات، ومنظومة حقوق الإنسان أداة أساسية لتحقيق ذلك، فالذي يهدد المجتمعات ليست الحركات الاحتجاجية الحضارية التي تطالب مثلا بالحقوق اللغوية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، أو حقوق المرأة أو الطفل..إلخ، والتي تعكس دينامية المجتمع وتطوره، بل الفساد والظلم والرشوة والإقصاء بجميع أنواعه، فليس هناك في التاريخ مجتمعا تعرض للانهيار والضعف نتيجة الحقوق، الشيء الذي يتطلب مزيدا من العمل لتأصيل المنظومة سواء من طرف المجتمع السياسي أو المدني من الآليات لإقرارها وحمايتها.

**خلاصة**: حقوق الإنسان أصدرها الذين يومنون بالمساواة بين بني البشر، بصرف النظر عن أي مبرر، وتعارضها القوى المحافظة التي تؤمن بالتمايز والتفوق، ومنطوروها الذين يعمدون إلى مبررات لخلق مواطن مستلب ينقلب على نفسه ومصالحه (الحق في العمل، الصحة، التعليم...)ويخدم مصالح الذين يستغلونه، والذين حققوا أمنية مهمة من مشروعهم، حيث يلاحظ المتتبع أن نسبة مهمة من المواطنين أصبحت تعارض حقوقها، فكثيرا ما نرى من يتهجم على المنظومة دون أن يكون له اطلاع عليها، أو فهم لأهدافها، بل أصبحنا نرى من يدمر نفسه ووطنه. الشيء الذي يفرض على الذين يومنون بالمساواة المزيد من العمل والنضال لتصحيح الوضعية، أي خلق مواطن يدافع عن المنظومة لأنها تنشد مصلحته، وهذا يتطلب ثورة ثقافية تتمثل في التحرر من النزعة الشرقانية والعودة إلى الذات والانفتاح على التجارب التي تستحق الاستفادة منها، بدل الاقتصار على النماذج الهزيلة البعثية والتيوقراطية بالمشرق. ويتطلب أيضا مناضلون يمارسون النقد الذاتي لتجاوز المفارقات، إذ نجد من يتكلم عن حقوق الإنسان، لكن لا يقوم بواجباته أو يتحالف في محطات أساسية ومهمة كالانتخابات مع القوى الأكثر رجعية والمعارضة لحقوق الإنسان.

وفي الأخير نقول بأن حقوق الإنسان هي الحق في العمل، في الصحة وفي التعبير...وهي أساسية للتنمية لأنها الكفيلة بخلق مواطن يبدع وينتج بدل الذي يستهلك ويعتمد على الآخر ويعتقد بأنه يتحدى.

*(1) فمثلا ليس بدعوى الخصوصية سندافع في القرن 21 على استغلال الأطفال في أعمال لا توافق قدراتهم، بل ينبغي أن نوفر لهم ظروفا/حقوقا للنمو السليم.*

*(2) وبالمناسبة نشيد بموقف "الجمعية المغربية لحقوق الإنسان" الأخير من اللغة الأمازيغية حيث دعت إلى ترسيمها في الدستور كلغة رسمية، وندعو باقي الأطراف أن تحذو حذوها.*

---

**بين الحين والآخر والرحلات عبر الطائرات بالمجان بين الدول الغربية و إلى الرباط من أجل اجتماعات فارغة، والدخول في نقاشات بيزنطية وشجارات لن تثير انتباه المهاجر ولن تلفت انتباهه لا من قريب ولا من بعيد. فالمجلس إن تمت صياغته بهذا الشكل سيفقد لا محالة كل مصداقيته ومحتواه وسيبقى إطارا أجوف يخلق تنافسا حادا بين المتناضلين من فعاليات الهجرة من أجل البحث عن أجرة قارة تأتيهم من المغرب وعن ضمان تقاعد مريح وعن زبونية تسهل عليهم قضاء مآربهم الخاصة.**

**فهاته الفئة التي تهافتت في الكواليس كانت أثناء زمن الرصاص بالمغرب ترفع شعارات مغرية تندد بدسائس الوداديات جهرا وتحذر وتحرم أي دخول في المؤسسات التشريعية المغربية وتدين أية تمثيلية ذات طابع رسمي للمهاجر المغربي وكانت تقف ضد الاستثمار للجالية المغربية بالبلد الأصلي بحجة انعدام الديموقراطية وحقوق الإنسان بالبلد وبحجة التعامل الانتهازي للحكومة المغربية مع الهجرة.**

**فماذا تغير الآن على أرض الواقع؟ ولماذا عدلوا من مواقفهم النضالية وأصبحوا يتهافتون سرا وعلانية للظفر بوظيفة بالمجلس الأعلى للمهاجرين، ويندون بقرار إلغاء التمثيلية البرلمانية للمهاجر التي اعتبروها سابقا خيانة وانتهازية، وأصبحوا يعدونها الآن حقا شرعيا ومطلبا ومكسبا نضاليا! ولماذا غيبوا نقاش هذا المعطى عن الجالية المغربية المعنية ليتم توضيح المسالة والحسم فيها ديموقراطيا وتسللوا سرا إلى المجلس؟ هل هذه الفعاليات المعروفة تاريخيا بنضالها داخل ساحة الهجرة، والتي أصبح لعابها يسيل من أجل الدخول في هذا المجلس بمختلف تلاوينها، يمكن أن نعدهم بالمنتدبين الحقيقيين وبالأوصياء الشرعيين على الهجرة والمهاجرين وبمناضلين من أجل تفعيل هذا المجلس الجالية المغربية؟ أم يمكن نعتهم عكس مجرد مشوشين على مسلسل الاندماج والهجرة باسم الديموقراطية والحداثة والتاريخ النضالي داخل المهجر؟**

**الأسئلة تتعدد وتتشابك، علينا أن لا نعجل بإصدار الأحكام، لنترك الأجوبة تتوضح من تلقاء نفسها بعد أن انتهى الصراع القائم في السر والعلن بين مختلف التوجهات والفعاليات التي سعت بمختلف الطرق الزبونية للدخول في هذا المجلس، بحيث فيهم من حالفه الحظ في ذلك اقصيت ملفاتهم كثير منهم من الترشيح، ومنهم من لا زال ينتظر فاللائحة لا زالت مفتوحة. لننتظر إذن أعمال وبرامج الذين انتدبوا أنفسهم بأنفسهم للدفاع عن مصالح الجالية المغربية.**

### الحلول الموضوعية للهجرة ولتنمية الشمال المغربي

**مخافة منا من أي تشويش على الهجرة، ومخافة من تحويل منطقة الشمال، والريف بالخصوص، إلى مأخور سياحي من طنجة إلى السعيدية باسم خطاب تنمية منطقة الشمال التي يتاجر فيها سماسرة لا تربطهم أية علاقة لا بالريف ولا بهموم المنطقة، بل أصبحوا يستغلون الانفراج السياسي وبذور فك العزلة عن الريف والخطاب التنموي لتدارك التأخر التاريخي الذي لحق بالمنطقة من أجل خلق مضاربات عقارية تغني أرصدتهم البنكية ومن أجل إعادة بناء إفراغ المنطقة من ثرواتها ليس إلا. إننا نؤكد هنا على أن أي تعامل بناء وديموقراطي مع الهجرة وكون أية تنمية مستدامة ناجعة لهذه المنطقة وأية مصالحة حقيقية مع الريف لن تتم ولا يمكن أن تتحقق إل من خلال تنفيذ الشروط المستعجلة الملحة التالية:**

**× ترك فعاليات ومنظمات الهجرة الديموقراطية تصيغ وتقترح وتقرر وتشكل بوحدها الشكل التنظيمي الملائم لتأطير الهجرة ولمستجداتها الراهنة وتشجيعها على ذلك، على أن تتعامل الدولة المغربية مع مطالب المنظمات الهجروية بكل جدية وشفافية وبكل صدق وأمانة إن كانت نيتها حسنة في التعامل مع الهجرة ومنظماتها الديموقراطية، وإن كانت تريد بصدق البحث عن مخاطب لها في الهجرة من جهة، وأن تعمد الدولة المغربية إلى إخضاع هذا المجلس الأعلى لآلية الانتخاب، مع إشاعة أهداف المجلس وطرق اشتغاله لعامة المهاجرين لمناقشته ولإبداء الرأي فيه بكل شفافية وديموقراطية من جهة أخرى، فعهد التستر والكولسة ببلدان الهجرة قد انقضى نحبه قرونا مضت.**

**× منح منطقة الشمال المغربي صلاحية سياسية واسعة وإعادة النظر بشكل جدي في السياسة الجهوية لمنطقة الريف، مع إيجاد صيغة تجعل المنطقة تقوم بتدبير ذاتي معقلن ومحكم لشأنها الاقتصادي والثقافي ولمواردها الخاصة وصياغة تخطيط للشأن السوسيوثقافي واللغوي يراعي خصوصية المنطقة، وذلك ضمن استراتيجية تنموية ذات بعد متوسطي تشجع وتحفز أصحاب المنطقة ذوي النية الحسنة وذوي الارتباط العضوي بالمنطقة وبمواطنيها من أجل الشروع في أوراش استثمارية بعيدا عن كل العقبات المختلفة التي تحول من دون استثمار أموالهم بمنطقتهم الخاصة؛ وذلك استدراكا للتأخر التاريخي الذي لحق بالمنطقة أولا وبناء لكرامتها الشخصية ثانيا وإيقافا لنزيف هجرة عناصرها الشابة أخيرا؛**

**× توظيف عائدات وتحويلات المهاجرين من الشمال المغربي بالمنطقة وعدم إفراغها في المتروبول المغربي؛ مع خلق مراكز ذات طابع سياحي/ثقافي تتبادل فيه الشبيبة المهجرية وشبيبة المنطقة الآراء والخبرات؛**

**× اشتراط عودة رفات عبدالكريم الخطابي إلى مسقط رأسه ضمن شروط موضوعية تتمثل في استقبال يليق به كرئيس دولة وكقائد عالمي قاد ثورة تحرير شعبية ذاع صيتها عالميا، على أن تكون العودة كحدث دولي يستدعى لحضورها مسؤولو الدولة الإسبانية والفرنسية المتآمرتان آنذاك على الثورة المغربية بقيادة عبدالكريم الخطابي، وعلى أن تؤدي هاتان الدولتان بالتالي ديونها المستحقة إزاء الشمال المغربي: كالتعويض المادي للأضرار التي لحقت بالمنطقة وخلق مشاريع تنموية مستعجلة في منطقة الريف التي أجهضوا فيها مشروع التحديث الذي كان ضمن الاستراتيجيات الجوهرية لعبد الكريم الخطابي الكبرى وذلك بغية تدارك التأخر التاريخي الذي ألحقوه بالريف. لذا فإننا هنا ندعو الضمائر الحية المغربية بأن تقف ضد أية عودة مجانية لهذا الرمز التاريخي المغربي الذي أرسى المقاومة الحقة وأسس لمشروع التحديث المغربي.**

**فالريف بعد الاستقلال شهد تفكيكا لمؤسساته السياسية والاجتماعية وأقحمت فيه مؤسسات إدارية قضائية تعليمية وأمنية محزنية ذات طابع تعسفي غريبة ودخيلة عنه تسييرا وتعاملا ولغة...أبعدت عنه الأطر المحلية للمنطقة من المشاركة في التسيير والاستفادة من تجاربها وأفكارها وكفاءاتها، أدى كل ذلك إلى ترهيب المنطقة وطمس معالمها الثقافية والتاريخية والحضارية وحرمانها من التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتهجير ساكنتها النشيطة وضرب طوق الحصار الحديدي عليها.**

**فمن دون مراعاة هذه الشروط المشروعة والملحة فإن أي حديث عن التنمية والهجرة سيكون مجرد خطاب أجوف ومجرد ذر للرماد في العيون ومجرد محاولة لاحتواء التوترات واحتواء الطاقات والفعاليات التي تؤسس لمجتمع الحداثة والديموقراطية الحقيقيتين وإسكاتا لصوتها عبر مختلف الإغراءات المادية وغير المادية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فمن دون وقفة حازمة أيضا لقوى المجتمع المدني الحية سواء بالشمال المغربي أو بالدياسبورا من أجل وضع ملف مطلبي لما سبق ذكره وتشكيل جبهة ضغط قوية، فإن هذه الأشكال غير الشفافة من التعامل مع الهجرة لن تزيد إلا توتر الخارج مع الداخل ولن تنمي في الشمال المغربي إلا لبورديل سياحي من طنجة إلى السعيدية ولن تزيد إلا من حدة وتيرة التدفق لتيار قوارب الموت المستنزفة باستمرار لطاقات الشباب المغربي ولن تعمق إلا حدة الجروح غير المندملة والمتراكمة طويلا ببلاد الريف.**

هولندا: يناير 2008

# مؤهلات السياحة البيئية ودورها في تحقيق تنمية مستدامة بالريف الشرقي

يقع الريف الشرقي في أقصى شمال شرق المغرب ويمتد على مساحة تقدر بـ 6130 كلم2، يحده طبيعيا كل من واد ملوية شرقا، والبحر الأبيض المتوسط شمالا، وواد النكور غربا، ومنخفض كرسيف جنوبا. تعرف المنطقة من الناحية التضاريسية تنوعا كبيرا من الشمال إلى الجنوب ما بين جبال وهضاب وأحواض وسهول، والملاحظ أن هناك هيمنة للمرتفعات الجبلية التي تمثل حوالي 35٪ من مساحة الريف الشرقي، الذي ينفتح على البحر الأبيض المتوسط بواجهة تمتد على مسافة 150 كلم من رأس كبدانة شرقا حتى مصب واد النكور غربا. ويتمتع بمؤهلات سياحية عديدة وهامة لم يتم إبرازها وتثمينها حتى اليوم، حيث ظل جلها بكرا ينتظر المشروع الفعال لاستغلالها والاستفادة منها والتعريف والارتقاء بها إلى المستوى السياحي المطلوب، وبالتالي دمجها في الصعيد الوطني، خاصة وأن الريف الشرقي يتمتع بواجهة بحرية مؤهلة بأن تلعب دورا حاسما على المستوى السياحي بالإضافة إلى المناطق الجبلية الداخلية التي تتوفر على غابات مهمة ومناظر خلابة كفيلة بأن ترفع من قيمة المداخيل بالنسبة للساكنة المحلية، لو اهتم المسؤولون بهذا القطاع ?أي قطاع السياحة البيئية-.

▪ جمال البزياني

يقع الريف الشرقي في أقصى شمال شرق المغرب، ويمتد على مساحة تقدر ب 6130 كلم2، يحده طبيعيا كل من واد ملوية شرقا، والبحر الأبيض المتوسط شمالا، وواد النكور غربا، ثم سلسلة بني بويحيي جنوبا ( الشكل رقم1 ). وتعرف المنطقة من الناحية التضاريسية تنوعا كبيرا ما بين جبال وهضاب وأحواض وسهول، وتنفتح على البحر الأبيض المتوسط بواجهة تمتد على مسافة 150 كلم من مصب ملوية شرقا حتى مصب واد النكور غربا، في قسمين يشكلان هلالين يلتقيان عند رأس الفرشات الثلاث ويضمان شواطئ جميلة وخلابة. يحتوي الريف الشرقي كذلك على مجموعة من المواقع ذات أهمية بيولوجية وبيئية، والتي تعد طاقة مهمة جدا يجب تطويرها لأجل تنشيط السياحة البيئية، وذلك بالإضافة إلى مجموعة من المناطق الأثرية والتاريخية والجبلية التي تضم غابات ومناظر طبيعية يمكن أن تشكل مناطق جذب للسياح، وبالتالي التخفيف من الضغط على المناطق الساحلية ثم توفير دخل جديد وإضافي للساكنة المحلية. خلاصة القول فالريف الشرقي يتمتع بمؤهلات سياحية عديدة وهامة لم يتم إبرازها وتثمينها حتى اليوم، حيث ظل جلها بكرا ينتظر الإستراتيجية الفعالة لاستغلالها والاستفادة منها، ثم التعريف والارتقاء بها إلى المستوى السياحي المطلوب، وبالتالي دمجها في خطة التنمية المحلية لأجل تجاوز أحد أهم المعضلات التي تعاني منها المنطقة والتي تتجلى في عدم وجود توازن بين الموارد الطبيعية المحلية ومتطلبات الساكنة المحلية.

***-الريف الشرقي بين إشكالية ارتفاع الضغط البشري ومحدودية الموارد الطبيعية***

يتميز الريف الشرقي بعدم وجود توازن بين الظروف الطبيعية السائدة والحجم السكاني، الشيء الذي أدى بطبيعة الحال إلى اختلال التوازن بين الساكنة المحلية والموارد المتوفرة خاصة بالعالم القروي، وإلى تراجع الأنشطة التقليدية التي كانت تمارس بالمنطقة والمتمثلة في الرعي والزراعة، وذلك بسبب نقص مرد وديتها، هذا بالإضافة إلى كونها تؤدي في أغلب الأحيان إلى إحداث تدهور على مستوى الوسط الطبيعي (تراجع الغطاء النباتي وضياع التربات... ).

***1 - تعمير قوي وتركز بشري كثيف بالريف الشرقي***

يشير معظم المؤرخين والدارسين إلى أن التعمير بالريف الشرقي يرجع إلى فترة ما قبل الميلاد، وقد مر هذا المجال الجغرافي بمراحل تاريخية متعددة تعاقبت خلالها على المنطقة أجناس مختلفة وكانت حالة عدم الاستقرار هي السمة البارزة، وذلك نظرا لموقعه الجغرافي الهام والجذاب مما أهله ليشكل منطقة للتنافس الاقتصادي والسياسي، وقد عمل الاستعمار الإسباني على خلق بعض المراكز الحضرية الصغيرة، وذلك من أجل التحكم في المنطقة، كما عمل على إحداث محور طرقي في بداية الثلاثينيات من القرن الماضي يربط ما بين الناظور والحسيمة، وكان الهدف منه التحكم في المجال ومراقبة حركات السكان، وبذلك أحدث التدخل الاستعماري تحولات عميقة على جميع المستويات، فخلال المرحلة السابقة للاستعمار كانت البنيات الاجتماعية قائمة على أساس إنتاج جماعي يقوم على التضامن والوحدة بين أفراد الجماعة وكان استغلال الموارد الطبيعية محدودا ويشهد نوعا من التوازنات، لكن مباشرة بعد دخول الاستعمار عمل على ضرب وتفكيك البنيات المشار إليها سالفا كما عمل على خلق اضطرابات داخل المنطقة.

عرفت المنطقة نموا ديموغرافيا متزايدا، خصوصا بعد سنوات الستينات من القرن الماضي حيث يعيش بهذا الوسط الجغرافي 728634 نسمة(الجدول رقم 1) حسب إحصاء 2004، أي حوالي 38 ٪ من ساكنة الجهة الشرقية على 7.4 ٪ من مساحة نفس الجهة، لذا فإن الكثافة السكانية جد مرتفعة إذ تعدت 118 ن/كلم2 حسب نتائج الإحصاء الأخير لسنة 2004 ، مما يجعل الريف الشرقي أكثر المناطق المغربية كثافة وتعميرا، ويعزى هذا التطور إلى تراجع نسبة الوفيات وارتفاع الولادات الذي ترتب عنهما تزايد في عدد السكان مقابل ركود النمو الاقتصادي، وذلك بسبب ظروف الإنتاج الصعبة والإمكانيات المحلية المحدودة. وهذا ما يدفعنا إلى طرح أكثر من تساؤل حول مصادر العيش التي يلتجأ إليها السكان لتأمين مداخيلهم.

***2- الأنشطة الممارسة بالمنطقة ومدى استجابتها لمتطلبات الساكنة المحلية***

تتجلى الأنشطة الممارسة من طرف السكان بالريف الشرقي في النشاط الفلاحي بالأساس ( الجدول رقم 2 )، والذي يعتبر أقدم نشاط بالمنطقة خاصة وأن عددا كبيرا من السكان النشيطين هم فلاحون يتعاطون للزراعة وتربية الماشية.

إلا أن اعتماد أساليب تقليدية في الزراعة في جل أرجاء المنطقة إلا إذا استثنينا المناطق السقوية لبوعرك والكارت، وكذا عدم ملاءمة الظروف الطبيعية(الجفاف، ضياع التربة بسبب التعرية المائية، نقص في الموارد المائية) ينعكس سلبا على القطاع الفلاحي، مما يجعل ممارسة الزراعة وتربية الماشية في تراجع مستمر، وأضحت مردوديتها ضعيفة وتؤدي في غالب الأحيان إلى إحداث تدهور على مستوى الوسط الطبيعي والغطاء النباتي والثروة الحيوانية، ثم أصبحت الهجرة سواء نحو الخارج أو من القرى إلى المدن المخرج الوحيد والأخير للأزمة التي يعاني منها سكان المنطقة بسبب عدم توفر أنشطة بديلة. وقد شكلت هذه الهجرة إحدى الوسائل الناجعة بالنسبة للمجتمع لمواجهة الندرة الاقتصادية والتزايد السكاني الكبير مما دفع بالكثير من الشباب إلى ركوب قوارب الموت أملا في تحقيق غد أفضل، لكن كل هذه الحلول والبدائل لم تستطع أن تلبي حاجيات ومتطلبات سكان المنطقة، الشيء الذي يفرض إيجاد حلول وبدائل حقيقية وملموسة تخرج المنطقة من الوضعية التي تعيشها والمتمثلة في تدهور كبير للوسط الطبيعي بسبب ازدياد حدة التعرية المائية نتيجة التدخل البشري المكثف واللاعلمي، مما أدى إلى تراجع الغطاء النباتي والقضاء على خصوبة التربة. وتتجلى أحد أهم البدائل في تشجيع نشاط السياحة البيئية، الشيء الذي سيضمن لنا تنمية وتثمين الموارد الطبيعية المتواجدة والحفاظ عليها في مناطق هشة من جهة، وسيوفر لنا كذلك مصدر جديد للدخل بالنسبة للساكنة المحلية من جهة ثانية، فكيف السبيل إلى تحقيق ذلك؟

***II - السياحة البيئية بالريف الشرقي: المؤهلات والآفاق***

تعتبر السياحة البيئية نشاطا يحمل أفكارا تهدف إلى المحافظة على الموروثات السياحية والحضارية والأثرية والدينية والصحية والطبيعية بكل عناصرها من مصادر المياه المعدنية ونباتات وحيوانات وطيور وجبال وغابات وصحراء وفق خطة إستراتيجية بعيدة المدى تعمل على خلق سياحة شاملة رفيقة بالبيئة.

وتستثمر السياحة البيئية نتائج المحافظة على البيئة والطبيعة في قالب جديد يعطي الفرصة لدعم الدخل وتنويع مصادره مع ضمان استمرار النظم البيئية والتنوع الإحيائي والمحافظة على جمال الطبيعة بكامل محتوياتها حتى تكون مصدرا للأبناء والأحفاد والانتفاع بها اقتصاديا من خلال تنمية برامج استغلال رشيدة، هكذا إذن سوف نضمن وضع تصور لإستراتيجية تنموية شاملة ومستديمة، بمعنى تفعيل الإمكانيات الملموسة التي يتيحها الريف الشرقي دون إغفال الإكراهات التي تمت الإشارة إليها سابقا، وهنا نتساءل عن مؤهلات هذا النشاط الجديد ومقومات نجاحه داخل المنطقة المدروسة؟.

***1 - مؤهلات السياحة البيئية بالريف الشرقي تتميز بالتنوع***

يتوفر الريف الشرقي بالإضافة إلى موقعه الجغرافي القريب من أوربا، على إمكانيات سياحية متنوعة جدا، مثل سبخة بوعرك، مواقع شاطئية تنتشر على حوالي 180 كلم من الساحل، جبال، حامات معدنية، مغارات، موروث تاريخي وثقافي متنوع... لكن بمقارنة هذه المنطقة مع الأقطاب السياحية الوطنية من ناحية البنيات السياحية الضرورية، نجد أن هناك تأخر نسبي على هذا المستوى، مما يدفعنا إلى القول بأن هذه الإمكانيات تظل بكرا وغير مستغلة إلى حد الآن، الشيء الذي يجعلنا متفائلين، حيث من الممكن أن يصبح الريف الشرقي قبلة للسياح، خاصة مع ما تشهده المنطقة مؤخرا من ثورة حقيقية على مستوى البنيات التحتية ( شق طرق جديدة وسكة حديدية تربط الناضور بتاوريرت، إنشاء مطار الناضور-العروي...)، والمشاريع السياحية الموجودة في طور الإنجاز، الأمر الذي يفرض التفكير في وضع استراتيجية فعالة لاستغلال الإمكانيات السياحية للمنطقة، تأخذ بعين الاعتبار مسألة تثمين الموروث الطبيعي والثقافي للريف الشرقي الذي يتميز بالتنوع. ومن بين أهم مؤهلات السياحة البيئية بالمنطقة نجد:

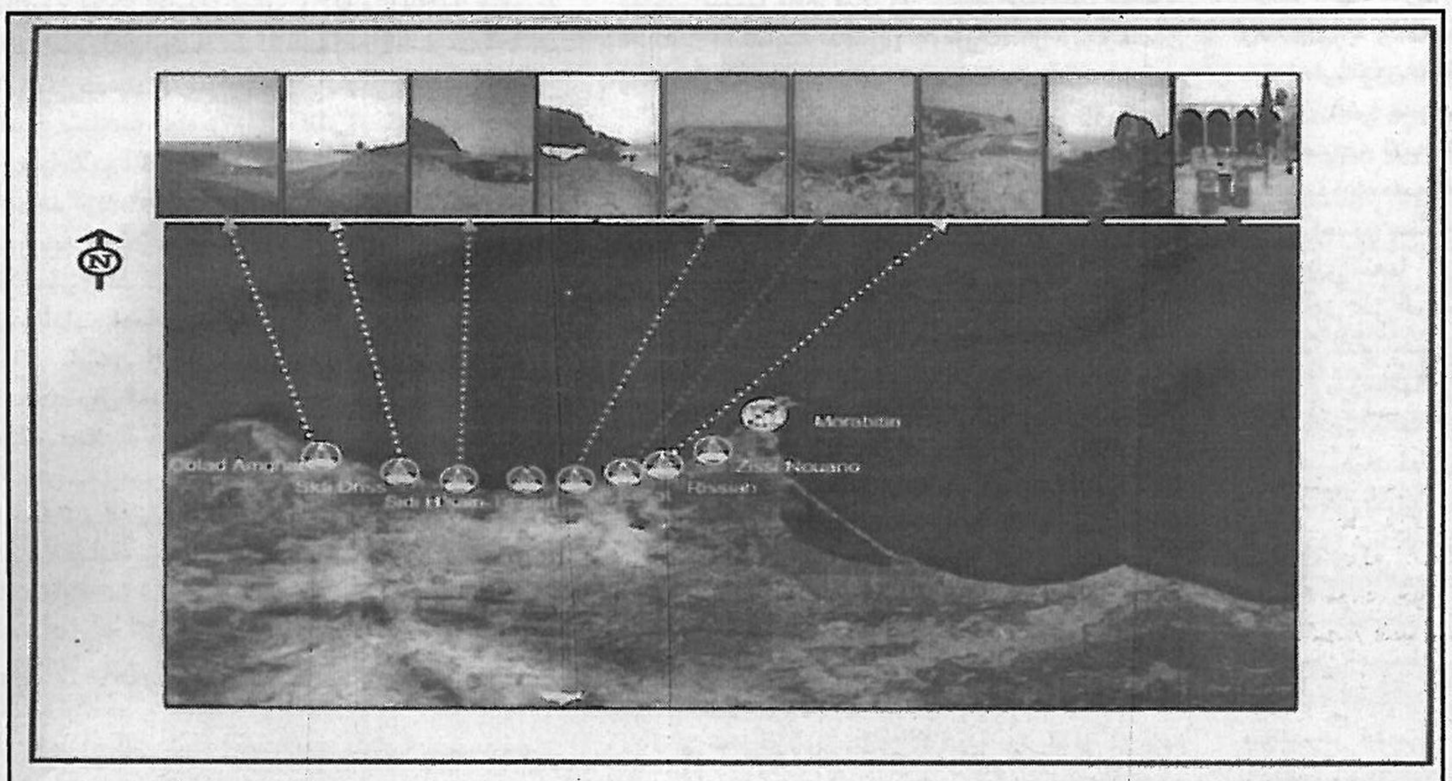
***1-1 المؤهلات الشاطئية***

تتوفر المنطقة على عدد كبير من الشواطئ على الشريط الساحلي للبحر الأبيض المتوسط الممتد من مصب ملوية شرقا إلى مصب واد النكور غربا، على طول يقارب 180 كلم ( رأس الماء: 7 كلم، قرية أركمان: 7كلم، بوقانا (بني نصار): 7 كلم، إعزانن: 4.5 كلم، تزاغين: 3.5 كلم، سيدي عبد الرزاق: 4 كلم، سيدي إدريس: 6 كلم، تروكوت: 5.5 كلم...)، كل هذه الشواطئ تتوفر فيها جميع المواصفات المطلوبة من جودة مياه الاستحمام والرمال وجمالية الطبيعة، مشكلة بذلك فضاءات مناسبة للإستجمام والترويح عن النفس شريطة المحافظة على مميزاتها البيئية واحترامها. وكذا ممارسة الرياضات المائية التي تستهوي الكثير من السواح الأوروبيين ( 5 ملايين ممارس بأوربا حاليا )، و تجدر الإشارة إلى أن ساحل الريف الشرقي يتوفر على مواقع طبيعية لممارسة الرياضات المائية ( الشكل رقم 2 )، والتي شرعت المصالح المختصة في تهيئتها و تزويدها ببعض التجهيزات الضرورية لممارسة مثل هذا النوع من الرياضة، كالغطس تحت الماء، التزلج المائي، الرياضة الشراعية...

***1-2 - المواقع البيئية والبيولوجية***

نظرا لموقعه الجغرافي الهام وتنوع مميزاته الطبيعية، يقدم الريف الشرقي تنوع كبير فيما يخص الأنظمة البيئية، الشيء الذي دفع بالمسئولين إلى إحداث ثلاثة مواقع ذات أهمية بيولوجية و بيئية أي ما يعرف ب ) S.I.B.E.الشكل رقم 3) ، هذا إضافة إلى موقع رابع مشترك مع إقليم بركان يتمثل في مصب ملوية. هذه المواقع تتيح لنا إمكانية استغلالها بشكل إيجابي لتطوير السياحة البيئية كنشاط بديل داخل المنطقة.

يتبع في العدد القادم




شكل رقم2: بعض المواقع الساحلية المناسبة لممارسة الرياضات المائية بالريف الشرقي

جدول رقم 1 : تطور ساكنة الريف الشرقي بين 1982 و 2004

| | 1982 | 1994 | 2004 |
|---|---|---|---|
| الوسط الحضري | 115062 | 246113 | 369102 |
| الوسط القروي | 478193 | 437801 | 359532 |
| المجموع | 593255 | 683914 | 728634 |

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى ل 1982-1994-2004 .

جدول رقم 2 : المساحة التي يحتلها نشاط الفلاحة و الرعي بالريف الشرقي

| نوع النشاط | المساحة بالهكتار | النسبة من المساحة الإجمالية للريف الشرقي % |
|---|---|---|
| الفلاحة | 239390 | 40 |
| الرعي | 170500 | 26 |

المصدر: المونوغرافية الاقتصادية للناظور 2004

## تأهيل القطاع السياحي بالحسيمة : 2/1

# هل هو مخطط تنموي أم مخطط سياسي؟

■عبد المالك بوغابة

في البداية أود أن أتقدم باسم الجمعية المتوسطية للسياحة بالريف في هذا التقرير بتعريف ومفهوم للسياحة من جهة، و انطلاقا من اهتمام الجمعية بهذا القطاع الحيوي فقد ارتأت أن تسلط الضوء على كل المبادرات والتطورات المتعلقة بملف القطاع السياحي في الإقليم، وكذا المساهمة ببعض المعطيات المتعلقة بالمشاريع السياحية بالمنطقة من خلال المصادر الرسمية و التصريحات الحكومية على غرار ما قيل ويقال عن التنمية السياحية بالريف من جهة ثانية .

**تعريف السياحة:**

السياحة أو صناعة السياحة لا تقف على تعريف واحد بذاته لأن ثمة أنواعا مختلفة للسياحة، وتعريف كل نوع يعتمد على الغرض الذي تقوم من أجله. لكن تتفق جميع أنواع السياحة في العناصر السياحية الثلاثة الرئيسية الآتية، وهي تكون مفهوم السياحة لدى أي شعب من الشعوب:

1-السائحون: وهي الطاقة البشرية التي تستوعبها الدولة المضيفة صاحبة المعالم السياحية وفقا لمتطلبات كل سائح.

2-المعرضون: وهي الدول التي تقدم خدمة السياحة لسائحيها بعرض كل ما لديها من إمكانيات في هذا المجال تتناسب مع طلبات السائحين من أجل خلق بيئة سياحية ناجحة.

3-الموارد الثقافية (المعالم السياحية): باختلاف أنواعها والتي تتمثل في أنواع السياحة وتقديم التعريفات المختلفة لها فنجد منها: السياحة البيئية، السياحة العلاجية، السياحة الرياضية، السياحة الاجتماعية، سياحة التسوق، سياحة المغامرات، سياحة الشواطئ، السياحة الفضائية، سياحة الآثار، السياحة الدينية...الخ.

بالإضافة إلى الثلاثة عناصر السابقة التي تتكون منها السياحة، إلا أن هناك نمطين أساسيين من الأنماط السياحية.

- السياحة الدولية، وهو النشاط السياحي الذي يتم تبادله ما بين الدول والسفر من حدود دولة لأخرى.

- السياحة الداخلية، وهو النشاط السياحي الذي يتم من مواطني الدولة لمدنها المختلفة التي يوجد بها جذب سياحي أو معالم سياحية تستحق الزيارة... أي أن السياحة الداخلية هي صناعة تكون داخل حدود الدول و لا تخرج عن نطاقها.

لكن هذا المفهوم (مفهوم السياحة الداخلية) يختلف عند بعض الدول كأمريكا، بلغاريا وألمانيا، بلجيكا وبريطانيا...

ونستخلص من ذلك التعريف العام للسياحة " الركوب برا وبحرا وجوا ".

ففي المغرب كثر الحديث حول السياحة منذ المناظرة الأولى سنة 2001المنعقدة بمراكش والتي كانت تحت شعار:

" السياحة مشروع وطني لتسريع وتيرة التنمية بالمغرب " التي شكلت قطيعة نهائية مع الماضي فيما يتعلق بالسياسة السياحية المغربية، واستعملت خلالها الخطابات ومختلف المصطلحات: رؤية -2010المخطط الأزرق - مخطط مدائن -مخطط بلادي -برنامج كنوزي - السياحة المسؤولة - الشاطئ الأبيض - السياحة القروية -السياحة ذات الطابع المحلي - السياحة الداخلية - السياحة الالكترونية - السياحة الموازية سياحة المستقبل - السياحة المستدامة والمندمجة - السياحة الشاطئية الثقافة الإيكولوجية...

استقبال 10ملايين سائح - خلق 160الف سرير إضافي -إحداث 600الف منصب شغل - تحقيق استثمار إجمالي بقيمة 90مليار درهم، وإحداث مجموعة من الجمعيات المهنية وغير المهنية وغيرها من الشعارات.

ففي إقليم الحسيمة حظي بالاهتمام من طرف بعض المؤسسات الاقتصادية منذ 1961قبل أن تظهر أهمية السياحة من خلال التخطيطات الاقتصادية التي أعطت أولوية للسياحة منذ 1965، وذلك بخلق شركات متخصصة تهتم بالقطاع السياحي بهذه المنطقة. إلا أن المواقع المختارة من طرف هذه المؤسسات وحداثة توجهها لم تلق الاهتمام الكافي من طرف الرأسمال الخاص الوطني في حينه، نظرا لانعدام الخبرة وروح المغامرة لدى المستثمرين المغاربة رغم الإمكانيات التي وضعت رهن إشارتهم. فكان صندوق الإيداع والتدبير أول من بادر بإنشاء مؤسسات سياحية بإقليم الحسيمة وفي باقي المناطق الشمالية بالريف والتي كانت تسيرها آنذاك مؤسسة المغرب السياحي.

ونلاحظ أن مجهودات الدولة ابتداء من السنوات 60لجعل القطاع السياحي أهم نشاط اقتصادي بالإقليم، لم تبلغ هدفها وذلك بالنظر أساسا إلى الوتيرة المتواضعة للاستثمار الخاص المحلي، بحيث أنه لم يتمكن من إنجاز سوى 250سرير تقريبا خلال 40سنة الأخيرة. فالسياحة بالنسبة لإقليم الحسيمة تشكل قاطرة للتنمية إلى جانب قطاع الصيد البحري وانطلاقا من المبادرات والتطورات المتعلق بملف القطاع السياحي في الإقليم، وذلك من خلال:

- خطاب الوزير الأول السابق إدريس جطو يوم 24مايو 2004بمقر الولاية حول البرنامج الاستعجالي لإعادة إعمار إقليم الحسيمة على إثر الزلزال الذي ضرب الإقليم ، وتضمن في هذا البرنامج إعادة تاهيل القطاع السياحي وخاصة منها مركب كيمادو، كلايريس، و النكور بغلاف مالي قدره 56مليون درهم، وذلك تنفيذا للتعليمات الملكية التي تضمنها الخطاب يوم 25 مارس 2004بالحسيمة.

- تراس وزير السياحة السابق عادل الدويري حفل توقيع اتفاقيتين تهم مجال السياحة بمعية والي جهة الحسيمة تازة تاونات السيد عبد الإله المصلوت يوم الجمعة 9مارس 2007بالحسيمة بين السيد فؤاد البريني، المدير العام لوكالة التنمية الشمالية، و السيد رشيد السليمي مدير صندوق الإيداع والتدبير للتنمية، حول الأهداف الأساسية التي يندرج وراءها إنشاء مشاريع سياحية بمنطقة الحسيمة بقيمة 4ملايير و 215 مليون درهم هو رد الاعتبار للمنطقة من الناحية السياحية وتفعيل الحركة الاقتصادية بها وتوفير مناصب شغل جديدة، وكذا إعادة الجاذبية لهذه المنطقة الغنية بثرواتها الطبيعية وتنوع تضاريسها، إن المؤهلات الطبيعية والبشرية التي تزخر بها المنطقة يجب أن تكون خير محفز لخلق قطب سياحي وطني جديد سيمكن، مع مساهمة أقطاب سياحية أخرى رائدة ، من تحقيق رؤية . 2010

- وتأتي هذه الانطلاقة في تنفيذ المشاريع المبرمجة مباشرة بعد الزيارة الملكية لإقليم الحسيمة في الصيف الماضي، وبتاريخ 25 يوليوز 2007تم تدشين المعهد المتخصص في الفندقة والسياحة بكلفة 35مليون درهم بدعم من البنك الأوروبي للاستثمار واللجنة الأوروبية (برنامج ميدا ( 2، لتلعب دورها في تاهيل الموارد البشرية من أبناء المنطقة في تدبير القطاع السياحي، وهذا الإنجاز نعتبره في الجمعية إيجابيا رغم تاخره، لأن هذا الملف تمت دراسته في منتصف الثمانينات وخصص له آنذاك مبلغ 10ملايير درهم.

وبنفس المناسبة، قدمت للملك شروحات حول مشروع تهيئة المنطقة السياحية » السواني " وبرنامج تاهيل فندقي " محمد الخامس " و " كيمادو "، وذلك في إطار المخطط الشامل للتنمية السياحية بإقليم الحسيمة ، في أفق 2015، الذي رصدت له اعتمادات بقيمة 4مليارات من الدراهم، ويقوم هذا البرنامج على إعادة هيكلة المنتوج السياحي الموجود عبر الإصلاح والتحديث التدريجي لفندق محمد الخامس من أجل إدراجه في صنف أربعة نجوم على الأقل، وذلك في غضون 9اشهر، و هدم و إعادة بناء الإقامات السياحية ب " كيمادو " الذي شرع في هدمه وينتظر أن يتم تعويضه ببناء مركب جديد والذي ستستغرق به الأشغال 24شهرا. (حسب وثيقة المشروع ).



وبمشروع بموقع بنادي البحر الأبيض المتوسط سابقا (موقع السواني) ستقدر الطاقة الاستعابية به حوالي 2000سرير وسيمكن هذا المشروع، الذي يتطلب استثمارات تقدر بحوالي 600مليون درهم، من خلق 1000منصب شغل مباشر في إطار برتوكول اتفاق يجمع بين وزارة المالية والخوصصة، ووزارة السياحة، والمندوبية السامية للمياه والغابات والتصحر، ووكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية لعمالات واقاليم الشمال وصندوق الإيداع والتدبير - للتنمية؛ و علاوة على ذلك، يهم البرنامج الشمولي للتنمية الساحلية للحسيمة تهيئة منطقة سياحية شاطيئة من الجيل الجديد، على مستوى موقع " كلايريس " السياحي التي تشرف عليها وزارة السياحة، وسيوفر بالإضافة إلى إقامات سياحية وفنادق وتجهيزات ترفيهية على مساحة 330هكتار نحو 10الف سرير. كما سيخلق هذا المشروع الذي تبلغ كلفته الإجمالية 3ملايير درهم، 5000منصب شغل ( حسب وثيقة المشروع ).

كما سيجري، في إطار البرنامج نفسه، تنمية المنتوجات السياحية ذات الخاصية المحلية على الساحل المتوسطي من الناظور حتى طنجة مرورا بالحسيمة، ويهدف هذا المشروع إلى تنمية نشاط رياضة الزوارق الشراعية من خلال إنشاء مركز استقبال وثلاث محطات توقف بحرية بإقليم الحسيمة، سيوفر هذا المشروع أزيد من 150منصب شغل مباشر، بطاقة إيوائية تصل إلى 52سريرا، وستساهم هذه المشاريع المرتبطة بالتنمية السياحية في إقليم الحسيمة في تعزيز النشاط السياحي بالمنطقة، كما ستضاعف 5 مرات القدرة الإيوائية السياحية، وباستثمار يبلغ 6.5مليار درهم ( حسب وثيقة المشروع كذلك).

ويهدف هذا المشروع نحو إغناء العرض البحري المنتظر، وتثمين المؤهلات الطبيعية والثقافية للمناطق المجاورة (المناطق القروية) بخلق "فضاء الاستقبال السياحي"، والذي سيهم أساسا خلق " دار الاستقبال السياحي " و 8 ماوي قروية، وكذا تهيئة مدارين سياحيين كبيرين، سيوفر حوالي 100منصب شغل مباشر. بقيمة استثمار الشروع ب 7مليون درهم، وذلك في اتفاقية تربط بين السلطات المحلية والمنتخبين، ووزارة السياحة، والمندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر، ووكالة التنمية الشمالية. ( حسب وثيقة المشروع ).

وإلى جانب ما سبق، فإن الأشغال جارية لتغير ملامح وسط مدينة الحسيمة وإعادة تصميم مختلف أنحاء المدينة، وذلك ببناء كورنيشين على طول شاطئ صباديا وكيمادو...إلى جانب القيام بمجموعة من الأوراش ذات علاقة بالمجال السياحي، فيما يخص تقوية البنية التحتية في بعض شواطئ إقليم الحسيمة. ونامل من هذه المشاريع أن تعطي نهضة سياحية حقيقية بمراعاة خصوصيات المنطقة.

و من موقع مقاربتنا، كجمعية مهتمة بالشأن السياحي، و من أجل تاهيل هذا القطاع يجب:

القيام باستغلال أفضل للإمكانات السياحية التي يتوفر عليها الإقليم في أفق تحقيق تنمية مستدامة، فإنه يمكن لواجهة الحسيمة أن تنفرد بمنتوج سياحي متكامل، يجمع بين العرض السياحي الساحلي من جهة والمجال القروي من جهة ثانية. لأن السياحة هي أهم قطاع يدور حوله اقتصاد الإقليم، ويجب إنعاشه وتنميته لكي يلعب دوره في التنمية بالريف وتشغيل اليد العاملة، والتخفيف من التهجير الذي مورس على المنطقة لعقود طويلة، وبالتالي سيمكن إقليم الحسيمة من الاندماج اقتصاديا مع القطب

# ميشال فوكو: المثقف والسلطة 2/1

تقديـــــم : يندرج هذان النصان للمفكر الفرنسي الراحل ميشال فوكو M. Faucault (1926 - 1984)، ضمن إشكالية المثقف وعلاقته بالسلطة. ومعلوم أن فوكو جعل من قضية السلطة، وتحديدا "العلاقات بالسلطة"، هاجسه الأساسي؛ وهو ما بلوره خلال مفهوم مركزي في حفرياته، ألا وهو : "ميكروفيزياء السلطة". فقد أبانت مؤلفات مثل "تاريخ الجنون" و "المراقبة والعقاب" وأيضا "إرادة المعرفة"، عن انتقال الأشكال السياسية، باتجاه تقنيات واستراتيجيات سلطوية أكثر انتشارا؛ حيث أصبحت السلطة "دقيقة كالشعرة تؤثر في الأجساد وتنتشر من خلالها في المصانع والثكنات والمدارس والملاجئ والسجون. وستقطع ميكروفيزياء السلطة، الصلة مع تصور يختزل السلطة في نزعة القمع المتكتلة لإبراز كيف أن فعل السلطة يوجه الطاقات ويخضع القوى وينتج المعارف وعلى رأسها العلوم الإنسانية (×). المترجم –

■ترجمة: د. عز الدين الخطابي

## النص (1)
### الوظيفة السياسية للمثقف

]نشر هذا النص أولا بالمجلة الفرنسية Politique Hebdo عدد بتاريخ 29/11/1976. وبعد ذلك في مؤلف "أقوال وكتابات"، الجزء الثاني، 1976–1988، منشورات غاليمار باريس، 2001، ص.ص. 109/.114[.

منذ مدة ليست بالقصيرة، تناول مثقف "اليسار" الكلمة واكتسب الحق في الحديث، كمالك للحقيقة ولما هو عادل. فقد كان يسمع أو كان يدعي أنه يسمع كممثل لخطاب كوني. فأن يكون المرء مثقفا، معناه أن يكون إلى حد ما، هو ضمير الجميع. واعتقد بأننا نجد هنا، فكرة منقولة عن الماركسية وتحديدا عن ماركسية مبتذلة، فمثلما أن البروليتاريا هي بفعل وضعيتها التاريخية الضرورية حاملة لما هو كوني ]حاملة مباشرة، غير متمعنة و قليلة الوعي بذاتها[ كذلك، فإن المثقف يجد نفسه، من جراء اختياره الأخلاقي والنظري والسياسي، حاملا لهذه الكونية في شكلها الواعي والمنظم. فهو يمثل الجانب المضيء والفردي لكونية، تجسد البروليتاريا جانبها المظلم والجماعي.

لكن، لم يعد المثقف منذ مدة، مطالبا بلعب هذا الدور. فقد تبلور نمط جديد "للعلاقة بين النظرية والممارسة"؛ حيث تعود المثقفون على الاشتغال، لا على ما هو "كوني" و "نموذجي" وعادل وحقيقي بالنسبة للجميع، بل داخل قطاعات محددة وفي نقط معينة، يتموقعون فيها بفعل شروطهم المهنية أو شروط حياتهم ]بالمسكن والمستشفى والملجأ والمختبر والجامعة والعلاقات الأسرية أو الجنسية .[ومن المؤكد أنهم اكتسبوا من جراء ذلك، وعيا أكثر وضوحا وفورية، بالصراعات القائمة. كما واجهوا مشاكل نوعية " غير كونية"، غالبا ما تختلف عن مشاكل البروليتاريا أو الجماهير. ومع ذلك، فقد احتكوا بهذه الصراعات بشكل جيد وذلك لسببين على ما أظن : أولا، لأن الأمر يتعلق بصراعات واقعية، مادية ويومية؛ وثانيا لأنهم كانوا يواجهون في الغالب ولكن بشكل آخر، نفس خصوم البروليتاريا و الفلاحين أو الجماهير؛ وأقصد بذلك، الشركات المتعددة الجنسيات والجهاز القضائي والبوليسي والمضاربات العقارية الخ.. وهو ما أدعوه بالمثقف "الخصوصي" مقابل المثقف "الكوني".

وقد حمل هذا الوجه الجديد دلالة سياسية أخرى، حيث سمح، إن لم نقل بتحقيق الالتحام، فعلى الأقل بإعادة تمفصل مقولات متجاورة لكن منفصلة بعضها عن بعض. فالمثقف ظل إلى حد الآن، مجسدا في الكاتب بامتياز، فهو الضمير الكوني والذات الحرة؛ وهو يعارض "الكفاءات" التي تخدم الدولة أو رأس المال (مهندسين، قضاة، أساتذة).

وعندما يتبلور التسييس انطلاقا من النشاط النوعي لكل واحد، فإن عتبة الكتابة كعلامة مقدسة للمثقف تختفي. وسينتج عن ذلك، روابط عرضية بين معرفة وأخرى وبين نقطة تسييس وأخرى. هكذا، سيكون بإمكان القضاة والأطباء و الأطباء النفسانيين والمساعدين الاجتماعيين والمشتغلين بالمختبرات وعلماء الاجتماع، المساهمة كل من موقعه الخاص وعبر التبادل والدعم، في عملية تسييس شاملة للمثقفين.

وما يفسر هذه العملية، هو كون الكاتب كعنصر طليعي، يتجه نحو الزوال؛ وسيظهر بدله كل من الأستاذ والجامعة، ليس باعتبارهما عنصرين أساسيين، بل "كوسيطين في عملية التبادل" وكنقطتي تقاطع بامتياز. فكون الجامعة والتعليم أصبحا منطقتين سياسيتين حساستين جدا، فلذلك ما يبرره بكل تأكيد. وما ندعوه أزمة الجامعة، لا يمكن أن يؤول كافتقاد للقدرة، بل على العكس، كتزايد وتوطيد لآثارها السلطوية، وسط مجموعة متنوعة من المثقفين الذين يمرون عبرها جميعا، عمليا، ويرجعون إليها.

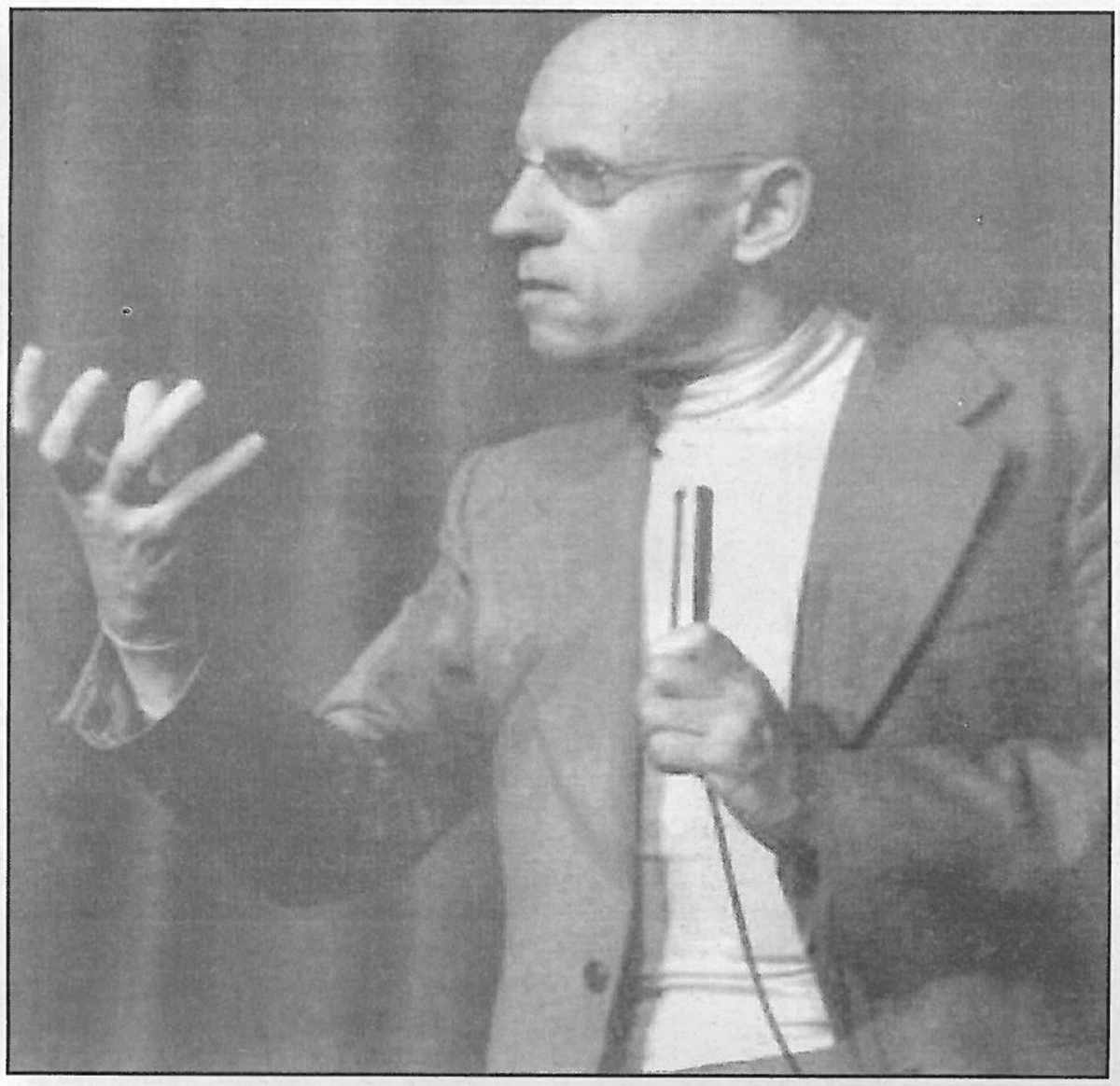
وأعتقد بأن صورة المثقف الخصوصية قد تبلورت ابتداء من الحرب العالمية الثانية. ولربما كان الفيزيائي في المجال النووي ?واسمه أوبنهايمر Oppenheimer للتذكير ?هو الذي شكل نقطة الالتقاء بين المثقف الكوني والمثقف الخصوصي. ولأن علاقته بالمؤسسة وبالمعرفة العلمية كانت مباشرة، فقد كان يسمح لنفسه بالتدخل والتعبير عن رأيه صراحة. هكذا، اكتسب خطابه بعدا كونيا، لأن الخطر النووي كان يهدد النوع الإنساني برمته. وتحت غطاء هذا الاحتجاج الذي يتعلق بمصير العالم، بلور العالم في المجال النووي، موقفه الخاص داخل نظام المعرفة. ولأول مرة على ما أظن توبع المثقف من طرف السلطة السياسية، ليس بسبب خطابه العام، بل بسبب المعرفة التي يحملها؛ فقد كان يشكل على هذا المستوى، خطرا سياسيا.

ويمكننا افتراض أن المثقف الكوني كما برز في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، نابع من صورة تاريخية خاصة. إنها صورة الإنسان العادل، إنسان القانون الذي يعارض السلطة والاستبداد والشطط وعجرفة المال، بكونية العدالة والمساواة أمام قانون مثالي. وقد تشكلت الصراعات السياسية الكبرى في القرن الثامن عشر حول القانون والحق والدستور، وحول ما هو عادل من الناحية العقلية والطبيعية وحول ما يمكن وما يجب أن يتحقق كونيا. وما أدعوه اليوم بالمثقف ]وأنا أقصد بذلك، المثقف بالمعنى السياسي وليس السوسيولوجي أو المهني؛ أي ذلك الذي يستخدم معرفته وكفاءته وعلاقته بالحقيقة، داخل نظام الصراعات السياسية[ ، قد تولد عن رجل القانون؛ وفي جميع الأحوال، عن الإنسان الذي يدافع عن كونية القانون العادل ضد محترفي القانون ]ويعتبر فولتير Voltaire بفرنسا، نموذجا لهذا المثقف.[

إن المثقف "الكوني" ينبثق من القانوني البارز ويجد تعبيره المكتمل في الكاتب الحامل لمجموعة من الدلالات والقيم التي يمكن للجميع أن يتعرفوا من خلالها على ذاتهم. أما المثقف "الخصوصي"، فهو ينبثق من صورة أخرى، ليست هي صورة "القانوني البارز" بل "العالم الخبير".

والآن، لنعد إلى أمور أكثر دقة ولنقر بالأهمية التي اكتساها المثقف الخصوصي منذ عشرات السنين؛ وبتنامي هذه الأهمية مع تطور البنيات التقنية والعلمية داخل المجتمع المعاصر. والحال، أن المثقف الخصوصي يواجه عراقيل ويتعرض لمخاطر تتمثل في صراعات ظرفية ومطالب قطاعية. وهو ما يجعله مسخرا من طرف الأحزاب السياسية والأجهزة النقابية التي تقود هذه الصراعات المحلية. وهناك مخاطر أخرى، مثل عدم التمكن من تطوير هذه الصراعات، نظرا لغياب إستراتيجية شاملة ودعم خارجي؛ وأيضا عدم التوفر على أتباع أو على أتباع محدودين جدا. ولدينا مثال بارز في فرنسا حاليا. فالصراع بخصوص السجن ونظام العقاب والجهاز البوليسي القضائي، أصبح منفصلا أكثر فأكثر، عن كل ما يمكن أن يسمح له بالاتساع، لأنه تطور بشكل "منعزل" بمعية عاملين اجتماعيين وسجناء سابقين. وقد اخترق هذا الصراع من طرف إيديولوجيا ساذجة وعتيقة، جعلت من المحترف في نفس الآن، الضحية البريئة والثائر الخالص والحمل الوديع المضحى به اجتماعيا والذئب الصغير المهيأ للثورات المستقبلية. وهذا الرجوع إلى الموضوعات الفوضوية لنهاية القرن التاسع عشر، أصبح ممكنا بسبب غياب الانخراط في الاستراتيجيات الراهنة. وبالتالي، حصلت قطيعة عميقة بين هذه الأغنية الوجيزة والرتيبة والشاعرية التي لا تسمع إلا داخل مجموعات صغيرة؛ وبين الجماهير التي لا تعيرها أي اهتمام ?ولها أسبابها في ذلك ?والتي تقبل بالحفاظ بل وبتدعيم الجهاز القضائي والبوليسي، نظرا لخوفها المتجذر من الإجرام.

ويبدو لي أن هذه الفترة تستدعي بلورة جديدة لوظيفة المثقف الخصوصي، وليس المقصود هنا، التخلي عن هذه الوظيفة، رغم حنين البعض إلى المثقفين "الكونيين" الكبار، ولإقراره بالحاجة إلى فلسفة وإلى رؤية للعالم. ويكفينا التفكير في النتائج الهامة التي تحققت في مجال الطب النفسي؛ فهي تؤكد على أن هذه الصراعات المحلية والنوعية، لم تكن خطأ ولم تؤد إلى أي مأزق. ومن اللازم أن يكسب دور المثقف الخصوصي، أهمية متزايدة على قدر المسؤوليات السياسية التي يتعين عليه تحملها، كعالم في المجال النووي والوراثي والمعلوماتي والصيدلي الخ.. وسيكون من الخطر إقصاؤه ضمن علاقته النوعية بمعرفة محلية، بذريعة أن المسألة تهم المختصين وليس الجماهير ]وهذا خطأ مضاعف، فالجماهير على وعي بهذه المسألة؛ وهي منخرطة فيها[ ؛ أو أنه يخدم مصالح الرأسمال والدولة]وهذا صحيح، لكنه يظهر في نفس الآن، المكانة الإستراتيجية التي يحتلها هذا المثقف[ ؛ أو انه ينشر إيديولوجيا علموية ]وهذا ليس صحيحا دائما ولا يكتسي سوى أهمية ثانوية بالنسبة لما هو أساسي وأقصد بذلك، التأثيرات الخاصة للخطابات الحقيقية.[



وأظن بأن المهم، هو ألا تكون الحقيقة خارج السلطة ولا بدون سلطة ]فرغم ذيوع أسطورة، يتعين علينا معالجة تاريخها ووظائفها، فإن الحقيقة ليست هي مكافأة العقول الحرة ولا الطفلة المتولدة عن العزلة الطويلة وليست امتيازا بالنسبة لأولئك الذين تحرروا منها.[ الحقيقة هي نتاج هذا العالم؛ وقد تبلورت نتيجة إكراهات عديدة. كما أنها تتوفر بانتظام على آثار السلطة، فلكل مجتمع نظام حقيقته "وسياسته العامة" حول الحقيقة، أي أنماط الخطابات التي يستقبلها ويوظفها كحقائق، والآليات والمقتضيات التي تسمح بالتمييز بين الملفوظات الصحيحة أو الخاطئة والطريقة التي تتم بها مواجهة هذه أو تلك والتقنيات والإجراءات التي تكتسب قيمة بغرض بلوغ الحقيقة ووضعية المسؤولين عن تحديد كيفية اشتغال ما هو حقيقي.

إن "الاقتصاد السياسي" للحقيقة يتخذ في مجتمعاتنا خمسة ملامح ذات أهمية تاريخية، فالحقيقة تتمركز حول شكل الخطاب العلمي وحول المؤسسات التي تنتجه وهي خاضعة لدوافع اقتصادية وسياسية ثابتة ]فهناك حاجة إلى الحقيقة، سواء بالنسبة للإنتاج الاقتصادي أو بالنسبة للسلطة السياسية .[وهي موضوع للانتشار الواسع وللاستهلاك على مختلف الأشكال ]فهي تتحرك داخل أجهزة التربية والإعلام التي يتميز انتشارها نسبيا بالاتساع داخل الجسم الاجتماعي، رغم وجود بعد التحديدات الصارمة .[وهي تنتج ويتم نقلها تحت المراقبة المهيمنة وليست الحصرية، لبعض الأجهزة السياسية والاقتصادية الكبرى]الجامعة، الجيش، الكتابة، وسائل الإعلام .[وأخيرا، هي رهان كل نقاش سياسي وكل مواجهة اجتماعية ]كصراعات "ايديولوجية".[

وفي اعتقادي، فإن ما يجب أخذه بعين الاعتبار الآن لدى المثقف، ليس كونه "حاملا لقيم كونية"، بل لأنه يشغل موقعا خصوصيا– لكن خصوصيته مرتبطة بالوظائف العامة لعدة الحقيقة داخل مجتمع مثل مجتمعنا –. وبصيغة أخرى، فإن خصوصية المثقف ثلاثية الأوجه : فهناك خصوصية الوضعية الطبقية ]برجوازي صغير في خدمة الرأسمالية، مثقف البروليتاريا"العضوي".[ وهناك خصوصية شروط حياته وعمله، المرتبطة بشرطه كمثقف ]مجال بحثه، وضعيته داخل المختبر، المقتضيات الاقتصادية أو السياسية التي يخضع لها أو التي يثور ضدها بالجامعة وبالمستشفى الخ..[ ؛ وأخيرا خصوصية سياسة الحقيقة بمجتمعاتنا.

وهنا يمكن أن يأخذ وضع المثقف دلالة عامة، وأن تتضمن معركته المحلية أو النوعية، تأثيرات ومقتضيات تتجاوز ما هو مهني أو قطاعي. فهو يشتغل أو يصارع على المستوى العام لنظام الحقيقة الأساسي بالنسبة لبنيات ووظائف مجتمعنا. هناك إذن معركة "من أجل الحقيقة" أو على الأقل "حول الحقيقة"؛ علما بأنني لا أقصد بالحقيقة "مجموع الأشياء الحقة التي يتعين اكتشافها وجعلها مقبولة"، بل "مجموع القواعد التي يتم من خلالها التمييز بين الصحيح والخطأ وربط التأثيرات النوعية للسلطة بما هو حقيقي"، ومع العلم أيضا، بأن الأمر لا يتعلق بمعركة "لصالح" الحقيقة، بل حول وضع الحقيقة والدور الاقتصادي والسياسي الذي تلعبه. ويجب التفكير في المشاكل السياسية للمثقفين ، ليس بألفاظ "العلم / الإيديولوجيا"، بل بألفاظ "الحقيقة / السلطة". وهنا يمكننا أن نتصور من جديد، مسألة مهننة professionnalisation المثقف وتقسيم العمل إلى يدوي وذهني.

وقد يبدو ما قلته غامضا وغير مؤكد. فهو غير مؤكد لأنه عبارة عن افتراضات. ولكي ينزاح بعض الغموض عن هذا القول، أريد تقديم بعض "المقترحات"، ليس كمعطيات مقبولة نهائيا، بل فقط كأشياء ممنوحة لمحاولات أو لتجارب مستقبلية :

– أقصد ب "حقيقة"، مجموع الإجراءات المنتظمة من أجل إنتاج وتقعيد وتوزيع وترويج وتشغيل الملفوظات.

– ترتبط "الحقيقة" دائريا بأنظمة السلطة التي تنتجها وتدعمها؛ وبتأثيرات السلطة التي تحملها وترافقها. فهناك "نظام" للحقيقة.

– وهذا النظام ليس إيديولوجيا فحسب وليس عبارة عن بنية فوقية ! فقد كان شرطا لتشكيل وتطور الرأسمالية. وهو الذي يشتغل مع بعض التعديلات، في أغلب البلدان الاشتراكية ]وأنا أترك قضية الصين مفتوحة، لأنني لا اعرف هذا البلد.[

-ليست المشكلة السياسية الأساسية للمثقف هي نقد المضامين الايديولوجية المرتبطة بالعلم، ولا جعل الممارسة العلمية مقترحة بإيديولوجيا حقة، بل هي معرفة ما إذا كان ممكنا تشكيل سياسة جديدة للحقيقة. فالمشكلة لا تتمثل في تغيير "وعي" الناس أو ما يوجد في رؤوسهم، بل تتعلق بتغيير النظام السياسي والاقتصادي والمؤسساتي لإنتاج الحقيقة.

ولا يتعلق الأمر بتحرير الحقيقة من كل نظام للسلطة – لأن ذلك مجرد وهم، ما دامت الحقيقة نفسها عبارة عن سلطة – بل بالعمل على فصل سلطة الحقيقة عن أشكال الهيمنة ]الاجتماعية والاقتصادية والسياسية [التي تعمل بداخلها حاليا.

*اقتطف هذا النص من مؤلف :*

***Michel Foucault, Dits et Ecrits II, 1976 - 1988, Gallimard, Paris, 2001, pp. 109/114.***

*(*)لمزيد من التفاصيل انظر كتاب :*

***ريكور، دريدا، فوكو وآخرون، في الترجمة والفلسفة السياسية والأخلاقية، ترجمة وتقديم د. عزالدين الخطابي، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، 2004، الصفحات 112 – 115.***

## قراءة في كتاب: " الملكية والإسلام السياسي في المغرب"

# المخزن مفهوم دنيوي يفتقد لأية شحنة دينية أو صفة أخلاقية سامية

■ محمد لمرابطي

كتاب " الملكية والإسلام السياسي في المغرب" من تأليف محمد الطوزي أستاذ العلوم السياسية بجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، وترجمه الأستاذان خالد شكراوي أستاذ الدراسات الإفريقية بكلية الآداب بفاس، ومحمد حاتمي أستاذ تاريخ الشرق الأوسط المعاصر بنفس الكلية، وعلى الرغم من أن الكتاب أتمه صاحبه في أواخر يوليوز من سنة 1999، مع إضافته بعض الوقائع والمستجدات السياسية الطارئة، فإنه لا يزال يحتفظ بقيمته وراهنيته الكبيرة، نظرا لجدة أفكاره، وقدرة صاحبه على التغلغل في معامع البحث العلمي، وسبر أغوار المستندات التاريخية الرصينة، وامتلاكه إمكانة الخوض في غمار الكتابة بواسطة منهج يتدفق حيوية وإقناعا، مع إغناء دراسته بمنظور سوسيولوجي وسياسي من الطابع الأكاديمي الراقي جدا، مما جعل الكتاب يحضى ولا زال باهتمام كافة الأوساط الثقافية والعلمية.

وقد سبق للأستاذ محمد ضريف الباحث المختص في قضايا وشؤون الحركات الإسلامية أن تناول في كتابه موضوع "الإسلام السياسي في المغرب"، ضمن دراسة علمية دقيقة، لا تخلو بدورها من أهميتها الفائقة، ومؤلفه نشر في بداية التسعينات، ومما زاد من جدته اعتماد صاحبه في التأليف أسلوب المقاربة الوثائقية، عند تناوله للإسلام السياسي في المغرب، وعالج ذلك على مستويات ثلاثة، مستوى البيئة والماهية ثم البنية، وبذلك يكون مجال بحثه قد انحصر في جانب الإسلام السياسي فقط.

وبعدهما، وفي موضوع ذي صلة، جعل أستاذ العلوم السياسية محمد شقير دراسته الجديدة التي صدرت سنة 2006، تركز على مجال محدد، معنونا إياها، ب" المراسيم السياسية في المغرب، بين العصرنة والتحديث". وموضوع الإسلام السياسي أثاره عرضا ليس أكثر في ثنايا مؤلفه من خلال نموذج الشيخ عبد السلام ياسين المرشد العام لجماعة العدل والإحسان، متطرقا بشكل أساسي في كتابه إلى تناول كيفية تكون المراسيم السياسية بالمغرب ومأسستها وعصرنتها، مع ختم مؤلفه بفصل خاص عن البروتوكول المخزني، سواء فيما يتعلق بجانب التكسير والتخفيف من حدة البروتوكول المخزني، أو الجانب المتعلق بالتنصيص على تحديث البروتوكول المخزني وعقلنته وعصرنته.

ومن هنا تأتي الأهمية القصوى والكبيرة لمؤلف محمد الطوزي، بحيث أنه تناول في كتابه القيم، موضوعين، لهما وزنهما وثقلهما الذي لا يخفى في جميع الأبحاث والدراسات الأكاديمية، سياسية كانت أو قانونية، وكذا على مستوى الواقع الاجتماعي والاقتصادي ببلادنا، خاصة في تفاعلاته المرتبطة بالهيآت السياسية والمدنية بالمغرب.

ويشتمل الكتاب على تسعة فصول ومقدمة، وقد اثار الكتاب في المقدمة الصورة التي تقدمها المملكة المغربية للملاحظين والمهتمين بغض النظر عن جنسياتهم وحقول عملهم، منذ حصول المغرب على استقلاله الذي مر عليه ما يزيد عن أربعين سنة، كما أثار مسألة الاستخلاف العسير، ويتعلق الأمر بممارسة النخب السياسية للشأن العام لمدة طويلة، مما أدى إلى تعميق الهوة بين الطبقة الحاكمة والأجيال الصاعدة، وقد كان من المرتقب خلق مناخ مناسب يسهل التواصل بين جيل الحركة الوطنية وجيل الاستقلال، فحسب الكاتب أن هناك مؤشرات إيجابية تساعد على ذلك، من قبيل غياب النقاش في موضوع طبيعة النظام، وإقلاع التنظيمات اليسارية على ترجيح الحلول الثورية الانقلابية، وقبول الملك بمشروع التناوب السياسي الذي أفضى إلى وصول قوى المعارضة إلى الحكم، وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين والعفو عن المنفيين. وهذه كلها أمور تدل على وقوع نقلة في الثقافة السياسية المغربية، إلا أن الحصيلة كانت دون مستوى الآمال المعقودة.

كما تناول الكاتب في مقدمته المنهج النظري الذي اعتمده في التحليل، مناهج علم الاجتماع التاريخي"، كما اعتمد في التحليل أيضا منطق " المسار التاريخي الذاتي للنمو"، مشيرا إلى أن موارد كتابه تتكون من أربعة محاور ( محور التحليل التاريخي ?محور تحليل آليات تسيير الحقل السياسي- محور آليات الحركية السياسية ?محور جرد مكامن القطيعة والاستمرارية من خلال دراسته مسارات الحركات الإسلامية المغربية وتتبع مناهجها).

**الفصل الأول: " التحرك وسط حقل مسيج في البحث عن أصول الخضوع والطاعة لولي الأمر"**

يؤكد الباحث محمد الطوزي على أن حفل تقديم الولاء يحتل مكانة مركزية في الاستراتيجية التي يعتمدها النظام المغربي لتأكيد شرعيته في الحكم، وضمن هذا السياق أكد الفقيه العلامة عبد الله كنون الذي ترأس رابطة علماء المغرب ما بين سنة 1956و 1992، على أن العلماء هم آخر من يخلع عن عاتقهم فروض الطاعة للنظام، حتى ولو تأكد أن هذا الأخير يفتقد إلى الشرعية اللازمة، وفي قولته دلالة واضحة على خوف الفقهاء من وقوع فراغ أو حصول فتور في السلطة العليا، وما قد يترتب على ذلك من فتنة وفوضى.

ومن خلال المفاهيم التي يتضمنها نص البيعة، التي صممت المؤسسة الملكية على رد الاعتبار إليها والرقي بها إلى مرتبة يصبح وفقها العقد الشرعي إحدى الدعامات التأسيسية للنظام، يقول الطوزي أكد النظام على فكرة أساسية يعتمدها في خطابه السياسي، تفيد صراحة بأن السلطة الملكية وجدت في المغرب قبل وجود الدولة، أي أن الملكية هي التي صنعت الدولة، وبالتالي فهي تسمو فوق القانون، وأن شرعية النظام السياسي تحيل على سندين: سند إيديولوجي يعتمد على إعادة إنتاج خطاب رسمي انطلاقا من موروث تاريخي، وسند ثقافي يتجلى في الطقوس والتشريفات المعقدة التي يحرص النظام على أن يمتثل لها الجميع.

وقد شددت جميع التحاليل التي اتخذت من النظام الساسي المغربي موضوعا لها، على أن نظام المخزن يشبه في جل الميادين نظام الحكومة العصرية، فالأستاذ إدريس بن علي يؤكد على التجدر التاريخي للمخزن، ويؤكد أيضا أن المخزن لم يكن نتاجا مباشرا للاستقلال السياسي، أي أنه ليس منتوجا زرعت بذوره خلال المرحلة الاستعمارية، وما تخللها من صراع سياسي من أجل التحرر، إنه يملك تاريخا طويلا يستمد شرعيته من استمرارية دامت لقرون عديدة، إنه وليد المجتمع المغربي، خرج من صلبه في زمن معين من تطوره، ولم ينل الاستعمار من قيمة هذا المكسب العريق، بل على العكس زاد في صقله.

وعلى النقيض من مؤسسة السلطان، يعتبر المخزن مفهوما دنيويا من دون شحنة دينية، ومفتقدا لأية صفة أخلاقية سامية، لذلك وجب التمييز بينه وبين المؤسسات الإدارية الرسمية من جهة، وبينه وبين الملك من جهة أخرى، فالمخزن موضع الإسقاطات السلبية والإيجابية على السواء، همه الوحيد جعل مصلحة الدولة فوق كل اعتبار.

كما أشار الكاتب من خلال الفصل الأول، إلى أن البرلمان في المغرب يمارس وظيفة الشفاعة أكثر مما يشغل وظيفة تشريعية تخولها له الإرادة الشعبية، وقد لاحظ المتخصصون في القانون الدستوري، أن النواب والمستشارين لا يمارسون الدور الطبيعي المنوط بهم، أي التشريع ومراقبة الحكومة، وينحصر دورهم الرئيسي في طرح مشاكل منتخبيهم عبر الأسئلة الشفوية، والاتصال مباشرة بالإدارات والوساطة بين المواطن والسلطات العليا، لأنه عمليا، البرلماني لا يملك أية سلطة.

**الفصل الثاني: "السيبة المراقبة كنمط لنشر النفوذ من دون تكلفة"**

يشير محمد الطوزي في هذا الفصل إلى أنه من أجل توضيح الآليات التي يعتمدها النظام من أجل ادخار موارده السلطوية، لابد من العودة إلى القرن التاسع عشر، خاصة إلى عهد السلطان الحسن الأول، فخلال عهده، أبان النظام على إحدى ميزاته الأساسية المتمثلة في الهيمنة على السلطة السياسية بشكل فعال دون أن يكلف ذلك المخزن عناء سياسيا كبيرا، أو ثروات مالية مهمة، وتتوافق هذه الخاصية وفقر الدولة المالي وعجزها على الارتقاء إلى صف الفاعل السياسي والاقتصادي الرائد، ويؤكد الطوزي على ضرورة التمييز الصريح والواضح بين مؤسسة السلطان من جهة، ومؤسسة الدولة ?الإدارة من جهة أخرى، لأن كل طرف يعمل وفق منطق يتناقض ومنطق الآخر، طبعا، قد يحدث أن تتطابق مصالحهما، ولكن ذلك لا يؤدي إلى الخلط بين أوراق الطرفين، بل يحصل أحيانا أن تتعارض مصالحهما، والطوزي يستكمل تعليله في سياق تحليله.

ويمثل حسب الكاتب، السماح بظهور وتطور مجالات للتمرد السياسي، الخاصية الثانية للنظام المخزني، وهذه الخاصية تدل على مقدرة النظام على الاعتماد على التجديد النسبي والمستمر للنخب الحاكمة، بغرض تقليص فرص الجمود والانحلال التي يمكن أن تنتج من جراء هيمنة نمط فكري تغلب عليه المحاباة ومحاربة التغيير، وعليه، تعتبر السيبة المراقبة مرتعا ضروريا، تتم فيه صياغة فكر نقدي، وإعادة تشكيل النخب المشاركة في التسيير، فالسيبة لا تمثل خللا ولا تهديدا حقيقيا على النظام، بل هي على العكس من ذلك، تمثل انبعاثا جديدا وفرصة إعادة ترتيب المنزل الداخلي، فالنظام شأنه شأن المتمردين، يعتبر السيبة وسيلة للإدماج وللمشاركة، ففي مواجهة التصرفات الطائشة للشخصيات المتمردة، يجتهد المخزن في الرد باستراتيجيات ذكية تصبو إلى شل حركة الخارجين عن طاعته أو إعادة إدماجهم لأغراض جديدة، ولا يلجأ إلى الإقصاء إلا نادرا، وفي ذلك دليل على قدرة المخزن من الاستفادة من التمرد وتوظيفه لمصلحته الخاصة.

ويعطي الكاتب كنموذج ومثال على ذلك، حالة تمرد الزعيم المحلي الحسين أو هاشم الإيليغي سليل أسياد سوس، وأحد الرجال المتألقين في جنوب المغرب ابتداء من أواسط القرن التاسع عشر إلى حين وفاته 1886، وكيف تأقلم المخزن مع تمرده، ودفع به في اتجاه يخدم مصلحته، وجعل منه في آخر الأمر المستفيد الرئيسي من الحدث.

وكنموذج على التمرد الإيجابي ساق الكاتب حالة الشيخ عبد السلام ياسين الذي اعتبر أن مشروعه السياسي: الإسلام أو الطوفان"، الذي تجرأ ياسين على تقديمه للملك، يبقى في جوهره إصلاحيا.

**الفصل الثالث: " التكريس الإيديولوجي لقدسية المؤسسة الملكية"**

في هذا الفصل يشير الطوزي إلى أن من الأمور التي تتميز بها المؤسسة الملكية المغربية عن قريناتها في العالم الإسلامي، تباهي القائم عليها بنسبه الشريف وانتمائه إلى البيت النبوي، وقد أعتمدت المؤسسة هذه الخاصية منذ نشأتها، وتذكر بها، وتؤكد عليها بشكل قوي، في كل المناسبات، ويقول الطوزي أنه إذا كان الشرفاء السعديون قد لاقوا تنقيصا وتشكيكا في أمر نسبهم الشريف، فإنه قلما حصل اعتراض على صحة الشجرة العلوية، وفي هذا الصدد فإن المؤرخ أبو خالد الناصري، صاحب كتاب "الاستقصا" يجزم على هذه الحقيقة بما لا يترك مجالا للشك في الصفحتين الثالثة والرابعة ضمن الجزء السابع من الكتاب المذكور.

كما أشار الطوزي في هذا الفصل إلى أن هناك مجموعة من الدارسين، يحاولون إعادة استغلال عناصر التراث بغرض معرفة الغاية والمغزى من عقد البيعة، وتمخض عن هذه الاجتهادات تأويلات متناقضة، أهمها ثلاثة: -1البيعة كعقد سياسي -2البيعة كمبايعة متبادلة -3البيعة كعقد ولاء وخضوع، وهو المفهوم المعمول به حاليا في المغرب، وهو عقد يستثني أن تكون البيعة مقرونة بشروط معينة.

ويشير الطوزي إلى أن الملك الحسن الثاني قد أشار أكثر من مرة إلى أن الحظوة التي يحض بها التقليد المغربي العلماء، لا تعني أنهم أساس أو مصدر شرعية السلطان، وأكد على أن الحافز الأساسي وراء ضرورة إشعار العلماء أو إحضارهم هو تقني محض.

إضافة إلى أن العلماء يقومون بالشهادة على انتقال السلطة إلى الملك الجديد وتقديمهم الولاء، شأنهم في ذلك شأن هيئات اجتماعية أخرى، لا تقل أهمية من الناحية السياسية والاجتماعية، مثل الشرفاء وأفراد العائلة المالكة، وشخصيات المخزن ورؤساء الأحزاب السياسية...

ويشير الطوزي في خاتمة فصله إلى أن قضية مراجعة الدستور التي أعلن عنها الملك سنة 1992، تشكل مناسبة تمكن من تتبع عن قرب، معرفة الممارسات الملتوية التي يعمد إليها الفاعلون السياسيون للوصول إلى أهداف معينة، فالملاحظ المتتبع يجد أن هناك فرقا بين الخطاب المعتمد في التجمعات الحزبية، وما يتعرض إليه هذا الخطاب من تصحيحات جوهرية عبر المراحل ، لتصل هذه المطالب إلى الديوان الملكي في مذكرات متقلصة، متحولة في النهاية إلى مجرد اقتراحات.

**الفصل الرابع: " العلماء من إمامة الصلاة إلى تنوير الجماهير"**

يشير الكاتب في هذا الفصل إلى أنه ابتداء من سنة 1960، بدأت تظهر البوادر الأولى لمقاومة العلماء لاستغلال الأحزاب السياسية لهم، فقد طالبوا الاعتراف بهم كعلماء مستقلين، وظيفتهم الأساسية رعاية الشأن الديني، لأن رابطة علماء المغرب، لم تتأسس إلا تأكيدا لتلك الرغبة، وهذه الأخيرة تقلص دورها إلى حجم المشورة الخاصة من طرف المواطنين، لأن الرابطة لا تتوفر على ضوابط قانونية تسمح لها بإصدار فتاوى ملزمة، وعلى المستوى السياسي حرمت الرابطة من ملء الوظيفة السياسية للعلماء بشكل دائم، لأنه لم يحصل إلا نادرا وبصفة غير رسمية، أن رفع طلب إلى الرابطة لإبداء الرأي في أمر من الأمور، وبسب هذا الإقصاء الفعلي للرابطة، ظهر فراغ إيديولوجي مضر بالنظام، كما فقد العلماء مصداقيتهم كحماة تقليديين للشريعة، ولذلك بادرت السلطات إلى اتخاذ إجراءات عديدة تهدف إلى إعادة الاعتبار لدور العلماء في تسيير الحياة العامة، وفي هذا السياق جاء الظهير الشريف رقم: 1.80.071، بتاريخ 08أبريل 1981، يتعلق بإحداث المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الإقليمية.

ويذكر الطوزي أن المجالس العلمية الإقليمية إلى جانب وزارة الأوقاف أبانت على مقدرة فائقة في مراقبة تعيين خطباء المساجد، وكذا المكلفين بإلقاء الدروس الرمضانية، إلا أنها فشلت في التصدي إلى استراتيجيات التملص من المراقبة التي اعتمدتها الحركات الإسلامية، فهذه الأخيرة التجأت إلى استعمال وسائل حديثة لنشر خطابها، فاعتمدت الصحافة المكتوبة والنشر وتوزيع الكتب الدينية.

وقد فشلت جميع المحاولات التي قامت بها الدولة خلال السنوات الأولى من الاستقلال بهدف إلحاق القرويين بجامعة محمد الخامس بالرباط، فقد قاوم العلماء بشدة ما كانوا يعتبرونه مخططات مناهضة لهم، وتمكنت الجامعة العتيقة من الإحراز على استقلاليتها، وفي سنة 1964قبيل حصول شبه قطيعة بين القصر والحركة الوطنية وإعلان حالة الاستثناء، تم تأسيس معهد دار الحديث الحسنية بالرباط.

**الفصل الخامس: " النخبة السياسية المغربية والعلاقة بين الدين والدولة"**

في هذا الفصل أشار الطوزي إلى أن الأحزاب التقدمية المغربية يغلب عليها الالتباس والغموض بخصوص موقفها من الدين، فالاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وحزب التقدم والاشتراكية يلتزمان الصمت حين مناقشة أمور لها علاقة بالشريعة والملة، والإتحاد الاشتراكي حسب الكاتب رفض الأخذ بطرح عبد الله العروي الذي يدعو صراحة إلى خلق قطيعة مع إرث الماضي ويختار التحليل التاريخاني المفضي إلى حتمية الثورة الليبرالية وفلسفة الأنوار، واختار حزب الإتحاد الاشتراكي طرح محمد عابد الجابري الذي يدعو إلى توظيف المقومات التراثية العربية الإسلامية بشكل عصري، وانتقد الجابري الذين يرتبطون بتراث أوروبا أكثر من ارتباطهم بالتراث العربي الإسلامي، وأصبح الجابري منظرا إيديولوجيا للحزب في هذا المجال.

أما حزب الاستقلال، فعلى الرغم من كونه يعطي الانطباع أنه يشكل في الوقت الراهن أهم منافس للحركات الإسلامية، فقد عجز على منافسة المؤسسة الملكية داخل الحقل السياسي، لأن شرعيته مكتسبة أساسا من نضاله الوطني وممارسته السياسية أثناء مرحلة الكفاح المسلح ضد الاستعمار، ولذلك كانت شرعيته سياسية بالدرجة الأولى، في حين تستمد الملكية مرجعيتها الشرعية من الدين مباشرة، وهي مسألة يقربها حزب الاستقلال نفسه.

أما التيار الذي يمثله الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وحزب الشورى والاستقلال، فكانا يدعوان إلى التقليص من حيز المرجعيات الشرعية وضرورة تحديث القواعد النظرية للنظام، وعلى الرغم من اختلاف مسار الحزبين وتباين التكوين الفكري لزعيميهما (عبد الله إبراهيم ومحمد الحسن الوزاني)، فقد اتفقا في مسألة تهميش الجانب الديني في مشروعيهما السياسيين، ويفسر هذا الاختيار إلى جانب أسباب أخرى، فشلهما السياسي.

كما أشار الطوزي إلى موقف العلمانيين، وذكر أنهم يشكلون فئة مهمشة داخل المجتمع المدني، ولم يحصل إلا نادرا أن كتب لهم التعبير عن آرائهم في شكل خطاب سياسي مهيكل، إلا حين يتحدثون من فوق منابر الجمعيات التي تدافع عن حقوق الإنسان، فالقائلون بفكرة الفصل بين الدين والدولة يشكلون أقلية، وحسب الطوزي فإن أي تحدي للسلطة في هذا المجال بالضبط، كان من شأنه أن يؤدي حتما بالطرف المتحدي إلى الإقصاء من الحقل السياسي، وحدد الطوزي هذه الأقلية فيما يسمى باليسار الجديد وكان العديد من مناضليها سجناء سياسيين أو منفيين.

**الفصل السادس: "الفاعلون في الحقل الإسلامي من منطق الحصول على الاعتراف إلى منطق الحركية"**

أهم ما تناوله المؤلف في هذا الفصل كون الاسلاميين استطاعوا تغطية جميع قطاعات الحياة اليومية عن طريق شبكة مكثفة من الجمعيات، تستمد عناصر قوتها من ضعف الهياكل المحلية، وعجز السياسيين عن القيام بالمأموريات العامة، وأعطى عدة أمثلة على ذلك من مدينة الدار البيضاء المغربية، إلا أنه على الرغم من أن الساحة السياسية عرفت في السنوات الأخيرة ظهور حركات إسلامية، تمكنت من تقوية قواعدها واكتسبت في وقت قصير نفوذا وتأثيرا، فإن مكانة الدين في الحاضرة المغربية في تراجع مستمر، فقد تغيرت الملامح العامة للمغرب منذ أن أصبح الدين اختصاصا من اختصاصات الدولة، وهو نفس الأمر الذي حصل في دول إسلامية أخرى، فإذا أمعنا النظر في التحولات التي عرفتها الساحة الدينية في السنوات العشرين الأخيرة، نلاحظ وجود تيار كبير تتجاذب أطرافه اتجاهات متناقضة، فالحقل السياسي يعرف منافسة شديدة بين الفاعلين المختلفين، فهنالك علماء تقليديون وآخرون م ١٠دون، وزعماء سياسيون تاريخيون ومنافسون جدد ومثقفون . ملاميون جدد، وقد نتج عن تصارع هذه القوى، أن ظهرت على السطح بعض الممارسات الدينية المقتبسة من النماذج التقليدية الأجنبية، مصرية وسعودية بل وحتى باكستانية، ولعبت البرامج التلفزية لهذه الدول تأثيرا قويا في ترسيخ هذه الممارسات.

**الفصل السابع: "جماعة العدل والإحسان أنماط العلاقة بين الشيخ والمريد وتحديات العمل السياسي"**

من بين ما يتضمنه هذا الفصل الإشارة إلى أن محاكمة الشيخ عبد السلام ياسين المرشد العام لجماعة العدل والإحسان في شهر ابريل من سنة 1984، قد أبانت للرأي العام، على أن حركة الشيخ ياسين تمثل جماعة منظمة وملتحمة ومصممة على تحقيق مشروعها، فعلى الرغم من كونها جمعية غير معترف بها من طرف السلطات، فإنها كانت تمثل أهم جماعة على الساحة الإسلامية المغربية من حيث العدد وطبيعة التأطير، إنها جماعة تمتزج في تركيبتها الكاريزماتية لزعيمها بالنضال السياسي الديني، والشيخ ياسين يجعل نفسه حلقة إضافية في سلسلة العلماء المناهضين للسلطة، الذين انبروا لها في الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع عشر والعشرين، مع اختلافه من حيث الطموح ومنهج التعامل مع العالم عبد الكبير الكتاني، بعد المناظرة العلمية التي تحدى فيها هذا الأخير السلطان مولاي عبد الحفيظ مباشرة، أما عبد الله العروي فيرى أن هذه المناظرة العلمية انتهت بإدانة الكتاني من قبل العلماء، لولا تدخل العلامة ماء العينين في آخر لحظة.

أما فيما يخص موقف الشيخ ياسين من الديمقراطية، فإنه يقول في رسالته التي وجهها إلى الملك سنة " :1973 الديمقراطية لا نرفضها، وإن كنا لا نسلم بأنها في وضعها الحالي تضمن للإنسان المغربي ما تدعيه من حقوق وضعية"، وبشأن موقفه من الأحزاب السياسية والمنظمات والنقابات، فإنه يقبل التعدد الحزبي لأنه مظهر من مظاهر الديمقراطية المقبولة لديهم مؤقتا في انتظار الحكم الإسلامي القريب بحول الله..."، كما أن الجماعة تشجب جميع مظاهر العنف السياسي، وتمتنع عن تكفير المنافسين السياسيين.

**الفصل الثامن: "جماعة الإصلاح-الحركة الإسلامية في محك السياسة"**

جوهر هذا الفصل يشير إلى أنه على عكس ما قام به الشيخ ياسين، فقد نجحت جماعة الإصلاح والتجديد في اجتياز امتحان المرور إلى الحقل السياسي، واستطاعت الاندماج في اللعبة المخزنية، فقد التزم أطر الإصلاح والتجديد خلال مسارهم السياسي بالتعبير على ولائهم للسلطة، واستعدادهم للنهل من منابع الثقافة السياسية السائدة، ومكنتهم واقعيتهم السياسية من التخفيف من نقط الضعف والتناقض التي تتضمنها برامجهم، أما الشيخ ياسين فإن النظام قد فتح التفاوض معه سنة 1995، إلا أن المفاوضات معه وصلت إلى باب مسدود، لأن الشيخ ياسين تشبث بمطلبه الأساسي، أي تأسيس حزب سياسي ذو برنامج ديني، وهو الأمر الذي يرفضه الملك رفضا قاطعا، وبذلك كان من المستحيل أن يصل الطرفان إلى حل توافقي.

وأكد محمد يتيم أحد زعماء الإصلاح والتجديد، أن الإسلام في المملكة المغربية ليس مشكل نظام، فصلب المشكلة هو أن النخب التي حكمت المغرب منذ الإستقلال هي نخب تلقت دراستها وتكوينها في أوروبا، فكان طبيعيا أن تحكم البلاد وفق تصورات وقوالب غربية، وقد فطنت حركة الاصلاح إلى أن المغرب دولة إسلامية قائمة دستوريا ونظريا، ومشروعية الدين في المجتمع وفي المؤسسات الدستورية غير متنازع حولها، ولكن هذه المشروعية المعترف بها اجتماعيا ودستوريا يجب إعطاءها مضمونها ومصداقيتها في علاقاتنا الإجتماعية والإقتصادية والسياسية ومؤسساتنا الإعلامية والتربوية، وفي واقعنا على العموم.

أما عن الممارسات الديمقراطية داخل تنظيمهم السياسي، فهم يفتخرون بأن جماعتهم هي التنظيم السياسي المغربي الوحيد الذي تناوب على رئاسته ثلاث زعامات في أقل من عشر سنوات، وأنهم منذ البداية اعتمدوا مبدأ التناوب عن طريق الاقتراع، وهذه الممارسات تقطع لديهم الطريق أمام بروز مؤسسة الأمير ?المرشد الكاريزماتي التي تعتمدها الجماعة الإسلامية المنافسة، العدل والإحسان.

**الفصل التاسع: "جماعة التبليغ والدعوة"**

يشير الطوزي في الفصل الأخير إلى أن أصحاب " جماعة التبليغ والدعوة" ، هي جماعة تأسست ما بين سنتي 1941و 1942من طرف أحد الزعماء الدينيين الهنود، وقد استطاع بعض الدعاة الذين كانوا يجوبون أرجاء العالم، إدخال الحركة إلى المغرب، في بداية الستينات، وفي 06يوليوز 1975، أسست الجماعة فرعا لها في المغرب، وما يميز حقيقة جماعة التبليغ هي نظرتها الخاصة للعقيدة الإسلامية، وهي نظرة بسيطة تهتم أساسا، بتنظيم أوقات العمل وأعمال الحياة اليومية، ويعمد مرشدهم في توجيهاته إلى التشديد على أهمية الاقتداء بالنموذج النبوي وسير الصحابة والتابعين، كما أن هذه الجماعة تلتزم بعدم المجازفة في الأمور السياسية، وتكتفي بالفعل الخيري والإحسان والدعوة والإرشاد.

**الخاتمة**

في خاتمة هذا الكتاب يشير محمد الطوزي، أنه على الرغم من تعبير العديد من السياسيين والمفكرين عن آراء مختلفة في موضوع الملكية ودورها داخل الدولة، وطرح فكرة الإقتداء بالنموذج الإسباني، فإن هنالك ما يشبه الإجماع على عدم المساس بمبدأ الملكية ذات الحق الإلاهي، وحسب المؤلف محمد الطوزي فالفعاليات السياسية اليسارية واليمينية على السواء، تطمح إلى أن يلعب الملك الشاب دور " المستبد المتنور"، ذلك أنها تتخوف من أن يؤدي الفراغ السلطوي الذي حدث بعد وفاة الحسن الثاني، إلى فقدان الدولة لهيبتها، فهيبة الدولة من هيبة السلطان.

وأشار الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي عدة مرات إلى أنه من أنصار احتفاظ المؤسسة الملكية بقوتها، والسير تدريجيا نحو إصلاح ما يجب إصلاحه.

ويشير الطوزي إلى أن نص البيعة لا يحيل على مقتضيات الدستور والإجراءات القانونية التي تنظم انتقال السلطة العليا، والغاية هي جعل البيعة غير خاضعة للقانون الوضعي، ولعل هذه المسألة هي التي جعلت الإسلاميين يشيرون إلى أن عقد البيعة قد أعاد الاعتبار للأحكام الشرعية، وجعل منها مرجعية أساسية.

كما أشار الطوزي إلى أن الوزير الأول وأعضاء الحكومة احتلوا المرتبة الثانية في التوقيع على وثيقة البيعة، بعد العائلة الملكية، ورأى العديد من الملاحظين في الأمر رد اعتبار لمؤسسة الوزير الأول، كما أثار مسألة حضور النساء وتوقيعهن لأول مرة في التاريخ المغربي على وثيقة البيعة (عائشة بلعربي كاتبة الدولة في التعاون، ونزهة الشقروني كاتبة الدولة في شؤون المعاقين)، ولم يثر الإسلاميون أي ملاحظة في هذا الموضوع.

# محمد شكري والتأريخ أدبيا للهامش المنسي

بحلول الخامس عشر من نونبر من السنة الجارية، تكون أربع سنوات بالتمام والكمال، قد مرت على رحيل فقيد الأدب المغربي والعالمي محمد شكري، وبهذه المناسبة ارتأينا أن نخصص ملفا على صفحات الجريدة اعترافا منا بإبداعية الراحل وبجرأته الفكرية والأدبية، وإنعاشا منا للذاكرة الثقافية الوطنية عبر استحضار روحه وإبداعه الخالد.
ولعل التأمل والتمعن في الأقوال المنسوبة للأديب الراحل، والشهادات التي قيلت في حقه من مختلف الشخصيات الأدبية المغربية منها والعربية، والتي سندرجها ضمن هذا الملف، بإمكانها إن تنير الجوانب الخفية من شخصية صاحب " الخبز الحافي"، التي أثارت الكثير من الجدل وشغلت بال المهتمين بالأدب عبر أرجاء المعمور، كما أن المقالات التي ستؤثث متن الملف، ستبرز تفرد هذا الأديب وريادته في خلخلة المسكوت عنه في الثقافة المغربية وتأسيسه لأدب تناول وأرخ للهامش وللهامشيين، كما أن الملف سيستعرض بعضا من أماني وأحلام محمد شكري التي تحققت والتي لا تزال حبيسة شرنقة الانتظار.

■ إعداد :الحسين بوجدادي

لم تحظ العديد من الظواهر الاجتماعية والطبيعية ولا الأشخاص الذين سحقتهم تلك الظواهر، ولا الفئات الاجتماعية الدنيا التي أثثت فضاءات هوامش المدن، ولم تستحضر/يستحضرون في الأعمال الإبداعية الواقعية منها والمتخيلة للأدباء المغاربة ولا في متون المؤرخين التقليديين، فبقيت تلك الظواهر والشخصيات من "مغيبات" و"منسيات" التاريخ ومن لا تاريخ لهم وممن لا أصداء ولا حضور لهم في الاسطوغرافية التقليدية والأدب الكلاسيكي إلى أن جاء بعض المؤرخين الجدد والأدباء الذين تعاقدوا مع المهمشين والمنبوذين للحديث عنهم، عبر ولوج عوالمهم بجرأة فكرية نادرة وقناعة مبدئية المتمثلة في أن التاريخ للهامش والمحلي هو بداية للتاريخ للوطني وللمركزي.

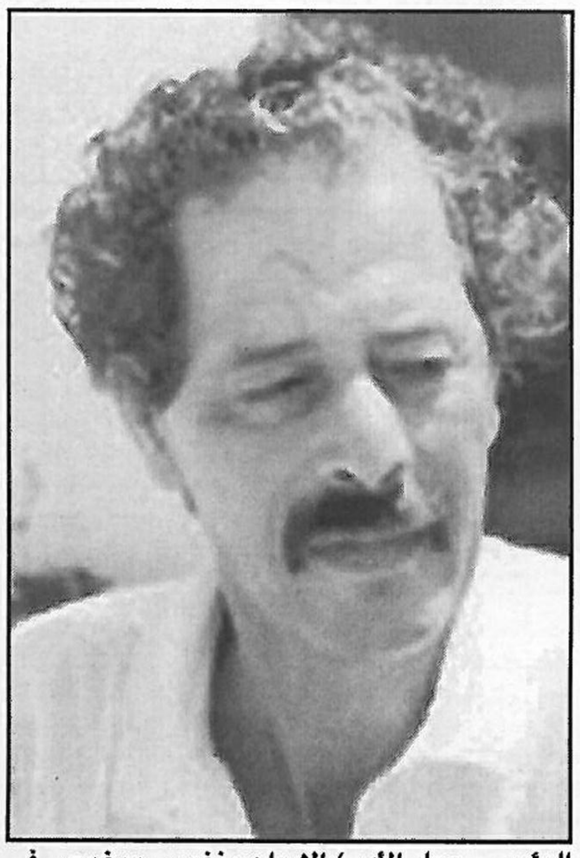
ومن بين هذه الظواهر الطبيعية والاجتماعية، نجد الجفاف والقحط والمجاعة والأوبئة، التي كانت تضرب منطقة الريف بشكل دوري، مما كان يترتب عنه هجرة ونزوح جماعي لأهالي المنطقة، ولا زلنا نتذكر ما ورد في رواية محمد شكري " الخبز الحافي" والتي نعتبرها في جانب منها وثيقة تاريخية تؤرخ لهجرة أهالي الريف الشرقي خلال بداية أربعينات القرن الماضي نحو الجزائر وبالضبط غربه، للاشتغال في الضيعات الفلاحية التي أقامها المعمرون الفرنسيون، أو في اتجاه مدينتي تطوان وطنجة هذه الأخيرة التي كانت بمثابة الدورادو/الفردوس، حيث الخبز والأكل متوفر للجميع عكس ما هو عليه الحال بالريف، حيث الاستعمار والجوع والجثث الآدمية المتناثرة في مختلف أرجائه، وطيور الجيف تتغذى عليها، ورائحة الموت هي التي تؤثث وتغمر المجال، وهذا ما أكدته والدة محمد شكري لصغارها وهم في الطريق إلى مدينة طنجة، هروبا من الموت والمجاعة، وفارين من ريف القحط و البؤس، الذي جرد الإنسان من آدميته، وجعلته يتخلى عن مشاعر الأبوة، إذ كم من أب تخلى عن أبنائه في هذه الفترة الحرجة وفر هاربا طالبا الحياة في فضاءات/مجالات أخرى أكثر كرما وعطفا وترحابا من الريف.

وسنوات الجفاف والمجاعة وما ترتب عنهما من هجرة ونزوح ومآسي اجتماعية، والتي تحدث عنها محمد شكري في سيرته الذاتية لا زالت موشومة في الذاكرة الجماعية لمعمري الريف، ويصعب محوها ونسيانها نظرا للآثار والجروح التي خلفتها تلك الحقبة الزمنية البئيسة، والتي لم تندمل إلى يومنا هذا، إذ كم من عائلات شُتتت وكم من عزيز فقد، وتعرف محليا ب: أسكاس ن بوهيوف - أسكاس أو شرق ذو غرب، ويقابلها بالعربية: عام الجوع - عام الهجرة نحو الشرق والغرب.

وبكتابات محمد شكري ننزل عميقا إلى أحشاء المغرب الآخر المنسي والمهمل واللا مفكر فيه - على حد تعبير الكاتب المغربي: حسن بحراوي مجلة الآداب البيروتية العدد ١ - ٢ -/ ٢٠٠٤ الصفحة ١٠٦- مغرب المهمشين والمنبوذين والرعاع.... الذين جعل محمد شكري من أدبه ناطقا باسمهم... ومكانيا، يضيف - حسن بحراوي - تستبدل نصوصه الفضاء المخملي الذي يحتفي بالجميل والأنيق بالفضاء التحتي والهامشي - دائما حسب الكاتب حسن بحراوي - أي فضاء العتبة والقبو والشارع، حيث تمرح شخوصه في ذلك الحضيض الطبوغرافي والاجتماعي الذي يفتقر إلى شروط الحياة الإنسانية الكريمة فتصبح فريسة التمييز والحجز والموت المؤجل، وهكذا أصبح عالمه الإبداعي مؤثثا بشخصيات الهامش المنبوذ: العاهرات، الشواذ، الفنادق الرخيصة، الشوارع الخلفية المعتمة، المقاهي الفقيرة، وساحات المدينة، ومواخيرها، وحاناتها الكثيرة والمتنوعة

وكانت إبداعات شكري عبارة عن صرخة/صيحة لا متناهية وأبدية للمعذبين في الأرض للتنديد بالفقر والعوز الذي يحول الكائنات الآدمية إلى مجرد أرقام وأشياء فارغة ومفروغة من أحاسيسها ومشاعرها وآدميتها، والتي تصبح في غالب الأحيان في يد أصناف من البشر المتعالية بذواتها والمريضة بنرجسيتها والمتخمة بساديتها إلى أدوات/أشياء تسحق كما تسحق المكسرات بحثا عن لبها للتلذذ وللاستمتاع به.

وهكذا ظل محمد شكري وفيا ومرتبطا بعالمه الأصلي - كما ترى عفاف عبد المعطي في مقالها المعنون ب: رحيل الشحرور الأبيض - المنشور بجريدة القدس العربي عدد: ٤٥٢٠ - الصفحة ١٥ والمؤرخ في ٢ دجنبر ٢٠٠٣ - إذ لم يفارقه أبدا والمتجلي في عالم الطفولة المشردة، والفتيات القاصرات المسحوقات تحت ضغط الحاجة والجسد والفقر والقهر الاجتماعي وعالم قاع المدينة السفلى-انتهى كلام عفاف عبد المعطي- وبالتزام محمد شكري بفضح معاناة المهمشين والمقصيين والمنبوذين عبر جعلهم شخوص لأعماله الابداعية، مكنهم من التعبير عن همومهم وإنشغالاتهم. وبتصويره لواقعهم البئيس، جعل الأدب/الإبداع ينغمس ويغوص في عوالم المهمشين/الهامش و كان إيذانا بولادة أدب المهمشين وانبثاق تاريخ يؤرخ للهامش حيال تاريخ غارق في التاريخ للمركز، وإعلانا عن ولادة كتابة تسعى إلى إثبات الوجود ولتمثل معاناة المهمشين لخلق وعي مغاير بإمكانه تحريرهم وجعلهم كائنات فاعلة في التاريخ بدلا من أن تكون دائما وأبدا حطبا لدورة الحياة.

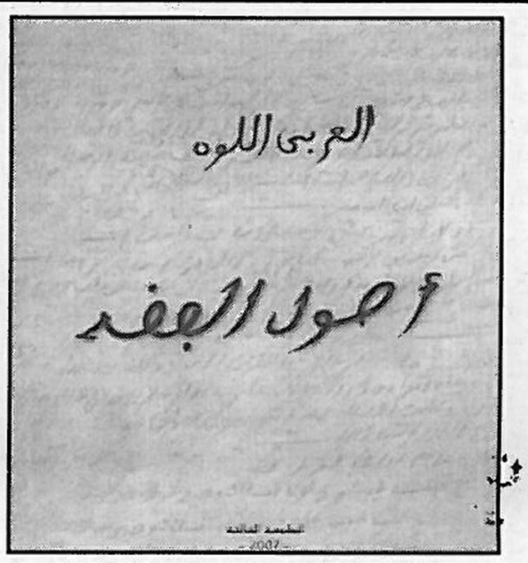


منسق مجموعة ثاوسنا لتوثيق الموروث الثقافي بالريف الشرقي العروي إقليم الناظور

يتبع

## إصدارات







× عن مكتبة المعارف الجامعية بالليدو بفاس، صدر أخيرا - وبعد مخاض عسير - عمل روائي جديد، اختار له صاحبه أشهبار المتقي عنوانا دالا (متاهات العاشقين)، يقع في مائة وعشر صفحات من الحجم المتوسط، ويشتمل على خمسة عشر فصلا سرديا، أوله حمل عنوان (آمال مغتصبة) وآخره كان تحت عنوان (انتصار خالد).

ومما يجدر ذكره أن الروائي أشهبار المتقي من مواليد 1980بتماسينت جماعة إمرابطن إقليم الحسيمة، تابع دراسته الابتدائية والثانوية ببني بوعياش، حصل بعدها على الإجازة من جامعة محمد الأول بوجدة، صدر له (مصرع غريب) سنة 2002، و (انتحار المبعدين) سنة 2004.

* ***صدر في الأيام القليلة الماضية، عن مطبعة الخليج العربي بمدينة تطوان، الطبعة الثالثة من كتاب (أصول الفقه) للمرحوم الأستاذ العربي اللوه، مشكلة من قرابة خمسمائة صفحة من القطع المتوسط، صدرها المؤلف بتمهيد مطول حول "المدخل إلى علم أصول الفقه"، ومما جاء في مقدمة المؤلف التي وضعها لطبعته الأولى التي صححها ونقحها ثلاث مرات، قبل أن تصدر سنة 1970تلتها الطبعة الثانية سنة ....) :1984فإن علم "أصول الفقه" الذي به تعرف الأدلة والمصادر التي يرتكز عليها التشريع وتنبني عليها الأحكام، يجب أن يعتبر في الذروة العليا والدرجة التي لايدانيه فيها علم من العلوم الدينية إطلاقا ..ولقد مارست هذا العلم الشريف علم أصول الفقه والتشريع مدة طويلة وسنين عديدة....حتى استقصيت جميع مباحثه وأبوابه وفصوله، فتحصل لدي من ذلك مجموعة مهمة، يجوز أن تعتبر مؤلفا جامعا لمباحث علم أصول التشريع....).***

***لابد من الإشارة إلى أن الأستاذ العربي اللوه من مواليد سنة 1905بقرية تيغانمين من قبيلة بقوية إقليم الحسيمة، حصل سنة 1929على شهادة العالمية من جامعة الزيتونة بتونس. أسندت إليه بعد عودته إلى المغرب سنة 1930، مهاما سامية لها علاقة بالفتوى والقضاء والوزارة وعمادة كلية أصول الدين بتطوان، خلف وراءه أربع مؤلفات في غاية الأهمية، انتقل إلى رحمة الله سنة .1987***

*عن مطبعة أنفو برانت بفاس وبدعم من وزارة الثقافة، صدر للشاعر جمال الموساوي ديوان شعر وسمه ب (مدين للصدفة)، يقع في مائة صفحة ويتضمن بين ثناياه ثمانية وعشرون نصا شعريا كتبت في فترات مختلفة، وقد قدم ديوانه هذا بالمكتبة الوطنية بالرباط على إثر اللقاء المفتوح الذي نظم مع الشاعر يوم الجمعة رابع يناير، كما سيقدم نفس العمل إلى الجمهور يوم السبت تاسع عشر يناير المقبل بمدينة العرائش، ومما جاء في قصيدته "كن":

كن كما أشتهي
غيمة لاتعد
جرسا يدق
يدق فقط كي يهتز القلب
لاتكن طريقا إلى النهار
ولاباب للشوق إلى مالا أجد...

لابد من الإشارة إلى أن الشاعر جمال الموساوي من مواليد 1970 بالحسيمة، يشتغل صحفيا بجريدة العلم، أصدر في أكتوبر 2001ضمن سلسلة الكتاب الأول التي تشرف عليها وزارة الثقافة، ديوانه الأول (كتاب الظل) الذي فاز عنه بالجائزة الأولى لبيت الشعر بالمغرب، وهو عضو بالمكتب المركزي لاتحاد كتاب المغرب وبيت الشعر في المغرب.

## نصوص مختارة :

### إعداد ذ حسن حوريكي

يهدف هذا النص إلى معرفة الثابت والمتحول بمجتمعنا المحلي:

"...وتتزوج العذراوات في سن مبكرة ما بين عشرة أعوام وأربعة عشرة سنة، وهن يكلفن أزواجهن ثمنا باهضا.....ويطلب الخطيب الذي يكون مرفوقا بثلاثة أو أربعة أشخاص من أقربائه، يد الفتاة ويستفسر عن قيمة المهر من أبيها أو وصيها، وطبعا فإن المعنية بالأمر لا تستشار أبدا، وإذا ما قبل الطلب، فإن الأب أو الوصي يخرج مع الزوج الموعود وأقربائه، متجهين جميعا صوب قاضي القبيلة الذي يحرر عقد الزواج، بعد ذلك يرجع الخطيب إلى منزله لتهييء حفل الزفاف، ويقوم حسب ما تسمح به ثروته بذبح ما بين بقرتين إلى ست بقرات، وإثر ذلك تطبخ جبال من الكسكس، وتملأ جرات عن آخرها بالحليب، وتهيء أخوات وخالات وأم العريس أكواما من "المسمّن" (الفطائر) الغارقة في بحر من العسل، وعندما يصبح كل شيء جاهزا يجمع العريس أهالي القرية ويدعوهم للأكل والشراب...




طبعا فإن زواج الأرامل والمطلقات لا يتم بنفس بهرجة زواج العذروات، فهو يمر بهدوء وبتواضع ويتناسب مع وضع التي فقدت أكبر جزء من قيمتها أي بكارتها...وميزة المرأة الريفية أنها ولودة، وغالبا ما ترى امرأة محاطة بسبعة أو ثمانية أطفال، بل يتم ذكر نساء أنجبن 15طفلا وطفلة، ويعتبر رجال ونساء هذا البلد (...) العائلات المتعددة الأفراد، كمنة إلهية، ولا ينتظر هؤلاء الجبليون الأشداء كما هو الحال في أوربا غالبا، أن يكون الرجل قد خارت ثلاث أرباع قواه، ليتم تزويجه، فالريفي يتزوج وهو صغير السن ما بين 15و 20سنة...."

**Maroc inconnu" Auguste moulieras"**
**ترجمة وتقديم د. عز الدين الخطابي/ص73/74/75**

## مرسيل خليفة : مسيرة فنية متواصلة

# من صبي مولوع بالنقر على إيقاع الصناجير والصحون إلى موسيقار لامع

■ ذ.فـؤاد بنتهامـي

إذا كان الفنان اللبناني العربي الكبير مرسيل خليفة قد ارتبط اسمه منذ أواسط السبعينات، على الأقل، بما أطلق عليه اصطلاحا ب:"الأغنية الجديدة"، بحيث أصبح أي حديث بخصوص هذه الظاهرة يستدعي بالضرورة استحضار التجربة الفنية لمرسيل خليفة كأحد عناوينها البارزة، فإن مرسيل نفسه يرى بأن فنان الشعب، سيد درويش، هو أول مغني عربي أسس لمفهوم "الأغنية الجديدة"، من خلال معانقته لهموم وقضايا الناس البسطاء وغنائه للفلاح والعامل المصري المقهور. كما يعتبر مرسيل نفسه أقرب، ربما أكثر من أي أحد آخر، إلى الروح الإبداعية والرؤية الفنية لسيد درويش، وتجربته الفنية بالذات أتت لتتواصل مع ما كان هذا الأخير قد بداه خلال مسيرته الفنية القصيرة والغنية في نفس الوقت بالعطاء المتميز، وأيضا لكي تجيب على الأسئلة الكثيرة التي كان قد طرحها هذا الفنان المبدع قبل نصف قرن من الزمان بخصوص مسألة الإبداع والتجديد في الفن الموسيقي العربي.

فبعد أن ظلت الأغنية العربية في مجملها بعد سيد درويش، ولعقود طويلة، حبيسة تصور يختزل وظيفتها في مدى قدرتها على التطريب وإمتاع أذن وإحساس المستمع، فقد استعادت رسالتها الاجتماعية والإنسانية بعدما أنقذها مرسيل من تفاهة ورداءة الكلمات، فصارت معه تمتح من الكلمة الجادة النابعة من وعي فكري وسياسي مميز، محققة بذلك معادلة قلما نجد مثيلا لها في الغناء العربي المعاصر.

وبهذا المعنى، فإن التجربة الإبداعية لمرسيل خليفة، على تميزها وخصوصيتها، إذ تنتمي إلى تراث وذاكرة سيد درويش وتندرج في سياق مشروعه الفني، فإنها في نفس الوقت تشكل حلقة متصلة بحلقات أخرى أهمها وأبرزها مدرسة الأخوان رحباني.

وأغنية مرسيل بقدر ما هي فن نابض بالجمال والإبداع بقدرما هي ثقافة وفكر والتزام. ولقد أثرى مرسيل خليفة بعطاءاته الإبداعية الحقل الثقافي والفني العربيين وحقق للأغنية العربية حضورها القوي في التاريخ الثقافي العربي المعاصر جنبا إلى جنب مع باقي العطاءات الفكرية والثقافية العربية المتنورة. وإن ثمة مشروع ثقافي عربي شامل لا بد وأن يستوعب منجزات مرسيل خليفة، الموسيقية والغنائية على حد سواء، بمحتواها الفكري النير وبعمقها الإبداعي المتجدد، كجزء لا يتجزأ من ضمن مخزون حضاري إنساني أشمل.

كانت الإرهاصات الأولى لميولات مرسيل الفنية ونزوعه نحو الموسيقى والغناء قد تبدت لديه في سن مبكرة من حياته وهو لايزال وسط أهله بقريته عمشيت ( الواقعة على بعد 20 كلم جنوب بيروت). وبالرغم من أن مرسيل خليفة لاينتسب إلى عائلة فنية بالمعنى الاحترافي للكلمة كما هو شأن الكثير من الفنانين العرب والعالميين المعروفين، إلا أن والده، ميشال خليفة، الذي امتهن طوال حياته سياقة سيارات الأجرة، كان شغوفا بالموسيقى وكان يدمن الاستماع إلى الأغاني ويتذوقها بحس فني عال. جده أيضا، يوسف ابن طنوس خليفة، صياد السمك المتواضع، لم يكن أقل شغفا وعشقا للفن والجمال. فهو إضافة إلى حبه وتذوقه للموسيقى والغناء كان عازفا متمكنا على آلة الناي وكان يملك صوتا غنائيا جميلا. وقد كان من حين لآخر يقوم بتنظيم حلقات فنية غنائية بقريته عمشيت. كما أنه كانت قد جرت العادة داخل أسرته الصغيرة ب"افتعال" من فينة لأخرى أمسيات مصغرة بالبيت يتوحد خلالها الجد والأب والأولاد في جو احتفالي بهيج، فيعزف الجد على شبابته، وكان الأولاد الصغار ينخرطون بشغف كبير في الغناء والرقص بينما كان مرسيل (الطفل) شخصيا ينفرد ب "العزف" على الطناجر واللوحات الخشبية.

ولقد كانت هناك أيضا بقرية عمشيت، فرقة " النور" الموسيقية إضافة إلى فرق موسيقية محلية من الغجر الرحل كانت تمر خلال الأعياد والمناسبات الاحتفالية وتتنقل من بيت لبيت لتقدم للناس عروضها الغنائية الراقصة. ولقد كانت لوالد مرسيل علاقة خاصة بفرقة " النور" إذ عندما يحل موسم تنقلاتها المألوفة لدى أهل القرية، ويأتي دور مرورها على بيت عائلة مرسيل كان والده يستقبلها بحفاوة خاصة. وكانت الفرقة بدورها تشرفه بوصلات من عروضها الشيقة ينخرط خلالها ميشال في الرقص ويردد معها أغانيها ويشارك الراقصة (النورية) التي كانت ضمن الفرقة رقصها الفاتن وهو يبدو منتشيا بالتواءات وحركات جسدها المفعم بالأنوثة الطاغية.

وهذا العشق الموسيقي الذي كان لدى الجد والأب معا كان يعتمل كذلك في صدر مرسيل الطفل بنفس القابلية ونفس التوهج.

ولعل هذه الأجواء العائلية المفعمة بروح المرح والحميمية هي التي شكلت الوعي الفني الأول لمرسيل خليفة ومهددت لتوجهه الموسيقي. فوالدته ( ماتيلدا) التي توفيت باكرا وعمر مرسيل لم يكن يتجاوز أربعة عشر ربيعا، كانت متفهمة لميولات ابنها، وقد وقفت إلى جانبه وساعدته بشكل كبير للمضي قدما في اختياره الفني وذلك رغم النظرة السلبية والدونية التي كانت لدى عامة الناس في ذلك الوقت حول الموسيقى باعتبارها عملا لا يطعم خبزا. كما أن والده عمل على إدخاله المعهد الموسيقي ببيروت لدراسة علم الموسيقى وكان شديد الحرص على دراسات ابنه الموسيقية كما كان يشرف باستمرار على فروضه اليومية ويراقب مدى مواظبته عليها رغم أنه لم يكن ضليعا في العلوم الموسيقية.

ولا شك أن هذه العوامل مجتمعة هي التي حفزت مرسيل خليفة على المضي بطموحه قدما بالرغم من ضيق ذات اليد ومحدودية الإمكانيات المادية. فهو لم يستطع في مرحلته الأولى الحصول على الآلات الموسيقية التي كان يتمناها وظلت أمنيته الغالية بالظفر بآلة العود عصية على المنال، وغالبا ما كان يعوض ذلك الحرمان بعلب الحليب الفارغة والطناجير والصحون وكل أداة من شأنها أن تحدث صوتا إيقاعيا. وبمشقة الأنفس اشترى له والده آلة العود. وقد شكل يوم دخول هذه الآلة لبيت مرسيل حدثا احتفاليا هاما بالنسبة للعائلة ككل ما يزال موشوما في ذاكرة مرسيل إلى حد الآن. وقبل التحاقه بالمعهد الموسيقي الموجود وقتئذ فقط ببيروت لم يكن بوسع مرسيل، وهو لا يزال بقريته «عمشيت»، سوى الالتجاء إلى أحد رجال الدرك الذي كان متقاعدا من عمله وكان يعرف العزف على بعض الآلات الموسيقية. وقد أخذه إليه والده ليتعلم على يده بعض المبادىء الموسيقية. وهذا الدركي (الموسيقي) هو الذي نصح، بعد ثلاثة أشهر، الوالد بإدخال مرسيل إلى المعهد الموسيقي بالعاصمة.

وعلى الرغم من أن مرسيل قد تجسد في المخيال الجماعي للشعوب العربية كرمز للغناء الملتزم المرتبط بقضاياها الوطنية وهمومها السياسية والاجتماعية، واشتهر لدى جمهوره كذلك كأهم وأشهر من غنى ضد الحرب الأهلية في لبنان ولمقاومة الشعبين الفلسطيني واللبناني ضد الاحتلال الإسرائيلي، إلا أن مرسيل خليفة يحرص دائما على تقديم نفسه كفنان موسيقي ويتمسك بكونه كذلك، وهو يؤكد في كل مناسبة على أن مشروعه كان بالأصل مشروعا موسيقيا وليس غنائيا. وقد استهله في بداية السبعينات بعمل للموسيقى التصويرية كتبها لفرقة "كركلا" الراقصة كمقدمة لمشروعه ذاك. إلا أن الحرب الأهلية اللبنانية التي اشتعل أوارها سنة 1975 ومعاناة اللاجئين الفلسطينيين بمخيماتهم بجنوب لبنان (وهي القضية التي استأثرت باهتمام مرسيل منذ صباه)، وانطلاقا كذلك من حسه الوطني ومن إيمانه بأن " موقع المثقف المبدع يجب أن يكون، عندما يصبح الوطن محتلا، في قلب المواجهة المحررة للوطن و للإنسان "، كل ذلك دفع بمرسيل إلى الاشتغال غنائيا على نصوص شعرية من تأليف شعراء عرب ولبنانيين ارتبطت أشعارهم بقضايا شعوبهم. ويأتي على رأس قائمة هؤلاء الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش وسميح القاسم وعز الدين المناصرة وشوقي بزيغ وعباس بيضون وبطرس روحانا ومحمد العبد الله وأحمد العبد الله وخليل خاوي وأدونيس وآخرون.

وهنا يتعين الإشارة إلى أن مرسيل خليفة قد أفاد بشكل كبير الشعر العربي الحديث من خلال الغناء. فأعماله الموسيقية والغنائية تجسد بعمق أكبر المعاني الشعرية الكامنة في القصيدة وتستنبط مكنوناتها الدفينة. ولقد أشاد الشاعر محمود درويش في أكثر من مناسبة بدور أغنية مرسيل في الترويج لشعره والتعريف بقصائده وتداولها بين الناس، إذ بفضلها أصبحت مثلا قصيدة "ريتا والبندقية" أو "أحن إلى خبز أمي " تتردد على لسان كل مواطن وفي كل بيت وعلى امتداد كل مساحة الوطن العربي. ولولا غناء مرسيل ما كان ممكنا لقصيدة سميح القاسم ك"منتصب القامة " أن تعرف كل هذا الإقبال الجماهيري الواسع وهذا الانتشار الكبير.

وبالرغم من أن مرسيل، وكما تمت الإشارة إلى ذلك آنفا ، قد اشتغل على أشعار وقصائد كثير من الشعراء العرب واللبنانيين، إلا أن نصوص محمود درويش ظلت تحتل في قلبه وفكره مكانة مميزة، وكانت دائما ولا تزال، تحظى بحصة الأسد من غنائه وألحانه. فلقد ارتبط اسمي مرسيل ودرويش معا في ذاكرة الناس وشكلا معا ثنائيا فنيا لا يتكرر، حتى صار إسم أحدهما يستذكر آليا إسم الآخر. وبدوره فإن درويش يعتبر مرسيل توأمه الفني كما يعتبره أفضل من غنى قصائده وأوصلها إلى كل الناس بمختلف مستوياتهم الثقافية وشرائحهم الاجتماعية ومشاربهم السياسية. وبرأيه فإن مرسيل هو الذي ردم الهوة التي وسعها الشعراء بين القصيدة والأغنية وهو الذي طور علاقة الشعر بالناس من خلال الأغنية. يقول محمود درويش: "أغنية مرسيل تنتشل القلب والأجنحة من الركام...فيها وجدنا قدرة المأخوذين إلى الموت على الغناء



**محمود درويش : "أغنية مرسيل تنتشل القلب والأجنحة من الركام . . .فيها وجدنا قدرة المأخوذين إلى الموت على الغناء . . .في أغنية مرسيل خليفة خبز للكلام "**

...في أغنية مرسيل خليفة خبز للكلام ". وعن علاقته بدرويش وبشعره يقول مرسيل :"منذ أولى محاولاتي وقبل أن يتعرف أحدنا إلى الآخر كنت أحس بأن شعر محمود درويش قد أنزل علي ولي. فطعم خبز أمه كطعم خبز أمي. كذلك عينا ريتاه ووجع يوسفه من طعنة إخوته وجواز سفره الذي يحمل صورتي أنا، وزيتون كرمله، رمله وعصافيره، سلاسله وجلاديه، محطاته وقطاراته، رعاة بقره وهنوده...كلها كلها سكناها في أعماقي فلا عجب إن ألفت موسيقاي أبياته بشكل طبيعي بدون عناء أو تكلف. يقيني أن شعره كتب لأغنية لأعزفه أصرخه، لأصليه أنرفه، أحكيه ببساطة على أوتار عودي. وإذا ما أشركت كل آلات الاوركسترا مع كلماته وصوتي طلع ذلك الإنشاد الذي يهز ويواسي ، يحث ويقاوم".

ودائما عن شعر درويش يقول مرسيل في موضع آخر: " كنت دائما أرى في شعر درويش أمل القيامة الأخضر، شعر يأخذك من حاضرك، من يأس كبير تعيش فيه إلى مكان أجمل، ترى فلسطين، ترى الحبيبة، ترى الجمال. في هذا الشعر ترى الشعر اكبر من الدولة، اكبر من المؤسسة، اكبر من الواقع المريض....". وبعد شريط "وعود من العاصفة " (سنة 1976 أول عمل للغناء المنفرد بمرافقة آلة العود، كل نصوصه منتقاة من أشعار درويش. وقد تلته محطات غنائية كثيرة برفقة أميمة الخليل وفرقة "الميادين" من خلال أشرطته "عالأرض يا حكم" "فرح" "عالحدود" أغاني المطر" "أعراس" «الجسر" "يا ما أحلا نورها"، "غنائية أحمد العربي"، "سلام عليك"، "ظالم يا غزال "، "تصبحون على وطن "... وقد أدى مرسيل كثيرا من أغانيه بصوته في حين أدت أميمة الخليل الجزء الآخر منها، سواء بشكل منفرد أوبشكل ثنائي.

وإذا كانت الأغنية الجديدة تعني في تصور مرسيل، على مستوى الكلمة، الاشتغال على القصيدة الحديثة والنص الشعري المتقدم فكريا والمستوعب للمتغيرات الاجتماعية والثقافية للمجتمع العربي فإنها تعني عنده كذلك، على المستوى الموسيقي، تجديد اللغة الموسيقية وابتكار قوالب موسيقية تتسع لأحاسيس مختلفة، انطلاقا أولا من التراث العربي والمقامات العربية مع الانفتاح في نفس الوقت على المنجزات والتجارب الموسيقية العالمية.

والمقصود بالتراث عند مرسيل ليس هو اجترار الأطر الموسيقية الموروثة والجاهزة بقدر ما يعني الاشتغال بشكل علمي على ما بقي حيا في ذهن وذاكرة الناس، وذلك عبر الاجتهاد والبحث الدؤوب الذي ينميه في المعرفة والعلم للحصول على قطعة موسيقية جيدة تتجاوز الذوق الموسيقي السائد، وتحافظ في نفس الوقت على الملامح الخاصة للتراث الموسيقي العربي كما تستوعب الحاجات الثقافية والجمالية المستجدة في المجتمعات العربية.

وموازاة مع الصوت البشري الذي يتجسد في الغناء، فلقد حظيت الموسيقى الصرفة والآلة الموسيقية عند مرسيل بأهمية كبرى. فهو من حيث المبدأ لا يفصل بين الموسيقى والأغنية خلال العملية الإبداعية، إلا أنه مع ذلك يرى بأن الأذن العربية تعودت على الشعر والغناء وتاريخ الموسيقى العربية مرتبط بشكل أساسي بالغناء، في حين أن الموسيقى الصرفة لم تلق بعد عند المستمع العربي الاهتمام الكافي ولم تجد لديه المكانة التي تستحقها. ومن هنا تنشأ عند مرسيل الحاجة إلى كتابة أو مراكمة تاريخ موسيقي عربي مستقل عن القصيدة تحقق الموسيقى من خلاله ذاتها وهويتها. ومن هنا أيضا تأتي دعوة مرسيل خليفة لجمهوره الفني إلى ثقافة جديدة في التعاطي والتعامل مع الفن الموسيقي البحت. لذلك نلاحظ أنه حتى داخل أشرطته (الغنائية) يحرص خليفة على أن يفرد للموسيقى حيزا هاما وأن يفيها حقها من الانتشار سواء بشكل مستقل عن الصوت والأغنية من خلال معزوفات وقطع موسيقية، أو بالتوازي معها. وتعتبر "غنائية أحمد العربي" نموذجا للعمل الموسيقي الأوركسترا لي.

و في اعتقادنا إن مرسيل خليفة لم ينصرف إلى العمل الموسيقي البحت وبشكل متفرغ ومستقل عن القصيدة إلا بعد شريطه الغنائي "ركوة عرب"، إذ مباشرة بعد سنة 1996 صدرت لمرسيل سلسلة متلاحقة من الأعمال الموسيقية هي:"سمفونية العائد"، "تهاليل الشرق"، "جدل"، "حلم ليلة صيف "، "رباعي العود"، "بساط الريح"، " كونشيرتو الأندلس"، "مداعبة"، "تقاسيم " وأخيرا وليس آخرا العمل الموسيقي الضخم «شرق". ولعل مرسيل بذلك أراد أولا أن يستأنف مشروعه الموسيقي الذي بدأ به مشواره الفني مع مطلع السبعينات، وثانيا أن يقول بالموسيقى ما لم يستطع سابقا قوله أو إيصاله بواسطة القصيدة والأغنية. فالموسيقى قد تكون في بعض الحالات أكثر بيانا وبلاغة من أي كلام أو مغنى.

وعلى الرغم من أن أغنية مرسيل قد تم تصنيفها في خانة "الأغنية الملتزمة" أو"الأغنية السياسية" إلا أن مرسيل ظل دائما يرفض تهمة التسييس ويصف هذه التسمية بالظالمة لأغنيته. فالفن في نظره هو تعبير عن الوجدان السياسي العميق، وهو يصر في كل مرة على أن أغنيته هي أغنية الحياة أو هي بالأحرى صرخة من أجل ممارسة الحرية. ويرفض بالمقابل أن تكون أغنيته حاملة لأية راية سياسية أو مرتبطة بشعار سياسي معين كيفما كانت الجهة الصادر عنها هذا الشعار، لا إكراه في الفن. فمرسيل لم يجعل ولا مرة عمله مرتبطا بالظرف أو بالمناسبة السياسية ولم يغن الحدث السياسي المباشر. والمتتبع المواكب لإصداراته الغنائية ابتداء من "وعود من العاصفة" إلى "كنشيرتو الأندلس " مرورا بأشرطته العديدة : "فرح "، "أعراس"، "تصبحون على وطن "...الخ سيلاحظ مدى تنوع المواضيع والقضايا التي اشتغل عليها مرسيل ومدى نأيه بفنه عن المباشرة والتقريرية.

ولعل اختفاء العديد من تجارب الغناء الملتزم من الساحة الفنية يعود بالدرجة الأولى إلى عدم استيعاب أصحابها لهذا المغزى. والنتيجة أنه بمجرد زوال الحدث السياسي الذي أفرز الأغنية تختفي معه هذه الأخيرة لأنها ارتبطت به قياما واختفاء. وهذا ما أدركه مرسيل مبكرا وبالتالي حرص منذ بداياته الأولى على عدم الانزلاق إلى هذه الرؤية التبسيطية لعلاقة الفن بالسياسة. فالفنان في تصور مرسيل لا يجب أن يكون " معلقا على الأحداث أو مراسل حرب " على حد قوله، لأن هناك وسائل خاصة تفي بهذا الغرض. وإلا سقط العمل الفني في السطحية والخطابة السياسية.

ومفهوم الالتزام عند مرسيل ليس هو أن ينشد للأرض والحدود والدم ويمجد مقاومة الاحتلال...الخ، بل ايضا أن يتناول من خلال أغنيته الاهتمامات الأخرى التي تشغل بال الإنسان العربي وأن يؤديها بشفافية وبحس فني واع. وفي هذا السياق فقد غنى مرسيل خليفة للحب والجمال والمرأة والأم كما غنى للنضال والثورة والأرض والحرية. وذلك من منطلق أن التحرير يجب أن يشمل الأرض والإنسان على حد سواء، بالمعنى الشامل لمفهوم التحرير. فلا يكفي تحرير الأرض إذا لم يحرر الإنسان من الجهل والكبت المقيت الذي يكبل انطلاقته ويكرس تخلفه. فالإنسان في تصور مرسيل هو مناط القضية ومحورها. والالتزام عند مرسيل يعني أيضا التزام الفن، بمعنى الإبداع في العمل الفني وكتابة لغة موسيقية جيدة وتجديدها بالشكل الذي يجعلها تساير وتستوعب التطورات الثقافية والفنية للمجتمع بما يستلزمه ذلك من تجاوز للقوالب والأطر الموسيقية البالية والرديئة ومن نسف للذوق الموسيقي المنحط وعدم الركون إلى ما هو سائد في واقع الموسيقى والأغنية العربية. فالأغنية الجديدة، بقدر ماهي جديدة من حيث رسالتها الاجتماعية والإنسانية، يجب أن تكون كذلك، في نظر مرسيل، جديدة من حيث البناء الموسيقي واللحني. فلا يكفي في نظره، إخضاع نص شعري معين، مهما كان متقدما بمضمونه الشعري وبمحتواه الفكري لقوالب موسيقية جاهزة ومنحطة لإنتاج الأغنية الجديدة. وبهذا المعنى فإن عملية الإبداع في حد ذاتها هي عمل نضالي، بغض النظر عن طبيعة الموضوع الذي تتناوله، ما دام أنها تتم بمجهود فكري ومعرفي للفنان للبحث باستمرار عن فكرة جديدة وجملة موسيقية جيدة. وإنه لا يجوز، يقول مرسيل، الفصل بين المناضل والمبدع في شخصية الفنان لأن في ذلك مقتل للإبداع نفسه.

ومنذ أواسط الثمانينات وبعد انتهاءه من "غنائية أحمد العربي" أعلن مرسيل عن انشغاله بمشروع «غنائية الجسد" الذي قال بأنه سيقتحم من خلاله الأغنية العاطفية ليعالج فيه قضية الجسد كجزء من حياة وعيش الناس. وأغاني "الجسد" هي مقاربة مختلفة وجريئة لعلاقة الرجل والمرأة. فالأغنية العاطفية التقليدية مهزومة في نظر مرسيل لأنها تصور الحبيب والحبيبة متباعدين عن بعضيهما، يعيشان في حالة اشتياق وهيام دون أن يتم اللقاء بينهما. يموت الحبيب، تفنى الحبيبة وينقضي العمر ولا يلتقيان. لكن وضع الحبيبين مختلف تماما في"جسد" مرسيل حيث نجدهما في اتصال مباشر وفي حوار شاعري يجسد وحدة الطبيعة والإنسان. وإن بعض النماذج من أغاني الجسد، والمستمدة من ديوان " مجنون ليلى " لقاسم حداد، تم عرضها بمناسبة تنظيم الدورة الرابعة لمهرجان "ربيع الثقافة " لدولة البحرين لسنة 2007.وهي عبارة عن عرض مسرحي غنائي يتضمن كثيرا من المشاهد الإيروتيكية بين الحبيب وحبيبته. وهي المشاهد التي أثار بسببها حينذاك بعض النواب الإسلاميين بالبرلمان البحريني زوبعة من الانتقادادات والاتهامات لمارسيل وقاسم حداد على حد سواء بالعمل معا على تشجيع الفاحشة والخروج عن جادة الأخلاق الواجبة.

وإنه بالرغم من مرور ما يزيد عن عشرين سنة خلت لا زالت "غنائية الجسد" كمشروع فني غنائي متكامل لم تر النور بعد ولا زال جمهور مرسيل ينتظر خروجها إلى الوجود. ولعل الظروف التي تمربها المنطقة العربية هي التي دفعت بمرسيل إلى تأجيل كل مرة إصدار هذا العمل المتميز.

## La sociologie coloniale à travers

# "La vie sociale et la vie politique desBerbères"

## *De Robert Montagne*

**Abdelmottaleb ZIZAOUI**
(Faculté des lettres - Oujda)

***« Les analogies que nous avons trouvés entre l'organisation politique des petites républiques du haut Atlas, de la plaine du Sous et de l'Anti-Atlas, et celles des autres régions de la Berbérie sédentaire, apparaissent dans la plus part des institutions économiques. Hospitalité, protection des étrangers, organisation des repas en commun, entre aide pour les labours et les moissons, réglementation des marchés, donnent en particulier aux populations du Sud du Maroc l'occasion d'exercer, comme leurs frères Kabyles, répartition des charges et des profits de la vie sociale ».***

***Robert Montagne, Les berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc. Editions du comité de l'Afrique française, Paris 1931, p. 245.***

Robert Montagne est né en 1893, il arriva au Maroc en 1918 travaillera étroitement avec Lyautey, dont il deviendra le conseiller, notamment pour les questions tribales. Maître de conférences à l'Institut des Hautes Etudes marocaines de 1924 à 1930, il achèvera en 1930 une thèse d'anthropologie politique. "Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc" .

Robert Montagne a exercé de multiples fonctions à la tête d'institutions administratives mais également scientifiques : Bureaux des Affaires Indigènes, Institut Français des études Arabes de Damas (IFEAD), Centre des Hautes Etudes d'Administration Musulmane (CHEAM), qu'il a fondé en 1936 et dirigé jusqu'à sa mort. Il sera nommé en 1948 à la chaire « Histoire de l'expansion de l'Occident »du Collège de France.

En mettant en perspective l'apport scientifique de Montagne et les usages politiques qui en ont été faits (pour l'étude des tribus berbères du Haut Atlas, de leur organisation et de leur rapport au pouvoir, son influence dans la définition des relations franco-arabes, ses enquêtes sur les problèmes de l'émigration maghrébine en France…).

"Les Berbères et le makhzen", est le résultat de six années d'enquêtes historiques et sociologiques, menées dans les régions les moins connues du Sous et du Rif. C'est alors que l'institut d'Etudes Islamiques de la faculté des lettres de Paris, eut l'heureuse idée de confier à Mr. Montagne la tâche de rassembler en quelques conférences les conclusions les plus générales de son travail, dans son livre «La vie sociale et la vie politique des Berbères» qui rassemble, les notes des leçons ainsi professées en Sorbonne –du 5 au 20 décembre1930-. Le livre compose 139 pages.

L'article suivant est un résumé de ce livre, et tous les idées qui contient sont à R.Montagne.

### I- LA BERBERIE OCCIDENTALE ET LA FORMATION DE L'EMPIRE CHERIFIEN.

Robert Montagne premièrement a fait allusion à Ibn Khaldoun l'unique historien musulman qui ait été capable d'embrasser d'un seul coup d'œil la vie tourmentée du Maghreb au cours des siècles, s'est laissé entraîner, dans une page célèbre du Kitab El Ibar, à formuler sur les berbères un jugement dont nous n'avons pas toujours su reconnaître la valeur. Ils appartiennent, nous dit-il, à « un peuple puissant, redoutable, brave et nombreux ; un vrai peuple comme tant d'autres dans le monde, tels que les arabes, les persans, les Grecs et les Romains ».

Mais le grand savant ajoute aussitôt ce correctif dont la valeur n'a pas diminué depuis le XIVéme siècle : « Telle fut en effet la race berbère : mais étant tombée en décadence, et ayant perdu son esprit national, par l'effet du luxe que l'exercice du pouvoir et l'habitude de la domination avaient introduit dans son sein, elle a vu sa population décroître, son patriotisme disparaître et son esprit de corps s'affaiblir, au point que les diverses peuplades qui la composent sont maintenant devenues sujets d'autres dynasties et ploient, comme des esclaves, sous le fardeau des impôts ».

La Berbérie forme en effet, de nos jours encore, un grand peuple, mais les tribus qui la constituent, de l'Egypte occidentale au Maroc et au Sénégal, éparses dans les diverses régions de l'Afrique du Nord, sont comme les membres disjecta de la nation. Elles conservent cependant intact, au milieu des populations arabes qui les séparent les unes des autres, un patrimoine commun de la langue, de pensée, d'art primitif, un même fond d'organisation sociale et politique, des tendances intellectuelles et affectives particulières. On peut dire encore qu'elles ont gardé une vie collective profondément originale et à ce titre qu'elles forment un grand peuple « brave et nombreux ».

Mais si les Berbères ont résisté jusqu'à nos jours dans leurs îlots montagneux, à la marée montante de la civilisation arabe, il n'est pas certain que toute l'histoire du Maghreb est dominée depuis plus d'un millénaire par un même événement : la lente destruction des institutions des autochtones, l'assimilation progressive des vieilles populations africaines par les tribus arabes et la civilisation islamique.

C'est l'aspect politique et social de cette lutte que propose Robert Montagne d'étudier ici dans cette suite de conférences.

Il va chercher tout d'abord à bien comprendre sous quelles formes diverses linguistiques, religieuses, politique, s'est poursuivie au cours de l'histoire, l'attaque de la Berbérie. C'est plus particulièrement dans cette région extrême du Maghreb que nous appelons aujourd'hui le Maroc, qu'il va multiplier des exemples, parce que c'est là que semble s'être concentrées, avec plus d'énergie, à la fois les forces de la destruction et celles de résistance.




De nos jours, les Berbères n'ont conservé leur langue, protectrice de leurs traditions et de leurs lois, que dans des régions montagneuses dans les oasis du Sahara ou dans les profondeurs inaccessibles du désert.

Une carte linguistique du Maroc va nous permettre de préciser la situation respective des forces en présence : on peut y distinguer trois divisions : le pays de langue arabe, celui de langue berbère, et le pays de bilinguisme.

Le pays de langue arabe est, dans l'ensemble, celui des plaines atlantiques, de la trouée de Fes-Taza et des régions sahariennes. Toutes les villes du Maroc sont en pays de langue arabe. Taroudant, la capitale de ce Sous qui est l'un des foyers les plus vivants de la Berbérie marocaine est entourée de tribus de la langue arabe, les Oulad Yahia , Menabha et Houara. Cette vaste région, il faut l'observer avec soin, n'est pas entièrement peuplée d'éléments d'origine arabe, elle renferme au contraire de nombreuses tribus d'origine berbère. Ce sont dans le Sud, les Doukkala, les Abda, les Chiadma, par exemple, encore berbérophones, au XIVe et XV siècles ; dans le nord, ce sont les tribus Jbala, arabisées sans doute beaucoup plus tôt, grâce à des influences andalouses.

Le pays ou la langue berbère est exclusivement employée est, en gros, celui des hautes Montagnes, aussi bien dans le Rif que dans l'Atlas. C'est là le bastion de la résistance linguistique.

Le pays du bilinguisme s'étend en bordure du précédent. C'est celui où les femmes parlent le berbère, tandis que les hommes, du moins ceux que leurs occupations mettent en contact avec l'extérieur, comprennent l'arabe. On peut dire que c'est la région où la vie berbère, chassée du domaine de la vie politique, privée d'indépendance, c'est réfugié au foyer.

On observe que le pays de la langue arabe est celui des villes alors que celui de langue berbère est exclusivement rural. Le phénomène d'arabisation est en effet directement lié à l'influence urbaine sur les tribus environnantes. Nombreuses sont les villes où l'on parle berbère, mais il n'y a pas de citadins qui ne parlent pas l'arabe ; l'arabe par son universalité, est la langue des transactions conclues entres des tribus de dialectes différents, de même qu'elle est celle de la religion et du Gouvernement.

Sous quelle forme s'est imposée la religion musulmane aux vieilles populations africaines ? Il importe ici, pour éviter des confusions et des erreurs, de bien indiquer quels sont les caractères généraux de l'Islam berbère.

On a parfois dit, avec une singulière inexactitude, qu'en Afrique du Nord, la France avait poussé à l'islamisation des Berbères, et qu'elle avait de la sorte commis une lourde faute politique en mettant entre ces populations primitives et notre civilisation, le rempart infranchissable d'une religion particulièrement intransigeante et souvent hostile à l'Occident. La France n'a pas eu à précipiter l'islamisation des Berbères pour cette raison simple que les berbères sont islamisées depuis de long siècle. Leur attachement à leur fois est même souvent beaucoup plus marqué que celui des Arabes ; et ils seraient certes bien étonnés ; s'ils apprenaient au fond de leurs montagnes, que certains chrétiens ou musulmans des villes mal informés, espèrent ou redoutent qu'ils ne se convertissent à la fois chrétienne. Et cependant, en Berbérie, la religion revêt aisément une forme particulière et les tribus l'ont adaptée, après des siècles d'efforts, à leurs habitudes intellectuelles et politiques.

Ensuite il a parlé de l'hétérodoxie marocaine qui a connu tout d'abord, jusqu'au Xe siècle, une brillante carrière avec les faux prophètes des Berghouata, qui avaient rédigé un singulier Coran en langue berbère.

La tendance berbère au puritanisme et au rigorisme s'est manifestée avec non moins de continuité. Rappelons pour mémoire ici, l'immense succès du kharegisme au premier siècle de l'Islam maghrébin, l'existence de petits états kharejites de Tiaret ; la fondation des villes du Mzab. C'est au nom de l'Islam plus pur que les Almoravides, berbères nomades du Sahara se sont emparés du Magheb extrême au Xie siècle ; au début du siècle suivant, le réformateur Ibn Toumert est apparu à son tour pour reprocher à ses prédécesseurs la faiblesse de leur Islam et rétablir le régime de la vertu. Ici encore, la rénovation de la religion a servi de paravent à une conquête berbère, faite au profit exclusif des tributs masmoudiennes du Haut-Atlas Occidental.

Mais c'est surtout en créant des principautés religieuses, des états maraboutiques que les Berbères sont parvenus à concilier avec le plus de succès l'Islam de leurs habitudes sociales.

Tous ces états maraboutiques ont un caractère commun, ils sont fondés avec l'assentiment de communautés berbères indépendantes du pouvoir central. Le chef religieux apparaît de la sorte comme un arbitre des discordes locales un protecteur bienveillant des républiques de la montagne. Il respecte leurs coutumes et leurs traditions, même celles qui sont en désaccord avec le livre saint. Il rassemble sans effort des contributions qui sont volontairement consenties et règne par la persuasion et l'habileté. Sa parole est respectée et crainte à cause des vertus magiques de sa famille et parce qu'il a le pouvoir d'attirer sur les rebelles l'implacable malédiction de Dieu.

En même temps, grâce à l'influence du chef religieux, l'Islam affirme lentement sa domination sur les hommes. Les savants se multiplient, et avec eux, les écoles de droit coranique ; peu à eu les traditions se rapprochent de celles qu'autorise le livre saint et le chraa se substitue à la coutume, à l'orf, jusqu'au sein de la famille berbère. La loi religieuse intervient désormais dans l'héritage et fixe le statut de la femme.

C'est de la sorte une véritable symbiose de l'Islam de la Berbérie indépendante qui s'établit sous l'égide des chefs maraboutiques. Dans cette alliance, en effet, les institutions politiques des tribus restent intactes. Pour ne pas se soumettre au Sultan, cet étranger qui règne dans les villes arabes, les montagnards se groupent volontiers autour d'un seigneur religieux qui respecte, au moins apparemment, l'autorité des assemblées de notables. Et l'on voit en effet au cours de l'histoire, l'aire d'établissement des états maraboutiques se déplacer selon les progrès de l'autorité du pouvoir central.

Ensuite Robert Montagne fait un rappel historique, des étapes des dynasties du Maroc ; et pour compléter cette vue d'ensemble sur les efforts du makhzen pour unifier la Berbérie Occidentale, il est intéressant de voir la résistance qu'elle a offerte à la pénétration française.

En ce qui concerne les étapes de la « pacification » du Maroc : de 1904 à 1912, c'est tout d'abord le Bled el Makhzen, le pays des villes et du gouvernement impérial, qui s'ouvre aux colonnes.

De 1912 à 1917, la pénétration s'affirme dans tous les régions qui, sans faire partie du Bled es Siba traditionnel, n'ont fait que subir par intervalles le joug du gouvernement arabe.

Mais c'est à partir de 1918, que la résistance de la Berbérie indépendante et anarchique se fait sentir avec toute sa force. Et à ce moment, le prestige du Makhzen n'est plus d'aucun secours.

Pour progresser dans le Moyen-Atlas, en pays des Beni-Ouraïn, dans l'Atlas central vers Ouaouzeght, il faudra de rudes expéditions guerrières, un incessant usage de la persuasion et de la force exercée sur chacune des petites tribus de la montagne. Il est des blocs dissidents comme ceux du Ida ou Tanan et des Seksaoua qui ne se décident à se soumettre qu'après dix années d'encerclement pacifique. D'autres restent irréductiblement hostiles jusqu'à présent.

Aux confins du Sahara, la limite de la dissidence depuis 1927 n'exclut de l'Empire que des populations berbères, pour la plupart nomades de l'Atlas central et le Saghro. Il est bien remarquable d'observer, si l'on fait abstraction des tribus maures d'origine arabe, qui échappent à notre action par delà les frontières du Sahara espagnol, que tel les seules populations sahariennes restées fidèles à leurs traditions d'anarchie et de vie libre appartiennent toutes à des tribus berbères de la grande et illustre famille de Senhaja : les transhumants de l'Atlas Central, les Aït-Yafelman et les Aït-Atta du Sahara.

Tout d'abord, ce qui frappe en Berbérie, c'est le caractère presque exclusivement rural de l'organisation sociale. Et d'autre part, cette population rurale se constitue en unités politiques, tribus et cantons de très petites dimensions ; quelques dizaines de kilomètres carrés, quelques dizaines de kilomètres carrés, quelques centaines de foyers suffisent à former une république indépendante.

Le trait le plus net de l'esprit berbère sera donc, chez tous les groupes, un conservatisme extrêmement accusé, qui est la conséquence ou la cause du fractionnement social, un profond respect pour la coutume des ancêtres, un attachement indéfini à des rites, à des symboles, même si le sens est oublié depuis des millénaires.

**A SUIVRE ...**

Izri ur yelli γir ḍ-awal; axmi yetmuḍ ṭimenna ḍ refra eṭ ac yessefruri izran ḍ tiseqqar n-refra eṭ tiseqqar u xeyyeq; tiseqqar n-ariḍa tiseqqar u zawar. izri tasγart n-ṭuḍarṭ inu ḍ tuḍarṭ nkum. izri ḍ-accan i-wenni ḍ-as yeggin accan.

**Farid Elhamdiwi**

# Izran u zawar:

**- A-ra cawar yemma-k a cawarit su qallaq**
**Mara ṭenna-k alla reb ar umi y-ewreq.**
**- Amsa lxir (x2) ma ḍa ed ma walu**
**Ma ḍa mix γaṭeksiḍ ṭesmeḵḍ ay-ur inu.**
**- Ahebbuj i-beddar iga kasaḍura ḍe jḍiḍ**
**Yurid it-emcencar ur ṭiksi w-abriḍ.**
**- A-wen ṭ-essazwa ṭemγarṭ ma-itsemma ḍ-argaz**
**ṭewwiṭ a kuzina i-messa budagaz.**
**- Yemma-k a-llif inu ur ḍak teg bu ṭesriṭ**
**Tqabar namima at naḍur gi ṭisiṭ**
**- ṭarezzuḍ a-ḍak aggaγ accan a-wan ur tiswin**
**ur ṭeggix i-yewḍan ḍ raṣr mux ggin**



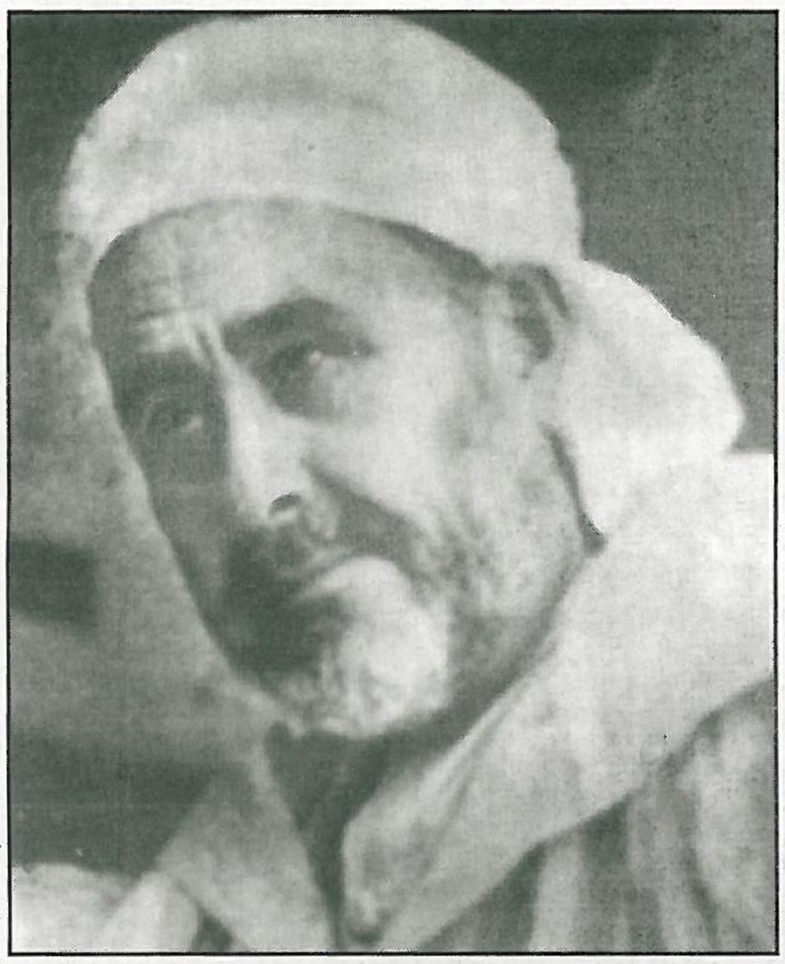

## aqaḍi ḍu sitam

sy-isem nṭifraz n-arif ، n-etqaḍa marra ayeṭmaṭnex i-kineγ d-imsawaḍan sṭebraṭin nsan ḍ tqassisin; u n-eqqara-sen ackum ṭawaḍ annubeṭ n-kum gi min d-itasan; u n-essitim zzagsan ad tarin is-mawan n-sen kam-ran mara xsen aten neswiza akineγ. n-etqada-ckum aṭṭas.

**E-mail: tifraz-rif@gmail.com**

# Rxezrağ

**Farid Elhamdiwi**



**Jar u jenna mani ra ṭendaḍ rxezraṭ**

**ḍ-iḵḍannat mani ṭessas-eḍ aḍar**

**Aṭṭas ḍ-ise asen**

**Aḵṭṭas ḍ-awar.**

**Min esbent ṭwassura tiɛaqqayin**

**Min ammuḍent ṭesraṭin ḍ-imendar.**

**Min aggin izermaḍen t-ixendarisin**

**Min aggin ifusiyan ḍ t-isexsar...**

**Σammas aḍawṭen**

**adduḍ inek**

**a-yadduḍ n w-aḍrar**

**a-yadduḍ n w-aḍrar.**

# *Awar-en n wareγ*

**- act-en ṭassuṭ iγarek iγa ddarqeḍ iḍan inek. (arif)**

**- iḍeṣ I beddad s wazzar. (arif)**

**- an-teg umi nzemmar ɛammas u-nteg min nxes. (fransa)**

**- ur ḍay tic bu serman; maca mray mux ṭen d-γa-gmaγ. (čina)**

**- miyya ṭxettab ij itawi. (arif)**

**- wen y-enna-n ṭameγra ṭehwan; y-ugmas γir aman. (arif)**

# *ṭaqessisṭ*

## Inay-id a-bu ber

**Inay a-bu ber inayi a-reɛmar**

**Mayemmi anefqes mayemmi anezbar**

**Mayemmi t-esruḍ ṭittawin u xazzar**

**Mayemmi aṭ-sawseḍ reɛqer u fekkar**

**Inayi mayemmi a-bu ber a-reɛmar**

**Σammas ur day itγir amya iḍay γaṭemsa**

**a-cem zax ijen was**

**acem xseγ am-enwar**

**aday ṭacad ur inu**

**iḍam yeggin rxaḍar**

**at-arreḍ ḍe tnifesṭ**

**ig-essaxsi wanẓar**

**fuad ben ziyan**



TIFRAZ N ARIF
N°27
Janvier 2008

## وجوه خراسة



## الأستاذ الدكتور أحمد الطاهري:

# الريف عندي ليس أحلام ولا أوهام ولا مصلية مسخرة . . بل تاريخ وحضارة وأهل 2/2

أما في الفترات العصيبة مثل الزلزال الذي ضرب الحسيمة، فلا يبقى من مجال للكلام. وبقدر ما كان شعوري بالغبن وأنا أستفسر وسائل الإعلام، وقد ظلت طوال يوم الكارثة صماء بكماء، وهي عالة على ميزانية الدولة، دؤوبة على إنتاج المسخ، بقدر ما كان شعوري بالاعتزاز وأنا أشاهد ملك البلاد يتفقد المنكوبين بالحسيمة وإمزورن ونواحيهما. ولم أتمكن من استعادة الرضى بنفسي، حتى بت رفقة وفد من مؤسسة الإدريسي المغربية الإسبانية بمنزل أحد أخوالي ليلتين بإمزورن تحت هدير الرجات الارتدادية، ونحن محملين بمساعدات نقدية للمتضررين، وزعناها على مئات الأسر المنكوبة بتامسينت وإمزورن واتروكوت وآيث بوداود. وقبل ذلك، كان قد راودني الحلم خلال بدايات القرن الجاري، والمغرب يتأهب قاطبة للانخراط في مشاريع كبرى للتنمية، إلى التنبيه على قيمة التراث التاريخي بالريف، وأهمية وضعه موضع استغلال اقتصادي عن طريق الشروع في إعداد المسالك السياحية نحو المواقع الأثرية بنكور والمزمة وبادس وتسفت وإكرى وغيرها، منتظمة حول مركز للدراسات ومتاحف الريف الذي تم الإمعان في تصوره، وقد خامرني الحنين للرجوع إلى الريف والتفرغ لإدارته. وما أن تم إعلان المبادرة على صفحات الجرائد الوطنية سنة 2001، وشرعت مؤسسة الإدريسي المغربية الإسبانية للبحث التاريخي والأثري والمعماري في العمل الذي صرفت عليه بإمكانياتي الشخصية المتواضعة طوال سنتين، حتى هب كل من دب من المختصين في فنون البهرجة والكلام، وتركيب الجمل المفرنسة البتراء أمام عدسات وسائل الإعلام، ومن المتسيسين والمتحزبين، مثيرين زوبعة غبراء. وبدلا عن مد يد المساعدة - كل من موقعه - لإنجاز عمل ذي طبيعية علمية وثقافية، قد تكون له انعكاسات إيجابية على مسارات التنمية، آثروا الزج بالمشروع في مهاترات سياسوية، وربطوها عنوة بالمصالحات الجارية، وأزعجوا المقاومين والشهداء في مقابرهم. وبذلك يكونون قد أفلحوا في تسويس مشروع ثقافي بعمق علمي يهدف للتنمية. وفي كل مرة يتم فيها خلط الحابل بالنابل، تهدر الطاقات التي يصعب تجديدها في كل حين. ألم يضجر المنتفعون ومنعدمي الضمير بعد من استعمال صورة المجاهد محمد بن عبد الخطابي لدغدغة عواطف الفقراء من أهل الريف وخدش الجراح فيما يشبه أسطوانة مخرومة عمرها نصف قرن من الإثارة؟ ومن الملاحظ أن من وكلت لهم مهمة الإنصاف، لم يفلحوا في إنصافي كفرد من الريف وبالإخرى إنصاف منطقة بأكملها، إذ ظل ملفي رقم 145 دون بقية ملفات المغاربة في ردهات مكاتبهم دون عناية، ولربما صرفوا مستحقاته فيما بينهم، وقد كانت النية معقودة على وهبها لإنجاز بعض مشاريع مؤسسة الإدريسي الثقافية.

وكم كان شعوري بالأسف وأنا أعاين عن قرب مقر المتحف المنتظر بالحسيمة، وهو آيل للسقوط يستجدي الحكومة الأندلسية لتجود بمساعدة من ميزانيتها لترميمه. وكم كان الشعور بالأسى من موقف بعض من وكل لهم الأمر بالحسيمة وهم فارغي الوفاض يستجدون قدماء قاطني المدينة من الإسبان ليتكرموا بوهب ما احتفظوا به من ذكريات لوضعها في متحف الريف. ويتحول الشعور بالأسف إلى نوع من الارتجاج وأنت تعاين طاقة هائلة من شباب البلد وهم مكدسون في المقاهي وعلى قوارع الطرق وفي البوادي ينتظرون بضجر ذويهم المكدين في الخارج ليبعثوا لهم المصروف. هل أصبح الريف مذ أصيب بلعنة الهجرة عاجزا إلى هذا الحد، يستجدي وهو مشلول الإرادة معونة الآخرين، ولديه كل هذه الطاقات والخيرات؟ لقد سلف أثناء الجولات الميدانية والمعاينات الأثرية التي باشرتها مؤسسة الإدريسي طوال السنوات الماضية أن أبدى أهل البلد الطيبين وكثيرا من العائلات الريفية، منها عائلة المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي بتمكين المتحف عند إنشائه بما لديهم من تحف ذات الصلة بتاريخ وحضارة البلد. وقد سبق للمرحوم سعيد الخطابي أن سجل لمؤسسة الإدريسي بواسطة عقد موقع بالسفارة المغربية بالقاهرة حقوق إنشاء مركز للدراسات ومتاحف الريف بجزء من ممتلكات الأسرة بأجدير. يبدو أن ثمة عقدة نقص راسخة لدى بعض المسؤولين يستحبون التعامل مع الأجنبي ولو كان جاهلا وبدون أدنى تكوين، ويأنفون من التعامل مع أهل البلد ولو كانوا حائزين على أعلى الدرجات. أو لربما غاية ما يرجونه فتاتا مما قد يتساقط من الميزانيات، ولا يهمهم متحف ولا تاريخ ولا حضارة بلد. مع ذلك، سيظل الحلم وإن بنفسية منسكرة، بمركز للدراسات ومتحف يشتمل على شواهد من تاريخ الريف منذ تأسيس تمسمان وبادس والمزمة ونكور، ومرحبا آنذاك بشواهد عن مدينة الحسيمة في عهد الاستعمار. إنه تاريخ أهل البلد أولا، ولا بأس بل ومن المستحسن إشراك من يحبونه من جيراننا الإسبان. لكن لا يستساغ أن يعمد أبناء الريف وهم في موقع المسؤولية في عهد مشرق وملك مقدام إلى ترسيخ منظور أقطاب الإستعمار والبرهنة بالصور ضمن متحف على دور أروبا في نقل الحضارة إلى شعب متوحش من الحفاة. فبين المنظور الذي وضعناه لمركز الدراسات ومتاحف الريف، وفكرة المتحف التي ظلت في يد المتسيسين إطارا بدون مضمون، لا ينبغي لأبناء الحسيمة أن يسمحوا بصياغة متحفهم كيفما اتفق. وأختم بأبيات لم تنشر بعد، مقتطفة من قصيدة طويلة نظمتها بمدينة الحسيمة يوم الثلاثاء 7 أبريل 1992، منها:

"فيما بين الوادين بتاكراكرى
شموخ الأنوف بجنة عدن
ماكل لحم وطير في أطباق عين

تقول الرواية:
نكور شعاعا.. نكور زنودا.. نكور قلاعا
(..... ومنها)
وتبقى نكور على العهد
مشرقة رعناء، شامخة القد".

هكذا كانت نكور، والآن وقد انكسر الطوق، وتحقق الأصعب في ظرف وجيز، تحت العين الساهرة لعاهل البلاد بانفتاح طرق المواصلات والمسالك، ساحلية نحو الناظور وتطوان، وبحرية نحو مالقة، فماذا ينتظر أهل البلد، وما الذي هم فاعلوه؟ لم يبق من مجال للاستمرار في إلقاء اللوم على الآخرين والاتكال على الغير، والواجب يدعو الجميع إلى تحمل مسؤولية البناء، والبداية تكون بالتكوين والعمل، ورفع مستوى الأفراد والجماعات، بدءا بالامتناع عن الإرشاء والارتشاء، والتوقف عن تقليد من لا أصل له، وعدم التنكر للأصول. وقد جبل الأسلاف على سمو الخلق، فلا يحق للخلف التنكر للميراث.

**إعداد: سعيد الغزواني**

**ألم يضجر المنتفعون ومنعدمي الضمير بعد من استعمال صورة المجاهد محمد بن عبد الخطابي لدغدغة عواطف الفقراء من أهل الريف وخدش الجراح فيما يشبه أسطوانة مخرومة عمرها نصف قرن من الإثارة ؟**

## الحين الثالثة

■ سعيد الغزواني

# جبر الضرر الجماعي مسؤولية سياسية تاريخية

علمتنا تجارب الماضي القريب دروسا لا يمكننا القفز عليها في الحاضر والمستقبل، فلا زلنا نتذكر بحرقة كيف أن العديد من فعاليات المجتمع المدني، على صعيد منطقة الريف، قد أبانت عن تعاون قل نظيره مع أعضاء هيئة الإنصاف والمصالحة، "من طقطاق حتى السلام عليكم"، إلى درجة أن هؤلاء الفاعلين كانوا قد فرشوا الأرض بالبساط المزركش والوثير لكي يطأ مهندسو المصالحة أرض الريف كما أحبوا وبالخطة التي نسجوا خيوطها في الظلام، وقد تحسسنا جيدا تلك الصدمة التي أصابت هؤلاء الفاعلين، لاسيما بعد أن تبين لهم أن من حسبوهم أصدقاء وشركاء قد خذلوهم؛ حين فصلوا العناوين الكبرى والصغيرة بالصورة التي ظهرت عليها في التقرير النهائي لهيئة الإنصاف والمصالحة، ليجدوا أنفسهم في وضع لا يحسدون عليه، فلا توصياتهم أخذت بعين الاعتبار (من قبيل استرجاع رفات الأمير عبد الكريم الخطابي ولا الإشارة إلى ضرورة كشف المقابر الجماعية بالريف...) ولا أسهم خدماتهم زادت في بورصة قيم النضال، لينطبق عليهم المثل المغربي الدارج "لا متاع بقى ولا وجه تنقى". ولعل سبب هذا التذكير يعود إلى الهرولة التي صرنا نعاينها في صفوف ثلة من المحسوبين على المجتمع المدني مرة أخرى، بحيث يسعى هؤلاء المهرولون الجدد إلى التهافت حول دريهمات معدودة، قيل أنها ستجبر الضرر الجماعي الذي لحق بمنطقة الريف. والحال أننا لا نطمح هنا لأن نظهر بمظهر العاشقين للغة المزايدة، ولا نسعى إلى توقيف "البيضة فالطاس" كما يقال، ولكننا نريد أن ننبه فحسب إلى أن ثمة من لم يعودوا قادرين على النظر أبعد قليلا من أنوفهم، وغدوا مستعدين للركوب من أي محطة وبأي ثمن في اتجاه تحقيق مآربهم الوهمية، وإلا فما بال هؤلاء الذين لم يكلفوا أنفسهم حتى عناء حضور اجتماعاتهم الداخلية، ومناقشة هذا الموضوع والتداول فيه بشكل ديمقراطي ومفصل مع زملائهم؟ أما السؤال الذي يحيرنا أكثر، فهو: كيف يمكن لهذه الجمعيات المدنية المنقسمة على نفسها أن تخوض مغامرة ركوب قضية ذات حمولة سياسية وتاريخية كبيرة جدا؟ ألم يكن من الأجدى حصول نوع من الاتفاق والالتفاف حول ما يريده أبناء الريف من هذه المسألة بالضبط (جبر الضرر الجماعي)، والتريث قليلا في استجماع القوى والأفكار والتطلع إلى تشكيل تنسيقية مدنية محلية تنأى عن الحزازات الذاتية والمصالح الشخصية المتناقضة، لتغدو جبهة موحدة ذات مصداقية تمثيلية وقوة اقتراحية بإمكانها إنتاج قراءة ذكية وإفراز موقف موحد، قادر على رسم صورة حقيقية لما نريده جميعا في أفق التفاوض النبيه والعقلاني البناء مع "عفاريت" المخزن الجديد ومهندسي استكمال المصالحة العرجاء؟!

لا ندري لماذا يخالجنا، ونحن نتابع عن كثب ما يدور، شعور مفاده أن هؤلاء المهرولين لم يقرأوا حتى ما جاء في تقرير الهيئة بخصوص الأخذ بعين الاعتبار، في هذه النازلة، ضرورة:

- أن جبر باقي الأضرار على صعيد النطاق العام أو الجماعي، يشمل محو آثار الانتهاكات وإعادة الاعتبار وحفظ الذاكرة وضمانات بعدم التكرار.
- أن جبر الأضرار سواء في بعديها الفردي أو الجماعي، يتأسس على مسؤولية الدولة السياسية والمعنوية والأخلاقية، فضلا عن الكشف عن الحقيقة والإقرار والاعتراف بها عموما.
- أن جبر الأضرار يرمي إلى محو آثار الانتهاكات التي مست الأفراد والمجتمع والذاكرة، على نحو يراعي جسامة الانتهاكات والأضرار اللاحقة من جرائها.
- الأخذ بالمفهوم الواسع لجبر الضرر لتوسيع مصالحة المغاربة مع تاريخهم وذواتهم، استلهاما للتطورات الحاصلة في ميدان مناهج العدالة الدولية من زاوية مقاربة الحق الفردي و الحق الجماعي، مقابل الانتهاك الفردي و الانتهاك الجماعي.
- تطوير دور الوساطة بين السلطات العمومية مركزيا ومحليا ومع الأطراف المتضررة في المناطق المعنية في مجالات تهم التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
- اعتماد الهيئة مقاربة تشاركية في بلورة وصياغة برامج جبر الضرر الجماعي، مقتنعة بأن توفير شروط تحقيق برامج جبر الضرر الجماعي، رهين بمدى مشاركة المعنيين بتلك البرامج في كل مراحل بلورتها وتنفيذها فيما بعد.

لا شك أن القارئ سيقاسمنا ذات الإحساس بكون "المهندسين" السالفي الذكر، يقدرون الأمور بجد على مستوى ملأ وتطريز البياضات على الأقل. نقول هذا، ونحن نفكر في إجراءات من قبيل محو الأمية والتكوين وإنشاء مراكز لا تسمن ولا تغني من جوع... تقدم بها المهرولون كمشاريع مقترحة لجبر الضرر الجماعي. قد يؤدي هذا إلى حصول نوع من جبر الخواطر، أما جبر الضرر الجماعي فهو مسؤولية سياسية تاريخية يحسن بالجميع تقديرها حق قدرها. أما الذين يرددون بأن الدولة ماضية في عملها شئنا أم أبينا، فنقول لهم أتركوها تصنع ما تريد لوحدها وانصرفوا إلى عملكم، ما دام العجز والوهن قد وصل إلى عظمكم وميزان القوى في غير صالحكم.